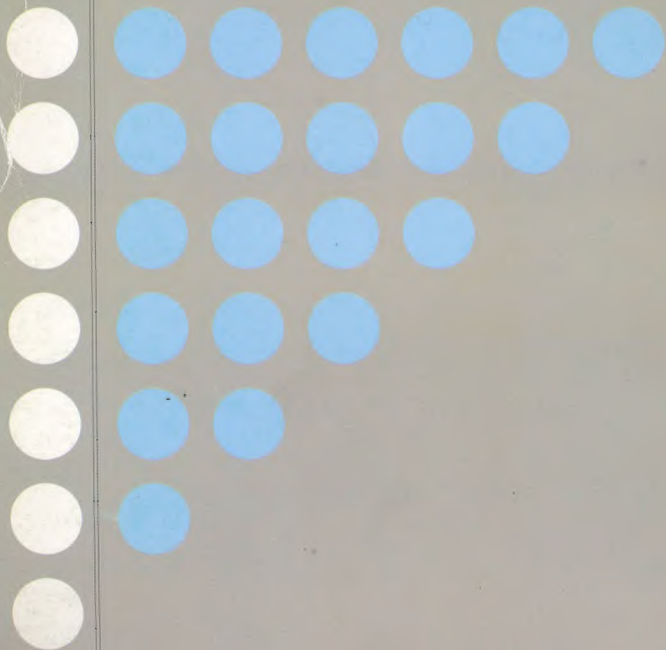


مجلة العلوم الاجتماعية

العدد الأول - السنة السابعة - نيسان / أبريل ١٩٧٩



٥

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدر عن جامعة الكويت

المعد الاول - السنة السابعة - نيسان / ابريل ١٩٧٩

فصلية أكاديمية علمية متخصصة بالعلوم الإنسانية والطبيعية في مختلف فروع العلوم الاجتماعية وتشرعها بالعربية والإنجليزية

رئيس التحرير : الدكتور أحمد عبد الرحمن

سكرتير التحرير : السيد عبد الرحمن فايز المصري

هيئة التحرير

د. حسن إبراهيم

د. أحمد عبد الرحمن

د. هشام شراي

د. خالدون النقيب

د. عبد الوهاب الأمين

د. سليم بشاي

د. ايلي زريق

د. اسماعيل زابري

توجه جميع المراسلات والملاحظات بالاسم رئيس التحرير على العنوان التالي :

مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت - الكويت

جميع الآراء الواردة بهذه المجلة تعبر عن وجهة نظر اصحابها ، ولا تعكس بالضرورة رأي المجلة .

• ثمن العدد : ٢٥٠ فلسا كويتيا أو ما يعادلها في الخارج .

● الاشتراكات :

الافراد سنويا ، دينار في الكويت ، ديناران كويتيان او ما يعادلها في الوطن العربي (بالبريد الجوي) ، ثلاثة دنائير او ما يعادلها في سائر العالم (بالبريد الجوي) ، وللطلبة اسعار خاصة مخفضة .

اما الاسعار للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية في الكويت وخارجها فيفتوحة بحددا الاتصى ، ولا تغل عن عشرة دنائير في حدها الاثنى .

المحتويات

٥	رئيس التحرير	● كلمة العدد
		● أبحاث بالعربية
٧	د. حميد القيسي	١ - نحو سياسة بتروولية مشتركة
٢٧	د. عبد الستار ابراهيم	٢ - التوجيه التربوي للمبدعين
٦٣	د. عاطف أحمد فؤاد .	٣ - المؤرخ المصري عبد الجبرتي .
٨٢	د. سامي خصاونه .	٤ - التخطيط التربوي والتنمية
٩٥	د. عمر الخطيب	٥ - ثلاثون سنة من قيام اسرائيل
		● ندوة العدد
	تنظيم وتحرير :	التغير الاجتماعي في الوطن العربي
١١٩	د. كامل أبو جابر	
		● مراجعات بالعربية
١ ٣٧	د. عبد الاله ابو عايش	١ - مقدمة في طرق البحث في العلوم الاجتماعية
١٤١	د. محمد يوسف علوان	٢ - الاخلاف والتكتلات في السياسة العالمية
١٥١	د. محمد رجب النجار	٣ - الجبر والرماد .
		● مؤتمرات
١٦٥	د. يحيى فايز الحداد	١ - ندوة السكان والتنمية في منطقة غربي آسيا
١٧١	د. محي الدين توق	٢ - المؤتمر الدولي الثاني حول سوء معاملة الاطفال واحمالهم .
		● تقارير
١٨٠	د. نبيل الدجاني	١ - الخبرة الاجنبية في التدريس الاعلامي للدول العربية
١٨٦	د. نادر العطار	٢ - مراسم اعتماد الممثل الدبلوماسي

● دليل الجامعات والمؤسسات التعليمية العليا

جامعة الامام محمد بن سعود
الاسلامية

٢٠٧

● قاموس الترجمة والتعريب
مصطلحات الادارة الصناعية

٢١٠

● ملخصات

٢١٨

● قواعد واسس النشر بالمجلة

● ابحاث بالانجليزية .

٢٢١

د. صادق جعفر اسماعيل

١ - فكرة « الطبيعة » في النظرية
التربوية لجان جاك روسو .

٢٤٥

د. محمد اشريدي

٢ - نظرية النفس والمشاحنة
على مفهوم الانسان .

٢٨٢

د. سهير بركات

٣ - دراسة تحليلية لوسائل
الاعلام في الدول العربية :
١٩٥٠ - ١٩٧١ .

الكلمة العرف

مع ولادة كل عدد جديد من « مجلة العلوم الاجتماعية » يخفتي — دوماً — تعب الاشهر الثلاثة الماضية التي نكون قد قضيناها في اختيار مواده وتحريرها واخراجها وطبعها . بل مع ولادة كل عدد ، نجد نشاطنا وقد تجدد تمهيدا لاصدار عدد آخر . فيا لروعة الولادة المكتملة والناضجة !

غير أن تجدد النشاط اليومي لدينا له منبع آخر . فرسائل التشجيع التي ننلقى مع اطلاله كل يوم ، سواء صدرت عن قراء او مشتركين او مساهمين ، هي التي تسمح العرق عن جباهنا ، وهي التي تزودنا بالطاقة المتلاحقة لنغذ السير أبدا الى الامام . فيا لروعة التقدير الواعي !

ولا يسعنا وقد انضم عضوان جديدان (هما الدكتوران اسماعيل زابري وايليا زريق) الى باقة رجال الفكر والمسؤولية في هيئة التحرير الجديدة ، لا يسعنا الا الترحيب بهما وشكرهما على عطائهما الموعد والمتوقع . فيا لروعة الاكتاف الجديدة التي ستحمل معنا كل الاعباء القادمة .

ومجددا نقول : ليكون هذا العدد خطوة جديدة في مسيرة اكلاديمية واثقة نحو تطوير العلوم الاجتماعية عند العرب .

رئيس التحرير

نحو سياسة بترولية عربية مشتركة

د. حميد القيسي *

مقدمة :

هدفنا بهذا البحث هو لفت الانتباه الى بعض جوانب السياسة البترولية العربية المشتركة وليس التركيز على سياسة بترولية مشتركة لاقطار منطقة الخليج العربي فقط نظرا لاستحالة وضع سياسة بترولية مشتركة خاصة باقطار هذه المنطقة ، لما تتميز به هذه الاقطار من محدودية الموارد الاقتصادية غير البترولية وصغر اسواقها وكونها اقطارا ذات مسئولية قومية ودولية بوصفهم اعضاء في منظمة الدول العربية المصدرة للبترول (الاوابك) ومنظمة الاقطار المصدرة للبترول (الاوبيك) . كل هذه السمات تجعل من غير المعقول والعمل ان نبحث في سياسة نفطية خليجية مشتركة . واثق ما يمكن معالجته في اطار التكتلات الاقليمية هو معالجة موضوع سياسة بترولية عربية مشتركة .

ان اركان السياسة البترولية المشتركة كثيرة وواسعة ، ولها من الاهمية ما يجعل من الضروري معالجة كل ركن على حدة ، وفي ورقة مستقلة . لذا ونظرا لضيق المجال سوف يقتصر بحثنا على بعض الارقان دون غيرها ، مسترشدين في اختيارنا بمقياسي الاهمية وقلة ما اعطي اليه من انتباه في الماضي . الا ان ذلك لا يعني بلبية حال من الاحوال عدم اهمية الارقان التي لم تعالج .

كما من المفيد ان نتذكر بأن اصواتا كثيرة قد تحدثت ، خلال الربع قرن الاخير ، عن وجوب اتباع سياسة بترولية مشتركة . ولقد اكدت هذه الاصوات على اهمية هذه السياسة وضرورتها . الا انه من المؤسف حقا ان تكون هذه الاصوات نفخة في رماد او مجرد حبر على ورق . فهي لم تجد من يستمع اليها من المسؤولين عن السياسة البترولية العربية . لذا اعتقد ان اي باحث في مثل هذه المواضيع يشعر باشمزاز ومرارة عندما يضيف صوته الى تلك الاصوات لقناعته القلبية بأنه سوف لا يجد الحساس لدى من يستمع اليه ، اذ انه مقتنع بان الدول العربية المنتجة للبترول سائرة في فلك محدد سلفا، ولا زالت التيارات

* استاذ اقتصاديات البترول بكلية التجارة في جامعة الكويت .

الاقليمية هي الطاغية في تلك الاقطار ولم نصل نحن العرب في وعينا القومي الى مرحلة الالتزام بسياسة بترولية مشتركة . على اي حال من الصعب على صاحب الرسالة ان يتخلى عن رسالته اذا كان مؤمنا بها ويعتبرها واجبا مقدسا ، فعمل الاجيال القادمة تعني مصلحتها وتسعى لتحقيقها بمعزل عن اي اعتبارات اقليمية (١) .

اركان السياسة البترولية المشتركة :

اية سياسة بترولية عربية مشتركة تعني العمل المشترك لمعالجة وتنفيذ سياسة عقلانية تخدم الاقطار الاعضاء في اهم الانشطة الاقتصادية في حقل البترول . كما ان اية معالجة لمثل هذه الانشطة البترولية يجب ان تقوم على دراسات علمية من الدرجة الاولى ومبنية على بحوث اصيلة تقوم بها الاطراف المعنية وتعتمد على حقائق ميدانية مستقاة بواسطة الجهات ذات العلاقة ، واضعة الهدف المشترك نصب اعينها بدون اية اعتبارات سياسية محلية او دولية .

يمكن ادراج اركان السياسة البترولية المشتركة للاقطار العربية المنتجة للبترول في الحقول التالية :

- ١ — السيطرة على الانتاج والاسعار : اتباع سياسة سعرية موحدة للنفط الخام ومنتجاته البترولية ومعالجة ما يسمى بمشكلة فروقات الاسعار .
- ٢ — اتباع وسائل الصيانة الحديثة للموارد النفطية وما تتضمنه هذه الوسائل من الانتاج المشترك للحقول المشتركة بهدف المحافظة على ضغوط هذه الحقول ومواردها الفازية والنفطية وتنويع صناعة البترول وما تتضمنه من مشاريع الغاز المشتركة .
- ٣ — انشاء مصافي عربية متكاملة .
- ٤ — القيام بمشاريع بتروكيماوية متكاملة .
- ٥ — تنسيق نقل النفط والغاز وما يتضمنه هذا التنسيق من حذف لاساطيل النقل المحلية .
- ٦ — تنسيق السياسة البترولية في الحصول على اسواق دائمية في الدول المستهلكة للبترول سواء كانت دول متقدمة اقتصاديا ام نامية .
- ٧ — تنسيق الاستثمارات البترولية داخل الدول العربية وخارجها .
- ٨ — تنسيق الحصول على الخدمات البترولية للدول العربية ويدخل في ذلك الحصول على التكنولوجيا النفطية .

٩ - تنسيق الاستغلال لما يسمى بالفوائض المالية البترولية داخل المنطقة العربية وخارجها .

١٠ - سياسة طاقة مشتركة وما تتضمنه هذه السياسة من اجراء بحوث وبعث معرفة تتعلق ببدائل الطاقة المتوفرة في المنطقة العربية وخارجها .

١١ - تنسيق السياسة الخاصة بالتدريب وتوثير الايدي العاملة للصناعة النفطية وتوثير وسائل المعرفة بما في ذلك التوثيق النفطي وفعاليات الاعلام .

هذه هي اهم اركان السياسة البترولية العربية المشتركة في الوقت الحاضر اذا كلنا نسمى نحو مثل هذه السياسة ، علما باننا كدول عربية منتجة للبترول قد بدأنا فعلا في اتباع سياسة مشتركة في بعض هذه الحقول ، الا ان البداية هذه قد جاءت متأخرة جدا ولم نخط لحد الان خطوات كبيرة في هذه الانشطة . ونذكر على سبيل المثال المشاريع المشتركة التي ظهرت تحت رعاية منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول والمتمثلة في النقل والخدمات والاستثمارات البترولية ، رغم ان مثل هذه المشاريع قد واجهت مشاكل وصعاب تحتاج الى معالجة ملحة وسريعة كما هو الحال بالنسبة لشركة النقل البحري العربية . (٢)

من اين تنطلق السياسة البترولية المشتركة ؟

كان انطلاق شعار السياسة البترولية العربية المشتركة في مؤتمر البترول العربي الاول الذي عقد في القاهرة في العام ١٩٥٩ تجسيدا لكل شعور تومي واهداف لبعض احزاب تلك الفترة في السعي لتحقيق عمل عربي مشترك في المجالات الاقتصادية المختلفة . ان هذه الانطلاقة كتبت الاولى من نوعها ولقد تبتها انطلاقات متعددة في المؤتمرات والندوات البترولية المتلاحقة . الا انه سرء ن ما اخفتت مثل هذه الانطلاقات حالما تنهي هذه التجمعات اعمالها وتبقى مجرد شعارات تراود الجميع . وبقي الحال كذلك حتى انبثقت منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول في العام ١٩٦٨ فتضمنت اتفاقيتها نصوصا صريحة تسمى نحو سياسة بترولية عربية مشتركة . لذا تعتبر هذه المنظمة القلعة التي انطلق منها نشاط التنسيق في السياسة البترولية العربية ويجب ان تبقى الركيزة الاساسية لكل أنشطة السياسة البترولية المشتركة .

لقد اعطت المادة الثانية من اتفاقية المنظمة لتنسيق السياسات البترولية بين الاقطار الاعضاء (وهم عشرة في الوقت الحاضر) أهمية خاصة لما للتنسيق من أهمية في تنظيم فعاليات هذه المنظمة بما يخدم مصالح الدول الاعضاء .

كما ان المادة التاسعة والعشرين قد ابرزت مثل هذه الاهمية عندما نصت على ان « سياسات الاعضاء المتعلقة بالثئون البترولية ذات أهمية مشتركة وعلى ذلك يتعهد الاعضاء بالتشاور فيما بينهم وفي نطاق المنظمة لتنسيق موقفهم وما يتخذونه من اجراءات ازاء الاوضاع والظروف الجارية في صناعة البترول » (٣)

كما ان الواجب التاريخي الملقى على المنظمة في تنسيق السياسة البترولية العربية وتوحيدها لم يكن خافيا على منشيء هذه المنظمة الاقليمية او من قام بادارة اماتها العامة . فقد تقدم امين عام المنظمة بمذكرة مسببة الى الدول الاعضاء شارحا مبررات التنسيق وأهميته بالنسبة للاقطار العربية المصدرة للبترول . ولقد نوقشت المذكرة وموضوع التنسيق في اجتماع المجلس الوزاري الثاني عشر الذي عقد في القاهرة بتاريخ ١٠ يوليو (تموز) ١٩٧٤ ، حيث ادرك الجميع أهمية التنسيق والعمل المشترك « مع اعطاء الاولوية للموضوعات التي يوجد حولها اتفاق عام من حيث الهدف والتوقيت اللزمين للتنسيق الفعال (٤) . وبناء على هذه المناقشة أخذت الامانة العامة للمنظمة على عاتقها واجب « متابعة » التنسيق في السياسات البترولية العربية . وليس ادل على وعي المنظمة لدورها الريادي في تنفيذ السياسة البترولية العربية الموحدة من قولها في تقرير المنظمة السنوي الثاني المرفوع الى المجلس الوزاري في تشرين ثاني نوفمبر ١٩٧٥ « ان الدول الصناعية المستهلكة للنفط تراتب التطورات النفطية في الدول المنتجة بحرص وعناية ، وهي في نفس الوقت تراهن على تفكك جانب الدول المنتجة كلها حاولت الدخول في مراحل النقل والتصنيع والتسويق بصورة غير منسقة فيما بينها . لاتها في هذه الحالة ستجد نفسها تتنافس على اسواق الدول الصناعية في تصريف انتاج صناعاتها النفطية وتشغيل ناقلاتها التي استثمرت فيها الكثير من اموالها وعلقت عليها آمالها في التنمية والتقدم . ان الطريق الوحيد للحيلولة دون وقوع المنتجين في مثل هذا المنزلق المخيف هو دعم التعاون والتنسيق فيما بينهم » (٥) .

ان الواجب التاريخي الملقى على المنظمة في تنسيق السياسة البترولية العربية نابع عن الظروف المحلية والدولية التي تجد نفسها فيها . اذ بعد ان أصبحت الدول المنتجة للنفط مسيطرة على معظم مواردها النفطية وتقوم بتقرير سياسة الانتاج والبيع والتسليم وتعيين أسلوب التصنيع والنقل ، أضحي موضوع تنسيق السياسات النفطية بين الاقطار الاعضاء في المنظمة من الاهمية بكان ، بحيث يجعل اختفائه أو تناسيه مضرا بالمصلحة الوطنية ويحول دون تحقيق الاهداف الاقتصادية والسياسية المنشودة من السيطرة

الوطنية ، ومن ثم يحول دون تحقيق مصالح الجميع كما عبرت عنها اتفاقية المنظمة ، وخاصة في عالم قد تميز بتجمعات الدول المستهلكة للنفط لتحشيد الجهود والمجابهة مع الدول المنتجة للنفط والتي توجت بتأسيس وكالة الطاقة الدولية في نهاية العام ١٩٧٤ . (٦)

اننا نؤكد على كون منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول هي الركيزة التي تنطلق منها الفعاليات المتعلقة بالتنسيق رغم ادراكنا بأن ما حدث خلال العشر سنوات الاخيرة - وهو ما مضى من عمر المنظمة - في مجالات التنسيق لم يكن بالشيء الكبير أو الكثير . الا أن تأكيدنا هذا ينبعث من حقيقة ان هذه المنظمة تضم الدول العربية العشر المصدرة للبترول ويديرها مجلس وزاري يتكون من وزراء النفط للدول الاعضاء والذي يجتمع على الاقل مرتين كل سنة للمناقشة وتبادل الافكار والتجارب . واين لنا من منظمة اكثر تماسا بالصناعة النفطية العربية والدولية من هذه المنظمة . . ؟ واين لنا من منظمة مجلس ادارتها اكثر صلة بالسياسات النفطية المتبعة في الدول العربية المنتجة للنفط . ؟

من المؤسف حقا ان نقول بأن اي استعراض لفعاليات المنظمة في مجالات التنسيق في السياسات البترولية العربية تجعلنا نصل الى الحقيقة المرة التي تشير الى أن الدول الاعضاء لم تحرز نجاحات ملموسة في هذا المجال . وان ما حققته في بعض أنشطة العمل المشترك لا يكون الا جزءا صغيرا من المجالات المتاحة والمسئوليات المطروحة ، كما ان ما حققته من نجاح نسبي في إنجاز المشاريع المشتركة سيعتمد في النهاية على مدى فعالية تنسيق السياسة النفطية والتعاون بين اقطار المنظمة . ان المنظمة لم تنجح في وضع أسس صلبة لسياسة نفطية موحدة ولا زالت الاقطار الاعضاء تتبع سياسات نفطية خاصة بها . لذا من المحزن ان نرى الفوضى الموجودة في الانتاج والتسويق وفي تخطيط تنفيذ مشاريع البتروكيماويات والتكرير والنقل في الدول الاعضاء . ان تقييم قدرات وقابليات هذه المشاريع ومدى منافسة البعض للبعض الاخر والحاجة اليها امر حيوي يحتاج الى معالجة سريعة والا وجدت الاقطار العربية المنتجة للنفط نفسها في حالة تنافس على الاسواق فيما بينها نظرا لاسباب قابليتها . لقد عولج هذا الموضوع مرارا وتكرارا في المؤتمرات والندوات العربية التي عقدت في السنين الاخيرة ، الا ان نتائج هذه المعالجة لم تتعد نطاق البيانات التي نشرت بعد انتهاء هذه المناسبات . والآنكى من كل ذلك ، ان منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول كانت ولا تزال مكتوفة الايدي ازاء مثل هذه الفوضى ، ولم تعالج اجتماعات مجالس وزراء النفط اي تنسيق جدي في مجالات الانتاج والتسويق او تخطيط وتنفيذ مشاريع بتروكيماوية او

مصافي متكاملة . ومن المضحك المبكي أن مجرد التطرق الى موضوع الاسعار وبرمجة الانتاج يعتبر ككرا ما بعده من ككر اذا عرض للنقاش في اجتماعات العاملين في المنظمة او في مجالسها الوزارية . لذا لا غرابة في مشاهدة المواقف المتناقضة للاسقاء العرب في اجتماعات منظمة الاوبك او في المحافل الدولية النفطية الاخرى او في اتباع سياسات نفطية متناقضة في التسعير والتسويق . ونظرا لاتساع مجال التنسيق في السياسات النفطية العربية ، سيقصر بحثنا على تناول جوانب معينة منها — كما اسلفنا ذكره — وسنتناول بالذات الارقان التالية :

- ١ — السيطرة على الانتاج ومن ثم الاسعار للنفط الخام .
- ٢ — اتباع وسائل الصيغة الحديثة في استغلال الموارد النفطية في اقطار منطقة الخليج العربي بصورة خاصة .

السيطرة على انتاج النفط واسعار النفط الخام :

ان معالجة موضوع الفوضى في انتاج النفط العربي وما يترتب على ذلك من ارتباك في تسعيره من الامور الملحة التي لا يمكن لاية دراسة اغفلها على الرغم من تكرار البحث فيها . اذ ان الانتاج والاسعار وما يتبع ذلك من عوائد مالية تعتبر الاساس في كل ما يقام من مشاريع نفطية او تنمية وبلتالي تعتمد عليها مسيرة الاقطار العربية في ركب التنمية والتقدم .

يبلغ انتاج النفط الخام للاقطار الاعضاء في منظمة الاوبك حوالي ٣٢ ٪ من مجموع الانتاج العالمي ، واحتياطياتها منه حوالي ٤٨ ٪ من الاحتياطي العالمي . كما تبلغ صادراتها من النفط الخام الى مجموع النفط الذي يدخل في التجارة الخارجية للعالم حوالي ٥٤ ٪ من المجموع العالمي . وبناء على ذلك فان هذه النسب العالمية لها تأثيرها فيها يعرض من نفض في الاسواق المالية وبلتالي على الاسعار التي يباع بها هذا النفط كما هو واضح في الجدول رقم (١) .

ولما كانت عوائد النفط تشكل الجزء الاهم من الدخل القومي ودخل الحكومات للعديد من الاقطار العربية المنتجة للنفط ، وتكون بذلك العمود الفقري للفعاليات الاقتصادية والمشاريع التنموية فيها ، لذا فترك كمية الانتاج وبلتالي الاسعار التي يباع بها النفط لعوامل السوق او لعوامل سياسية بعيدة عن خدمة المصالح المشتركة من الخطورة بمكان بحيث يجعل من الضروري الالتزام بسياسة منسقة بين الدول العربية المنتجة للنفط في مجال الانتاج .

وعلى ذلك لا بد من السيطرة على انتاج النفط الخام اذا اردنا ضمان استقرار الاسعار او ارتفاعها حسبما تطلبه مصلحة المنتجين (انظر الجدول رقم ٢) .

ولا غنى عن القول بأن التبريرات التي اعطيت في السنين الاخيرة لتبرير عدم تقنين الانتاج امثال « الالتزام الحضاري نحو العالم المستهلك » و « عدم عرقلة النمو الاقتصادي في العالم الغربي » و « كسب امريكا لتأييد العرب في القضية الفلسطينية » وغيرها لم يثبت اهميتها او صحتها ولم تعد مقبولة لدى شعوب الدول العربية المنتجة للنفط . كما أن السيطرة على الانتاج من قبل الدول العربية المنتجة للنفط لا يتناقض مع التزامات هذه الدول نحو منظمة الاقطار المصدرة للبترو (الاوبك) وذلك لتشابه المصالح وللوزن الثقيل الذي تنزله الاقطار العربية في هذه المنطقة . ان قيام الدول العربية بمحاولة السيطرة على انتاج النفط فيها سيحمل الدول الاخرى الاعضاء في الاوبك على التعاون معها في هذا المجال .

وفي الواقع قامت هذه المنظمة بمحاولات عديدة اثناء فترة عملها لاستطلاع امكانيات السيطرة على الانتاج واعطاء « القيمة الحقيقية » للنفط المنتج من قبل الدول الاعضاء . الا ان محاولات الاوبك لم تنجح في وضع سياسة سيطرة على الانتاج ولم تنجح في اعطاء قيمة حقيقية للنفط المباع عالميا وحتى لم تفلح لحد الان في ضمان عدم تآكل قيمة الفوائد النفطية الناجم عن التضخم العالمي وتدهور قيمة الدولار الاميركي . وبرأينا أن سبب العلة مرجعه عدم أخذ كمية الانتاج بنظر الاعتبار لتعيين سعر البترول وبالتالي تحديد قيمته الحقيقية على ضوء المتغيرات التي تحدث في اسعار العملة المستلمة مقابل هذا النفط . إذ أن قابلية التحكم في الكمية المنتجة تتضمن قابلية احتكارية وهذا هو الواقع بالنسبة لمجموعة من الدول تنتج النسبة الكبرى من مجموع الطلب العالمي كما هو الحال بالنسبة لدول منظمة اوبك بصورة عامة ودول الاوبك بصورة خاصة . وبالتالي فان هذه القابلية الاحتكارية تمكن المنتج من فرض اسعاره وفرض نوعية العملة التي يرغب بها مقابل ما يبيع من نفط . (٧)

هناك اعتبارات عديدة غير اعتبارات التسعير توجب الأخذ بمبدأ السيطرة على الانتاج وتقنينه وأهمها يتجسد في أن عدم السيطرة على الانتاج يعني تديرا في الثروة النفطية وذلك لعدم الاحتفاظ باحتياطي ملائم للفترة الزمنية المطلوبة لسد متطلبات التنمية الاقتصادية . ومن ثم يظهر التبذير في ان متطلبات الصيانة الحديثة للموارد النفطية تعني اتباع وسائل من شأنها المحافظة على ضغوط حقول النفط وهذا يعني ضرورة الانتاج بالسرعة والكمية التي تتطلبها هذه المتطلبات للصيانة ، ناهيك عن أن عدم السيطرة على الانتاج

معناه عدم ترك احتياطات نفطية لتصبح قاعدة صناعية واسعة ومعيننا لاحتياجات الطاقة المستقبلية وموردا للاموال المطلوبة في عمليات التنمية في المستقبل بما يتلائم وتوسع هذه العمليات وازدياد حجمها واهميتها . واهمية النفط بالنسبة للتنمية تظهر بصورة واضحة في الجدولين رقم (٣) و (٤) .

اننا مدركون للصعوبات التي واجهت مقترحات السيطرة والتقنين التي قدمت في الماضي والتي ستثار مستقبلا عند وضع مثل هذه المقترحات موضع التنفيذ ، وبخاصة تلك الصعوبات التي تمس مقدار حصص الانتاج والاعتبارات التي يجب ان تعتمد عليها ، الا اننا مدركون جميعا بان بعض الدول العربية المنتجة للنفط أصبحت متخمة بغوائضها المالية وغارقة في مشاكل امكانياتها الاستيعابية المحلية وتقلع من تدهور قيم ارضيتها واستثماراتها . بينما هناك دول نفطية عربية مدينة ولها من الامكانيات الاستيعابية ما يفوق مشاربها التنموية في الوقت الحاضر . وفي ظل هذه الحقائق من السهولة بمكان الاتفاق على المبادئ العامة او الاعتبارات التي يقوم عليها نظام السيطرة على انتاج النفط او تقنينه بين الدول الاعضاء في مثل هذا النظام .

ان القاعدة المثلى للسياسة الانتاجية العربية في حق السيطرة على انتاج البترول هي محاولة ايجاد معادلة تأخذ بنظر الاعتبار كمية وقيمة النفط ومتطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الاقطار العربية المنتجة للنفط ، آخذة بنظر الاعتبار متطلبات الحاضر والمستقبل وامكانيات الدول العربية فسي احتياطي النفط وقابليتها الاستيعابية لمشاريع التنمية . كل ذلك في اطار اعطاء القيمة الحقيقية للنفط كمصدر للطاقة بين بدائل طاقة اخرى .

ان اي اقتراح لما يجب ان تكون عليه كمية الانتاج في الدول الاعضاء في منظمة الاوبك او الاوابك عديم الجدوى في ظل الاسعار المتدنية للنفط قياسا مع اسعار بدائل الطاقة . اذ ما لم يستحوذ النفط على سعر يتماشى مع قيمته الحقيقية بعرف قيم بدائل الطاقة فاية معادلة تعين كمية الانتاج تصبح غير عملية وفي غير صالح الدول المنتجة للنفط . لذا فاننا نعتقد بان كافة المقترحات التي طرحت بمعادلة العرض مع الطلب العالمي على النفط مقترحات ضارة بمصالح الدول المنتجة للنفط .

ان نقطة البداية يجب ان تنطلق من محاولة التقليل المطلق للانتاج وبالتالي تعيين السعر وارتفاعه الى المستوى الذي يتماشى مع قيمة النفط الحقيقية بين مصادر الطاقة . حينذاك فقط وبعد مدة معينة يمكن ان ترفع شعارات تنماشى وتوازن العرض مع الطلب العالمي .

ان هدف الذين رفعوا مثل هذه الشعارات كان تحاشي المواجهة بين الدول المنتجة للنفط والمستهلكة له . ولكن لماذا كل هذا التردد والتخوف من المواجهة ؟ (٨) .

لقد عطينا الكثير من تردد المنتجين العرب عن العمل المشترك للسيطرة على الانتاج وكتانه لم يكن هناك فعاليات مشتركة قام بها المستهلكون لمجابهة الدول المنتجة للنفط ولم تلحق بمصالحنا اضرار جسيمة نجمت عن التضخم المالي العالمي وفي اسعار البضائع المصنعة المستوردة بالذات وعن حجب التكنولوجيا وتدهور قيمة الدولار وغيرها من الاجراءات والتطورات التي قامت في العالم المستهلك للنفط . (٩)

اتباع سياسة مشتركة لصيانة الموارد النفطية :

تشارك اقطار الخليج العربي فيما بينها بامتلاك مكامن نفطية مشتركة . اي ان المكنن النفطي يغطي اراضي اكثر من قطر واحد من هذه الاقطار . فهناك كما يبدو امتداد لمكن البرقان في الاراضي العراقية حتى انه يقال بانها يتصل بحقول الزبير النفطية . كما ان حقول دولة قطر متصلة بحقول دولة اتحاد الامارات . كما ان بعض المكامن السعودية مشتركة مع مكامن دولة الامارات . ثم مما لا شك فيه ان المكامن النفطية في الجرف القاري من الجزيرة العربية مشتركة فيما بين الاقطار التي لها سواحل على الخليج العربي . (١٠)

ان مثل هذه الوضعية الجيولوجية للمكامن النفطية تتطلب اتباع وسائل الصيانة الحديثة في استغلال الموارد النفطية والا اصبحت طرق استغلال مثل هذه المكامن غير كفوة ويحدث تبذير كبير في هذه الموارد النفطية . ولا يمكن فهم هذه الحقيقة دون فهم الاسس العلمية التي يقوم عليها الانتاج النفطي . ولا بد من فهم هذه الاسس حتى نعي أهمية مثل هذا الموضوع في الاستغلال الامثل للموارد النفطية العربية في منطقة الخليج العربي .

تعرف صيانة الموارد النفطية بأنها تحاشي التبذير قدر الامكان في الموارد النفطية في جوف الارض وخارجها وذلك باتباع الوسائل الكفوة في الاستخراج لزيادة كمية النفط المستخرج . ومن جملة ما يتضمنه هذا التعريف الاستعمال الصحيح للطاقة الموجودة في مكنن النفط والحصول على اكبر مقدار ممكن من المواد الهيدروكربونية (من نفط وغاز) الموجودة في هذا المكنن . وتتضح لنا هذه الناحية الفنية عندما نتذكر بانها قبل فتح مكنن النفط او الغاز ، تحتوي المواد المحتوية في هذا المكنن من نفط وغاز وماء على طاقة كامنة

على شكل ضغط . ولكن عندما يفتح البئر بعد حفره تتحول هذه الطاقة الكامنة الى طاقة حركية نتيجة للتفجير الذي يحدث للضغط بعد أن نزع بعض السوائل من المكمن بواسطة فوخته . وتبدأ السوائل بالحركة للطول محل ما أريج من سوائل . وبناء على هذه الخاصية تستغل الطاقة المخزونة في السوائل المختلفة كوسيلة لتحريك النفط والغاز من المكمن الى البئر ومن ثم الى سطح الأرض . وغني عن القول بأن مجموع الطاقة المتوفرة في المكمن هي مجموع الطاقة الكامنة في السوائل . وتجرى عادة دراسات فنية تتعلق بمقدار الطاقة المتوفرة في المكمن الواحد وفي مصادرها المختلفة . (١١)

في سبيل الانتاج الامثل للمكان النفطية تلاحظ ثلاثة أمور لها علاقة مباشرة بطاقة هذه المكامن هي :

- ١ — كمية الغاز والماء الموجودة في كل مكمن .
- ٢ — حجم ومسافات الابار المنتجة للنفط في كل مكمن .
- ٣ — تفهم العلاقة بين الناحيتين السابقتين مع أخذ طبيعة المكمن الجيولوجية بنظر الاعتبار .

ان الانتاج الامثل للمكان النفطية يتطلب في جملة المتطلبات الخاصة بالصيانة وفي الدرجة الاولى ضرورة المحافظة على ضغوط هذه المكامن واستغلالها استغلالا صحيحا . وهذا يعني باديء ذي بدء ضرورة تعين النسب المثلى الضرورية للانتاج الكفؤ لكل من :

أ — نسبة النفط للغاز

ب — نسبة النفط للماء .

وفي ظل هذه النسب وطبيعة المكمن الجيولوجية توضع الحدود المثلى للانتاج اي الكمية القصوى اليومية لانتاج كل مكمن دون تذبذب في طاقته الموجودة في الماء أو الغاز .

ومن ثم يجب أن نتذكر بان دفع النفط الى الاعلى اي الى فوهة البئر يتم اما بواسطة الغاز المذاب في النفط أو بواسطة الغاز الموجود فوق النفط أو بواسطة الماء الذي يحل محل النفط المستخرج . هذه هي القوى الطبيعية والتي تعتبر المصادر الطبيعية لانتاج النفط . والانتاج بواسطتها يعتبر اكفأ أسلوب للانتاج واقله تكلفة وهو ما يعرف في عالم الصناعة بالانتاج المرحلي الاول .

اما اذا بذرت هذه القوى أو مصادر الطاقة ، لسبب ما كحرق الغاز الطبيعي أو عدم الدراية بأصول الإنتاج الكثو أو عدم اتباع وسائل الصيانة الحديثة في دراسة طبيعة المكنم الجيولوجية ، يستعان حينئذ بوسائل ميكانيكية لرفع النفط من المكنم وذلك إما بحقن غاز الى المكنم أو حقن ماء أو مجرد استعمال مضخات لرفع النفط . إلا أن مثل هذه الوسائل مهما كانت مصادرها فهي أقل كفاءة من الوسائل الطبيعية وأكثر كلفة . كل ذلك يجعل من الضروري ضبط كمية النفط المسوح بإنتاجها والتي تعتبر النسبة القصوى للإنتاج . وأن أية زيادة في الإنتاج أو تقليصه تؤدي بالتالي الى انخفاض الضغط في المكنم بصورة مبكرة مما يؤدي الى تحرر الغاز المذاب وعدم انتظام تقدم الغاز والماء للاختلاط بالنفط وضياع قسم كبير من النفط الممكن إنتاجه (١٢) .

ومما سبق ذكره يظهر لنا بوضوح أن الاستقلالية في إنتاج المكنم النفطية المشتركة تعني عدم العناية بالقابلية الانتاجية لهذه المكنم وبالتالي تبذيرا للموارد النفطية العربية ، الأمر الذي يتطلب تكوين لجان مشتركة بين الاقطار الخليجية ذات العلاقة لدراسة مثل هذه المكنم وتعيين مواصفاتها وبالتالي تحديد النسبة القصوى للإنتاج . وإي أهمل لمثل هذا الإجراء سيلحق الضرر بجميع الجهات المعنية ، وبخاصة عندما تحل المنافسة والسباق بين المنتجين للحصول على أكبر كمية ممكنة من النفط الموجود داخل المكنم المشترك . أن تاريخ صناعة النفط في الولايات المتحدة الأمريكية والمكسيك وغيرها مليء بقصص الضرر الذي لحق بالموارد النفطية لهذه البلدان نتيجة لعدم اتباع وسائل الصيانة الحديثة أو الإنتاج المشترك للحقول النفطية المشتركة . أن خير جهة تبدأ ببحث هذا الموضوع ، هي بدون شك ، منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول وذلك بجمع الاقطار المعنية في ندوات أو حلقات نقاش لتفهم أهمية مثل هذه الإجراءات في الحصول على الاستقلال الأمثل لمواردها النفطية . وفي الواقع بدأت هذه المنظمة التحضير لمثل هذه المهمة على إثر ندوة المكنم النفطية التي عقدت في تشرين الثاني نوفمبر ١٩٧٧ ، أملين أن تستمر مثل هذه الجهود وتأخذ دورها في التنفيذ والاتساق على عمل دائم للجان مشتركة تسيطر على أعمال الإنتاج وصيانة المكنم النفطية المشتركة . ومن ثم أن للدائرة القانونية في المنظمة مسؤوليتها هي أيضا في عرض نموذج يحتذى به لقانون صيانة الموارد النفطية على ضوء المتوفر من دراسات ومعرفة في هذا الشأن ، ولها في الدائرة القانونية لمنظمة الاوبك خير مرشد في هذا المجال (١٣) .

أن تنفيذ عمليات صيانة مشتركة للحقول المشتركة سيأتي بطبيعة الحال بضرورة استغلال الغاز المنتج بصورة مشتركة أيضا . وهذا معناه أنه سيأتي

اليوم الذي نشاهد فيه مشاريع غاز مشتركة تستغل غاز المكائن المشتركة في اعمال الصيطة او التصنيع او التصدير . والعالم العربي غني في الغاز مقارنة بكمية الانتاج منه في الوقت الحاضر ، كما هو واضح في الجدول رقم (٥) . وبالإضافة الى ذلك فان العالم أخذ بالاستغلال الاكثر فالاكثر لثروته الغازية (انظر الجدول رقم ٦) .

سياسة موحدة في فروقات الاسعار :

لم يلعب عامل دورا اكبر في زرع الشك وعدم الثقة بين الدول العربية المنتجة للبتترول خلال السنين السبعة الاخيرة من عامل فروقات الاسعار . ففي الوقت الذي اتفقت فيه الدول المنتجة للبتترول الاعضاء في منظمة الاوبك على سعر معين لنفط القيلس ، الا انها بقيت دوما في شك ازاء ما يتعلق بأنواع النفط المختلفة عن هذا النفط سواء كان مصدر الاختلاف كثافته أو محتواه الكبريتي أو بعده عن المستهلك النهائي أو شروط الدفع عند الشراء .

ان مصادر الاختلاف هذه تتضمن العديد من التعقيدات والاجتهادات ، الامر الذي جعل حل مشكلة فروقات الاسعار من الامور الصعبة بمكان . وما زاد الطين بلة ، وعقد في الموضوع ، ان الحل لهذه المشكلة قد ترك في غرف مظلمة مغلقة على ما يسمى بـ « منظمة اوبك » . ولم تعرض المشكلة لجمهور المختصين من خارج هذه المنظمة ، بما تحتويه من تفاصيل ، ليجتهد هؤلاء ويمحصوا في الحل المنشود . كما لم تنتشر المشاكل ولا الحلول المطروحة على المنظمة بصورة منفصلة وعلنية ، ليتمكن المهتمون من ابداء الراي أو الحصول على المعرفة . وفي العادة لا يسمع من هم خارج الاوبك الا تبادل الاتهامات بين الاطراف المعنية عن وجود سوق سواء للبتترول حيث يبيع بأسعار غير متفق عليها بواسطة اعطاء خصومات فادحة ، أو التساهل بشروط الدفع أو المقايضة الملقومة ، أو السماح لبعض الاعضاء بإجراء خصومات في اسعار نفطه وعدم السماح لآخرين بالحصول على مظهر أو غيرها من تراشق للتهم امام امين العالم بأجمعه . كل هذا قد جعلنا نعطي هذا الموضوع مكانة لائقة به في بحثنا هذا ، لنثير الانتباه حوله ونبرزه للعيان ليكون ركنا من اركان السياسة النفطية العربية الموحدة ، التي تحتاج الى تنسيق عربي موحد بالسرعة الممكنة ، حفاظا على وحدة الصف العربي في السياسة البترولية وحماية للمصالح الاقتصادية العربية . اتنا سوف لا نقترح حلا ، لو نضع معادلة لحل هذه المشكلة ، بل نحاول إبراز المشكلة ولفت النظر اليها ، وإلى التأكيد عليها وعلى ضرورة حلها ، باشتراك كل الجهات المعنية من « خبراء » داخل الاوبك وخارجها وعلى الاخص اولئك المهتمين بها من أعضاء منظمة الاططار العربية المصدرة للبتترول .

سمعنا الكثير عن كون المشكلة صعبة الحل لما تحويها من تعقيدات وملابسات ، ونقول اذا كان الامر كذلك ، فلماذا لا تطرحوها بأبعادها على الراي العام المختص ، ليعرف الحقائق وبالتالي يقول كلمته فيها . نقول لماذا لا تبحثوا في تفاصيل هذه الأبعاد وتعقيداتها لتكن أدوات يستعان بها في اي حل مطلوب . أن أغرب الغرائب في عالم صناعة النفط العربية هي عدم وجود أية دراسة منشورة معتمد عليها وصادرة عن جهة فنية رسمية تتعلق بموضوع فروقات الاسعار ، واذا سمع المرء عن مشاريع قدمت الى منظمة الاوبيك فان الموضوع لا يعتمدى مذكرة او عدة مذكرات قدمت الى اراشيف المنظمة وبصورة سرية ولم يكتب لمثل هذه المذكرات ان ترى نور شمس الراي العام النفطي العربي .

جذور مشكلة فروقات الاسعار :

تتبع مشكلة فروقات الاسعار من عدة جذور منابتها تقع في نوعية النفط الخام من حيث الكثافة ونسبة الكبريت فيه ، والمسافة التي تفصل بين منابع النفط ومراكز الاستهلاك والتي تتطلب نقله ، ومدة دفع اثمان النفط المشتري .

١ - نوعية النفط من حيث الكثافة والمحتوى الكبريتي :

من الناحية العلمية يصنف النفط الخام عادة وفقا لمكوناته الهيدروكربونية ، فهي اما أن تكون (١٤) :

زيوت بارفينية وهي تلك الطابع البارافيني الواضح ، أو زيوت نافثية وهي ذات طابع نفتي واضح ، أو زيوت اسفلتية وهي ذات طابع عطري اروماتيكي . ولما كانت الزيوت تختلف منتجاتها بما تحتويه من نسب لهذه المركبات ، لذا تصنف بصورة تفصيلية حسب التصنيف التالي :

نفط بارافيني / برافيني : منتجاتها الخفيفة والمتوسطة والثقيلة من نوع بارافيني .

نفط بارافيني / نافثي : المنتجات الخفيفة بارافيني بينما المتوسطة والثقيلة من نوع نافثي .

نفط نافثي / نافثي : منتجاتها الخفيفة والمتوسطة والثقيلة من نوع نافثي . الا ان هذا التصنيف تصنيف علمي كيميائي بعيد عن دارس الاقتصاد .

والصنيف الأكثر استعمالا في عالم التجارة هو الذي يعتمد على الكثافة النسبية للنفط الخام بالإضافة الى محتواه الكبريتي . واعتمادا على معادلة

وضعها معهد البترول الاميركي يصنف النفط الخام الى ثلاثة اصناف : خفيف ، متوسط او ثقيل : تبعاً لسيادة نسب المشتقات فيه ، وعلى اساس شيوع نسبة المشتقات الخفيفة او المتوسطة او الثقيلة فيه . فالنفط الذي تكثر فيه نسبة المشتقات الخفيفة (كالبنزين ومادة النفثا مثلاً) يسمى بالنفط الخفيف . اما الذي تكثر فيه المشتقات المتوسطة (كزيت الديزل مثلاً) يسمى بالنفط المتوسط . اما النفط الذي تكثر فيه المشتقات الثقيلة (كزيت الوقود وزيت السفن) فيسمى بالنفط الثقيل . ولما كانت المشتقات الخفيفة تستحوذ اسعاراً عالية في سوق المنتجات النفطية لذا فالنفط الخام الخفيف يستحوذ اسعاراً عالية في سوق النفط الخام ويليه النفط المتوسط ومن ثم الثقيل — كما هو مبين في الجدول رقم (٧) .

وهكذا فان احتواء النفط الخام على الكبريت يؤثر على سعره . فكلما زادت نسبة الكبريت فيه كلما قل ثمنه لما للكبريت من اثر على تآكل المحركات . كما ان نسبة الكبريت تجعل من عملية احتراق النفط الذي يحويه اكثر تلوثاً للبيئة وهو امر تمنعه العديد من الدول الا بحدود واطئة معقولة . ويعبر عن كثافة النفط الخام بأرقام ، كلما زادت دل على خفته ويلحق بالرقم هذا حروف تدل على اسم معهد البترول الاميركي . وتعتبر درجة A.P.I 35 الحد الفاصل بين الخفيف والمتوسط ودرجة A.P.I 28 الحد الفاصل بين المتوسط والثقيل . فما زاد عن A.P.I 35 يعتبر نفطاً خفيفاً . وما تراوح بين A.P.I 35 و A.P.I 28 متوسطاً . وما كان دون ذلك فهو نفط ثقيل . وفيما يلي نموذج لاوزان بعض النفط الخام الذي يدخل سوق النفط العالمية .

مصدر النفط	درجة الكثافة	نسبة الكبريت
خام امريكي / بنسلفانيا	٣٢.٥	٠.٣٠ ٪
خام مكسيكي	١٤	٤.٣ ٪
خام عربي خفيف	٣٤.٥	١.٧ ٪
خام كويتي	٣١.٥	٢.٦ ٪
خام فنزويلي (ثقيل)	٢٤	١.٥ ٪
خام جزائري	٤٥	١.٠ ٪
خام ليبي (سيدر)	٢٧	٢.٣ ٪
خام ايراني ثقيل	٣١	١.٦٠ ٪

خام عراقي كركوك	٣٦	١٨٥ ٪
خام عراقي بصرة	٣٤	١٩٠ ٪
خام قطر ، دخان	٤٠	١٠٧ ٪
خام ابو ظبي / مريان	٣٩	٨٠ ٪
خام ابو ظبي / ام الشيف	٣٧	x
خام اكوادور	٢٠	٨٠ ٪
خام اندونيسي / ميناس	٣٥	٠٠٨ ٪

ان جذر مشكلة فروقات الاسعار المتعلقة بدرجة الكثافة والمحتوى الكبريتي قد ظهرت بعدما اعتمد النفط العربي الخفيف كنقطة قياس ووضع له سعر معين (١٥) ، فالمسألة التي برزت هي كم نعطي من الاسعار لانواع النفط الاخرى التي تختلف عن نفط القياس كثافة ومحتوى للكبريت ؟ . ناهيك عن أخذ المحتوى الشمعي له بنظر الاعتبار ايضا . ان بعض انواع النفط تحتوي على مادة البارافين اكثر من غيرها وهي صفة غير مرغوب بها لان الشمع يجعل من النفط مادة اكثر لزوجة وبالتالي اقل تدفقا في الانابيب خاصة في الفصول والبلاد الباردة ، كما هو الحال بالنسبة للخامات الليبية والجزائرية . (١٦)

٢ — فروقات الاسعار الناجمة عن المسافة وتكاليف الشحن :

ان جذر الجانب الثاني لمشكلة فروقات الاسعار نابع عن كون النفط ينتج في مناطق مختلفة المسافة بالنسبة للمستهلكين ، ومن ثم فهناك العديد من الوسائل التي تعين اجور الشحن البحري تبعا لمن يملك الناقلة بحيث يصبح من الممكن شراء النفط الخام باسعار مختلفة تبعا للمتغيرات الالفة الذكر (١٧) . ان معالجة هذا الموضوع تبدو ناقصة دون الولوج في موضوع النقل البحري للنفط الخام ومنتجاته ، ولكن ضيق المجال للبحث يجعل من غير الممكن انجاز مثل هذه المهمة . ولطه من الممكن ان نفى بالفرض المطلوب ، اذا اوجزنا القول بأنه لما كانت المسافات بين المنتجين والمستهلكين مختلفة ، ولما كانت هناك مؤسسا تبخلفة تقوم ب مهمة النقل البحري والتي تتكون عادة من شركات النفط والشركات المستقلة الناقلة وكل منها على استعداد لتقاضى اجور شحن مختلفة عن الاخرى ، كل ذلك يجعل من الممكن دفع اسعار مختلفة لنفس النوع من النفط في الاماكن المختلفة وحتى من الممكن دفع اسعار مختلفة لنفس النوع من النفط الخام اذا كانت هوية الناقلين مختلفة .

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو كيف نتمكن في مثل هذه الظروف وفي سوق نقل بحري متقلب أن نضع مقياسا لاسعار البترول تجعل من هذه الاسعار اساسات متناسبة فيما بينها يتناسب مسافات مناجمها بالنسبة لمواقع المستهلكين ؟ ومن ثم ، ماذا ستكون نسبة التوازن هذه او صيغة المعادلة المقترحة للتعاادل اذا كانت هوية الشركات الناقلة مختلفة . . . هذا هو صلب قضية اثر تكاليف الشحن في مشكلة فروقات الاسعار .

٢ - شروط الدفع ومشكلة فروقات الاسعار :

العرف المتبع في سوق النفط العالمي هو ان يتم دفع قيمة النفط المباع خلال مدة شهرين من تاريخ استلام النفط ولقد أصبحت هذه المدة عرفا وشروطا ثبت في الاتفاقيات الاقليمية التي عقدت بين الدول المنتجة للبترول . الا ان مدة الدفع هذه قد برزت كمشكلة عندما لجئت بعض الدول المنتجة للبترول الى اعطاء مدة زمنية للدفع امدحا ثلاثة اشهر . ويفضل المشتري - بطبيعة الحال - المدة الطويلة على المدة القصيرة ، وبالتالي يفضل ان يشتري النفط الذي يتمتع بمثل هذه الميزة . وهذا الانسحاق بين الاطراف المعنية في صفقات البيع والشراء من الامور الخاصة بهذه الاطراف . ومن الصعوبة بمكان مراقبته او السيطرة عليه ، او حتى معرفة حدوثه . ولكن عندما يفشى السر يصبح مصدرا مؤلما من مصادر عدم الثقة وبالتالي الشك لدى الآخرين .

محاولات لتنسيق فروقات الاسعار في السنين الاخيرة :

في ظل جذور مشكلة فروقات الاسعار حاولت منظمة الاقطار المصدرة للبترول (الاوبك) تنسيق فروقات الاسعار سواء كان هذا التنسيق يشمل الاعضاء بصورة عامة او بعض الفرقاء في بعض المناطق الاقليمية . الا ان جهود التنسيق هذه قد تركزت بصورة رئيسية على ايجاد معادلة تربط فروقات الاسعار الناجمة عن اختلاف اوزان النفط . سنحاول هنا البقاء الخشوع على بعض المعالم البارزة لمثل هذه المحاولات . بما تيسر لدينا من معلومات . اذ كما أسلفنا ذكره ، معظم هذه المحاولات بقيت في السر ولم تنشر بصورة رسمية ، وكل ما هو متيسر للباحثين هو بعض المعلومات التي تسربت من الاجتماعات المغلقة .

ابتداء من اتفاقية طهران في ١٥ شباط فبراير ١٩٧١ ، نستعرض هذه المحاولات في التنسيق ، فنقول ان هذه الاتفاقية قد حددت فروقات الكثافة بمعدل ١٥ سنت لكل درجة (بدلا من ٢ سنت كما كان معمول به سابقا) لكل الخامات ما دون ٤٠ من الكثافة حتى درجة ٣٠ وعلى ان يتفق فيما بعد

حول الفروق في الخامات التي يقل وزنها عن ٣٠ درجة ، كما طبقت العلاوة على عشر الدرجة بدلا من الدرجة الكاملة . وعلى اثر هذه الاتفاقية فوضت دول منظمة الاوبك المعنية (العراق والجزائر والسعودية) ليبيا للقيام بمفاوضات بشأن اسعار النفط المصدر من الموانئ العربية في البحر الابيض المتوسط . وكنتيجة لهذه المفاوضات وقعت اتفاقية طرابلس الثانية في ٢٠ اذار مارس ١٩٧١ مع الشركات النفطية المعنية ، وتم الاتفاق بالنسبة لفروقات الاسعار على ان تعطى علاوة كثافة للنفط الليبي قدرها ٢ سنتا لكل درجة فوق ٤٠ درجة و ٥ سنتا لكل درجة دون ٤٠ درجة وبنفس المقدار لكل عشر درجة . وقد تضمن السعر الاساسي للنفط الليبي من كثافة ٤٠ درجة وهو ٣٠.٧ دولارا للبرميل علاوة كبريت قدرها ١٠ سنتا للخامات ذات المحتوى الكبريتي ما دون ٥٠ ٪ . هذا اضافة لعلاوة قناة السويس البالغة ١٢ سنتا لكل برميل طالما كانت القناة مغلقة .

الا ان قرار دول الخليج (الذي صدر في اجتماع الكويت بتاريخ ١٦ تشرين الاول اكتوبر ١٩٧٣) والخاص بزيادة اسعار النفط الخام بواقع ٧٠ ٪ عن مستواه الذي اتفق عليه في طهران سنة ١٩٧١) قد خلخل نظام فروقات الاسعار الخاصة بالكثافة والشحن الذي جاء في هذه الاتفاقية ، الامر الذي اضطرت معه منظمة الاوبك لان تجتمع في طهران في ٢٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ لاتخاذ قرارات حاسمة لم تقتصر على زيادة اسعار النفط الخام بواقع ١٣٦ ٪ عن مستوى اسعار طهران ، بل وضع نظام مرحلي اولى يتعلق بالاسعار وفروقات النوعية . واهم ما جاء في هذا النظام الذي له علاقة مباشرة بموضوعنا هي الاجراءات التالية : (١٨) .

١ — اعتمد النفط العربي الخفيف من وزن ٣٤ درجة المصدر من ميناء رأس تنورة كخط قياسي وحدد سعره بـ ١١.٦٥١ دولارا امريكي للبرميل .

٢ — زيادة ٦ سنت امريكي لكل درجة كثافة أعلى من نفط القياس وتخفيض ٣ سنت امريكي لكل درجة اقل من نفط القياس .

٣ — اعطي للدول المنتجة الحق في فرض علاوة على نفطها اذا كانت نسبة الكبريت فيه اقل من نسبة الكبريت الموجودة في نفط القياس وبالبالفة ١.٧٠ ٪ .

٤ — تحديد علاوة الشحن على اساس معدلات الشحن العالمية لعام ١٩٧٣ واعتمادا على المقياس العالمي ٧٢ وبافتراض المسافة بين كل ميناء تصدير ونقطة وهمية سميت جزيرة كوين .

وعلى أثر ذلك أعلنت كل من أبو ظبي وليبيا العلاوات الخاصة بالمحتوى الكبريتي لخاماتها . اذ أعلنت أبو ظبي العلاوات التالية بالنسبة لنفطها الخام ذي المحتوى الكبريتي المنخفض :

النفط الخام	نسبة الكبريت	علاوة الكبريت دولار / البرميل
مبرز	٠.٧	٠.٧٥
مريان	٠.٧٥	٠.٧٠
زاكوم	٠.٩٥	٠.٥٥
أم شيف	١.٣٥	٠.٢٥

أما ليبيا فقد حددت علاوات المحتوى الكبريتي على أساس ١٣٣٦ دولارا للبرميل للخامات من كثافة ٤٠ درجة .

لم يبرهن هذا النظام المؤقت لاحتساب فروقات الاسعار فعاليته لحل المشكلة ، اذ سرعان ما سبب هذا النظام مشكلة ذاتية ظهرت نتيجة له . فقد بدأ الطلب يزداد على الخامات الثقيلة ويقل على الخامات الخفيفة ، نتيجة لارتفاع الاسعار الناجم عن علاوات الكبريت ، الامر الذي سبب قلما للمنتجسي النفط الخفيف . وكل ذلك ادى الى أن تقسوم منظمة الاوبيك بجهود لقبث « بالبحث العلمي » عن المعادلة التي تضمن طلبا متوازنا على أنواع الخامات المختلفة وذلك بأجراء دراسات ميدانية والاستعانة بالمستشارين بهدف الوصول الى مثل هذه المعادلة .

الا أن نتائج الدراسة التي قامت بها منظمة الاوبيك لم تعرض للمناقشة حتى عام ١٩٧٥ ، الامر الذي حدا بالاعضاء الى التعجيل في دراسة الموضوع ، ووضع حد للفروقات المجففة التي لحقت بخاماتها . وقد تحقق طلب الاعضاء هذا في اجتماع اللجنة الاقتصادية التي عقدت في الفترة ١٠ - ١١ كانون اول (ديسمبر) ١٩٧٤ عندما قررت اللجنة الاجراءات التالية :

- ١ - تقييم الفروقات لنفط الخليج على اساس ٩٣ ٪ من التقييم على اسعار عام ١٩٧٣ .
- ٢ - وضعت فروقات معينة لخامات المنتجة في أمريكا اللاتينية وشمال افريقيا واندونيسيا .
- ٣ - عدلت فروقات الشحن حسب حقائقي جديدة خاصة بالسوق .

٤ - اعطاء مرونة في الاسعار بحدود ٥ سنت امريكي للبرميل .

غير أن هذا الاجراء لم يغير من وضع السوق الخاص بالطلب المنخفض على النفط الخفيف لصالح النفط الثقيل ، الامر الذي حدا بحكومة ابو ظبي مثلا أن تخفض علاوة الكبريت خلال الربع الاول من عام ١٩٧٥ الى المستويات التالية :

خامات مريان الى ٣٠ سنت للبرميل .

خامات زاكم الى ١٥ سنت للبرميل .

خامات ام شيف الى ١٠ سنت للبرميل .

وبناء على هذه التطورات اتمر مؤتمر منظمة الاوبك في ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٧٥ تخفيض علاوات الكثافة الى النصف بحيث أصبحت العلاوة لكل درجة أعلى من ٢٤ درجة (نفط القياس) ٣ سنت امريكي بدلا من ٦ سنت امريكي ، ودعا المؤتمر بالحاح الى ضرورة وضع نظام لاسعار الخامات ، من شأنه الاعتبار أن يقضي على مشكلة فروقات الاسعار الخاصة بالكثافة والشحن آخذا بنظر معطيات السوق .

على اثر هذه الدعوة قامت المنظمة بالاستعانة ببعض بيوت الخبرة وبيع بعض الخبراء الاجانب لوضع نظام دائم للاسعار يتفادى مشاكل الفروقات ، فاستعانت بالمستشار الاجنبي باتل وكذلك بمعهد الطاقة بجامعة لندن ومعهد البترول الفرنسي . الا أن جميع المقترحات التي تقدمت بها هذه الجهات لم تسفر عن نتيجة عملية يحتذى بها أو حظيت بموافقة جميع الاعضاء . (١٩)

كما تقدمت العديد من الاقطار الاعضاء بالمنظمة بمشاريع لنظام دائم مستقر ، الا أن حظها لم يكن مختلفا عن مشاريع المؤسسات الاجنبية . فقد كان هناك المشروع الجزائري (أسلوب القيمة الاستبدالية) والمشروع العراقي والمشروع الفنزويلي والمشروع السعودي والمشروع الكويتي . الا أن جميع هذه المشاريع لم يكتب لها الموافقة الجماعية لفشلها في اعطاء نظام يحدد الفروقات الخاصة بكل انواع الخامات التي تنتج في الاقطار الاعضاء في المنظمة . (٢٠) وهكذا استمر العمل بالنظام المؤقت الذي سبق الإشارة اليه مع تعديلاته اللاحقة . الا أن الفوضى في الفروقات بقيت قائمة وبالصورة التي وصفناه في اول بحثنا ، الامر الذي يتطلب الدراسة العاجلة وضرورة التنسيق . ونقطة البداية في مثل هذه الدراسة توضيح المشكلة للرأي العام المختص وقيام الجهات العربية المختصة بتوفير الجهود والمال اللازمان لمثل هذه الدراسة ليكون الجانب العربي — على الاقل — محيطا بحثيثات المشكلة . اما الامر

الآخر الذي يجب أن يواكب هذه العملية فهو ضرورة نشر جميع الدراسات التي قامت بها منظمة الاوبك أو التي تقدمت بها بعض الجهات الفنية — خاصة كانت أم رسمية — لتوضيح الصورة أمام الباحثين والمختصين خارج حلبة منظمة الاوبك . وبما حبذا لو تقوم منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول بمهمة الدراسة هذه لتكون ارشادية أو توضيحية لمعالم الطريق المسدود هذا . فهل تتمكن هذه المنظمة من هذا العمل البناء .. ؟ .

نتائج واستنتاجات :

لقد ركز بحثنا على ثلاثة اركان من السياسة النفطية العربية المشتركة هي التنسيق في السيطرة على الانتاج ومن ثم الاسعار واتباع سياسة موحدة بصدد صيانة الموارد النفطية وضرورة وضع سياسة نفطية موحدة بصدد تنسيق فروقات الاسعار .

فقد اكدت الدراسة على الفوضى الموجودة في انتاج النفط في الاقطار العربية المنتجة للنفط واكدت على ضرورة التنسيق في الانتاج . وليس بالامر المستطاع وضع سياسة بترولية موحدة خاصة بدول الخليج وذلك لان اقطار الخليج بما تربطها من روابط وثيقة بالانتاج النفطي العربي بصورة خاصة وانتاج الدول الاعضاء في منظمة الاوبك لا تتمكن أن تتبع سياسة انتاجية مستقلة عن الاقطار الاخرى الاعضاء في منظمتي الاوبك والاوبك . ان الدراسة قد اكدت بصورة واضحة ، وبذا قد اضافت صوتها الى جملة الاصوات المرفوعة بهذا الصدد ، بأن الفوضى في الانتاج معناه الفوضى في الاسعار . لذا فالسيطرة على الانتاج معناه السيطرة على الاسعار ومن ثم السيطرة على التبذير في الموارد النفطية وعلى المنافسة الضارة بمصالح جميع المنتجين العرب . فعلى الرغم من الصعوبات التي ستواجهها اقطار المنطقة العربية في ايجاد معادلة للسيطرة على الانتاج وتقنينه فيما بينها ، فان الخسارة والضرر المترتبين عن غياب هذه المعادلة يفوق بحدوده اية صعوبة أو صعاب . ونظرا لعداحة النتائج المترتبة عن غياب السيطرة ، اقترحنا أن تقوم منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول بمهمة المبادرة في جمع الصف للسيطرة هذه ووضع المعادلة أو المعادلات المطلوبة والقيام بكل ما هو نسي صلب تنسيق السياسة البترولية في هذا المجال أو غيره ، وبخاصة وان المنظمة مسؤولة بما نصت عليه اتفاقيتها — عن القيام بمثل هذه المهام .

ولقد توصلت الدراسة الى ضرورة التنسيق في صيانة الموارد النفطية وذلك بواسطة الانتاج المشترك للمكان النفطية المشتركة بين اقطار الخليج العربي ، ذلك انه هناك مكان نفطية مشتركة بين الاقطار المجاورة من اقطار الخليج . فهناك مكان مشترك بين العراق والكويت مثلا ، وبين قطر

والامارات ، وبين الامارات والسعودية . ولغرض الحصول على الانتاج الامثل ، واستغلال الغاز والماء ، والتي اليها يرجع قابلية المكان في دفع النفط وانتاجه بصورة طبيعية ، اقترحنا ضرورة تكوين لجان مشتركة لدراسة الصفات الجيولوجية للمكان المشتركة ومن ثم تعيين الحدود الدنيا وانعليا لانتاج كل بئر من الابار وتعين المسافات بينها ومن ثم السيطرة على نسب الغاز الى النفط ونسب الماء الى النفط وغيرها من مواصفات الصيانة العلمية الحديثة للموارد النفطية . وكنتيجة ملازمة لمثل هذه العملية ، اقترحنا ضرورة الاستغلال المشترك للموارد الغازية في مثل هذه المكان المشتركة . كمسا اقترحنا أن تقوم منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول بدور الرائد في جمع الصف الخليجي العربي في هذا المضمار .

اما بصدد الركن الثالث من اركان السياسة النفطية العربية المشتركة التي تناولنا بحثها والمتعلقة بفروقات الاسعار ، فقد اثير البحث بصورة واضحة الى الفوضى الموجودة في فروقات الاسعار للنفط العربي والخاصة بالكثافة او الوزن والشحن وشروط الدفع . اذ بعد أن عين سعر نفط القياس ، وضعت فروقات لاسعار انواع النفط الأخرى لا تتماشى مع معطيات السوق ولم تعط المرونة الكافية للتكيف حسب هذه المعطيات ، ومن ثم فان مثل هذه الفروقات وضعت وكأنها اعتباطية ، الامر الذي ادى الى عدم قيام السدول الاعضاء في منظمة الاوبك باتباع مثل هذه الفروقات واعطاء الخصميات غير المتفق عليها والبيع في السوق السوداء . كما أن طبيعة ملكية الناقلات تد زادت المشكلة تعقيدا . كل ذلك بعث الشك وعدم الثقة بين الدول الاعضاء في منظمة الاوبك . لقد حاولت هذه المنظمة حل المشكلة بالاستعانة ببعض بيوت الخبرة الاجانب او الاعتماد على بعض المعادلات او المشاريع المقترحة من قبل الدول الاعضاء كالمشروع الجزائري والعراقي والفرنزولي وغيرها ، الا أن هذه المحاولة قد فشلت .

كنا واضحين باعترافنا بالتمتع الذي تتميز به مثل هذه المشكلة لما تحويه من متغيرات وحديثات وتفاصيل . كل ذلك جعلنا لا نضيف معادلة جديدة الى جملة المعادلات التي قدمت بهذا الصدد . الا أن جل تركيزنا في البحث كان على ضرورة جعل مناقشة فروقات الاسعار علنية وتوفير الحقائق والدراسات المقدمة الى الراي العام العربي المختص ليقول كلمته او رايه في المشكلة . اما أن تكون كل المناقشات والحقائق في السر والكتمان فهي ظاهرة غير صحية ونعزل ذوي الاختصاص من خارج الاوبك عن ابداء الراي أو الدراسة . ولقد اقترحنا ايضا أن تقوم منظمة الاوبك بمهمة الريادة في دراسة هذه المشكلة ووضع أعمدة ارشاد لها .

جدول رقم (١)
تطور الاحتياطي والاحتياج المالي من التمتع لعام
في السنوات ١٩٧٢ - ١٩٧٦

الاحتياج المالي (بمليين الريالين جديدا)	الاحتياطي المالي (بمليين الريالين)				
١٩٧٦	١٩٧٥	١٩٧٤	١٩٧٣	١٩٧٢	١٩٧٢
٢٠.٧	٢٧.١	٢٠.٧	٢٠.١	٣٦.٨	٤٢٠
١٨.٢	١٦	١٧.٦	١٨.٠	٢٨.٧	٢٠.٩
٤٤.٨	٤١.٤	٤٥.٢	٤٥.٨	٥٠.١	٥٢.٨
٥٧.٤	٥٣.٢	٥١.٦	٥٥.٨	٥٩.٩	٦٢.٨
٦٧.٩	٦٥.٥	٦٧.٩	٧٨.٤	٨٠.٢	٧٨.٦
٥٣.٠	٥٠.٩	٥٤.٧	٦٦.٤	٦٨.٠	٦٦.٩
٤٠.٩	٣٨.٧	٣٨.٩	٣٩.٣	٥٧.٢	٥٨.٥
٣١.٩	٣٠.١	٣١.٤	٣٢.٢	٤٧.٩	٤٩.٢
٢٧	٢٦.٨	٢٩.٠	٢٨.٢	٢٢.٤	٢١.٢
٢١.٩	٢٠.٩	٢٣.٤	٢٣.١	١٨.٧	١٧.٨
				٤٣	٤٧
				٥١	٥٧
				٢٠	٢٤

المصدر : جدول الإنتاج ورسم (٢٢) ، و جدول الاحتياط ورسم (٢٢) وفق تقديرات مجلة * باستثناء الاحتياج المؤقتي والسكن على وجه التحديد حيث أن بقية الدول الاشتراكية ستنال حصة الاحتياطي والإنتاج تلك رقعا متباعدة . انظر ص ٧٥ ، منظمة التجارة العالمية والمركز للزول ، التقرير السنوي الإحصائي ١٩٧٦ ، الكويت ١٩٧٧ ، ص ٧٥ .

جدول رقم (٢)
التقديرات المستقبلية للطلب المحلي والعالمي على نفط
دول أوبك (مليون برميل يوميا)

١٩٨٥	١٩٨٠	١٩٧٤	
٢٥	٢٣	١٤	الاستهلاك المحلي في أوبك
٠.٨	٠.٥	٠.٣	استهلاك الدول العربية في أوبك
٠.٧	٠.٦	٠.٥	وقود سفن (أوبك)
٣٥١	٣٠٦	٢٨٩	صادرات أوبك
٣٩٣	٣٣٥	٣٠٨	إنتاج أوبك

المصدر : World Energy Outlook, P. 87 ، ما عدا استهلاك الدول العربية في أوبك لعامي ١٩٨٠ و ١٩٨٥ فاحتسب على أساس نسبته الفعلية لعام ١٩٧٤ من استهلاك دول أوبك وهي ٢١٤ ٪ . انظر :

منظبة الاقطار العربية المصدرة للبترول ، التقرير الإحصائي السنوي ١٩٧٦ ، الكويت ، ١٩٧٧ ، ص ٧٧ .

جدول رقم (٣)

الطلب المستقبلي المحلي على النفط لدول اوابك واوبك
(بملايين البراميل يوميا)

١٩٨٥	١٩٩٢	١٩٧٤	
١٢٦	٠.٨٣٠	٠.٤٩	استهلاك اوابك
٣٥	٢٣	١٤	استهلاك اوبك
٠.٧٥	٠.٥	٢	استهلاك الدول العربية في اوبك
٢٧٠٠	٢١٠٠	١٨١	انتاج اوابك

المصدر : ١ - ارقام عام ١٩٧٤ هي ارقام فعلية ،
فبالنسبة لاستهلاك دول اوابك والدول العربية في اوبك
محسبت من : UN, Energy Supplies 1950 — 1974.

وبالنسبة لدول اوبك فهي من تقديرات
OECD, World Energy Outlook.

ولما انتاج اوابك ضمن الجدول رقم (٢٣) .

٢ - استهلاك اوبك لعامي ١٩٨٠ و ١٩٨٥ هو من

وحسب استهلاك اوابك على اساس نسبته من استهلاك
اوبك لعام ١٩٧٤ أي بنسبة ٣٦ ٪ ، واستهلاك الدول
العربية في اوبك على اساس ٢١ ٪ من استهلاك اجمالي
دول اوبك .

٣ - تقديرات الـ OECD أن انتاج اوبك عام ١٩٨٥ سيكون
٣٩٢ مليون برميل يوميا وفي تقديرات معهد الابحاث
الاقتصادية للشرق الاوسط في اليابان انها ستنتج ٤١١ مليون
برميل يوميا وستكون حصة الدول العربية ٢٧٦ و همما
تقديران متقاربان وعلى هذا الاساس من التقديرات قدرنا
انتاج ٢١ مليون برميل يوميا عام ١٩٨٠ و ٢٧ مليون برميل
يوما عام ١٩٨٥ .

انظر : منظمة الاطوار العربية المصدرة للبترو ، التقرير
الاحصائي السنوي ١٩٧٦ ، الكويت ١٩٧٧ ، ص ٧٧ .

جدول رقم (٤)

تطور الطلب المحلي على الطاقة في الدول الأعضاء للإمف - إسرائيل (بما يعادل ألف برميل يوميا من النفط الخام)

تقديرات ملم ١٩٨٥ يناير ١٩٧٤/١٥	معدل الزيادة النسبية	١٩٧٤	١٩٧٣	١٩٧٢	١٩٧١	١٩٧٠	١٩٦٥	القطاعات المصنفة
	% ٦٩	٣٩,٥٠	٣٥,٩٧	٢٨,١٠	٣٦,٤١	١٧,٢٢	٠,٣٥	الإمدادات المصنفة
	% ٤٠,٤	٣٩,٠٨	٣١,٢٠	٢٣,٤٤	١١,١٦	٧,٨٢	١,٨٥	البحرين
	% ١٢,٦	١١٣,٠٥	٩٩,٨٢	٧٢,٦٤	١٧,٣١	١٦,٣٨	٣٩,١٦	الجزائير
	% ٨,١	١١٥,٦٧	١١٢,٥٢	١٠٢,٨٥	٩٣,٨٦	٨٨,٩١	٥٧,١٧	السعودية
	% ١١,١	٥٧,٢٠	٤٤,٢٧	٤٦,٢٨	٤٧,٣٩	٤٢,٧٨	٢٢,١٤	سوريا
	% ٩,٧	١٣٢,٦٨	٩٨,٧٦	١٠٢,٣٠	٨٦,٥٦	٨١,٣٢	٥٧,٢٨	العراق
	% ٣٨,٢	٢٢,٣١	٢٥,٤٣	٢٤,١٧	٢٠,١٨	٢٠,١٤	٢,٣٨	قطر
	% ١١,٦	١٢٥,٩٨	١٢٤,٦٤	١١٩,٤٤	١٠٦,٩٣	٩٦,٦٧	٤٦,٧٣	الكويت
	% ١٨,٩	٢١,١٣	٢٣,٧١	١٨,٩٥	١٦,٢٧	١٤,٥٣	٦,٥٧	ليبيا
	% ٢,٨	١٥٩,٣٥	١٤٦,٨٢	١٥١,٦١	١٣٦,٧٥	١٢٤,٦٥	١٢٤,١٢	مصر
	% ٥,٨	٨٣١	٧٤٢	٦٨٧	٦١٣	٥٦١	٣٥٨	الإجمالي من الطاقة
	% ٧	٤٩٣					٢٦٨	الإجمالي من النفط
	% ١٧	٣٢١					٧٨	الإجمالي من الغاز

المصدر : السنوات ١٩٦٥ - ١٩٧٤ من : 1974 - 1950 United Nations, Energy Supplies, تقديرات لملم ١٩٨٥
 لمصنوع محمل الطاقة والنفط على أساس معدل نموها النسبي في الفترة ١٩٦٥ - ١٩٧٤ مع مضاعفة الطاقة
 الأولية والمصدر الآخر هو سينتيفي الغاز ما تبقى من احتياطات الطاقة .

نظر : منظمة الإطوار المبردة المبردة للبروق ، القرو - السنوي الإحصائي ١٩٧٦ ، الكويت ١٩٧٧ ، ص ٧١ .

جدول رقم (٥)

الاحتياطي المؤكد من الفاز الطبيعي عند نهاية العام
(تريليون قدم مكعب)

١٩٧٥	١٩٧٤	١٩٧٣	
			دولة الامارات العربية المتحدة :
٣١ر	٢٥ر٠	١٩ر٦	أبو ظبي
٢ر١	٢ر٢	٢ر٣	دبي
			الشارقة
٢٧ر٢	٢٧ر٥	٢٢ر٠	العراق
٤٧ر٧	٦٢ر٦	٦٥ر٣	الكويت
٧٣ر٤	٨٦ر٤	٨٢ر١	السعودية
٢ر٣	٢ر٤	٢ر٥	عمان
٤٧ر٨	٧ر٨	٨ر٠	قطر
٨ر٩	١ر٨	١ر٩	البحرين
٢ر٧	٢ر٧	١ر٣	سوريا
١١٥ر٥	١٠٠ر٢	١٠٠ر٠	الجزائر
٢٨ر٥	٢٨ر٣	٢٨ر٨	ليبيا
٢ر٩	٢ر٩	١ر٤	تونس
٢١٧٠ر٢	٢١٤٦ر٣	٢٠٦٢ر٠	بقية العالم
١٠٦ر٨	١١٣ر٨	١٠٨ر٦	المجموع العالمي

المصدر : منظمة الاطوار العربية المصدرة للبترول ، التقرير
الاحصائي السنوي ١٩٧٦ ، الكويت ، ١٩٧٧ ص ٨٤ .

جدول رقم (٦)

انتاج الغاز الطبيعي في العالم للسنوات ١٩٧٢ - ١٩٧٦

(مليون قدم مكعب/يومي)

الدول	١٩٧٢	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٦
الدول العربية				
ليبيا	١١٨ر٤	١١٢ر٢	٢٦٦ر٢	١٢٠٠ر٠
الجزائر	٢٢٧ر٩	٥١ر٤	٥٣ر٤	٧٠١ر٩
تونس	٥٧ر٠	٥٦ر٧	١٩٤ر٨	٤٦٢ر٠
العراق	٤٢٥ر٥	٢٥٤ر٢	٢٣٤ر٨	٢١٠ر٩
الكويت	١٥٩ر٢	١٢٧٩ر٢	١٠٤٤ر٢	١٠٨١ر٤
عمان			١٤ر٥	٢٤٠ر٤
مصر	٨٤ر١	١٣٦ر٢	١٢٨ر٦	١٧٧ر٦
المغرب	١٠١ر٩	٧٩ر٥	٨ر٨	٢٥ر٤
البحرين	٥٥ر٦	٩ر٠	٨ر٥	٦ر٠
قطر	٢٠ر٢	٤ر٧	م٠غ	م٠غ
الإمارات	١٢١٦ر٤	١٢٦٠ر٥	١١٩٦ر٦	١٣٧٢ر٢
سوريا	م٠غ	م٠غ	م٠غ	م٠غ
السعودية	م٠غ	م٠غ	م٠غ	م٠غ

المصدر : منظمة الإقططار العربية المصدرة للبترول ،

التقرير الإحصائي السنوي ١٩٧٦ ، الكويت ، ١٩٧٧ ، ص ٨٥

جدول رقم (٧)

أسماء المنتجات النفطية المصدرة من إيطاليا وروتردام
في النصف الأول لعام ١٩٧٧ (دولار للطن المتري)

المنتجات	إيطاليا	روتردام
	١٣٩ر٥٤	١٤٥ر٩٤
بنزين ممتاز	١٢٦ر٢٢	١٣٣ر٣١
بنزين عادي	١٢٤ر٧٧	١٢٨ر٣٧
نفثا	١٢٤ر٠٨	١٢٩ر٣٧
كيروسين وقود نفثات	١١٧ر٦٥	١١٨ر١٠
زيت الغاز	٨٢ر٠٠	٨٣ر٨١
زيت وقود ثقيل ١ ٪ كبريت	٧٢ر٧٥	٧٢ر١٢
زيت وقود ثقيل ٣.٥ ٪ كبريت		

المصدر : مجلة النفط والتعاون العربي ، الصادرة من منظمة
الاقتصاد العربية المصدرة للبترول ، المجلد الثالث ، العدد
الرابع ، ١٩٧٧ ص ١٤٤ .

الحواشي

- (١) لقد حللنا الموضوع نفسه قبل ما يزيد على أربعة عشر سنة - وحول هذا ، انظر : « نحو سياسة بترولية عربية مشتركة » للدكتور حميد القيسي ، مجلة التجارة ، المصدد الثالث (بغداد ١٩٦٤) .
- (٢) المشاريع النفطية العربية المشتركة التي أنشأتها منظمة الاطلس العربية المصدرة للبترول هي :
 - أ - الشركة العربية لبناء واصلاح السفن ، تأسست في ١٩٧٢ .
 - ب - الشركة العربية للاستثمارات البترولية ، تأسست في ١٩٧٤ .
 - ج - الشركة العربية البحرية ، تأسست في ١٩٧٢ .
 - د - الشركة العربية للمخبرات البترولية ، تأسست في ١٩٧٥ .
- (٣) اتفاقية منظمة الاطلس العربية المصدرة للبترول ، بدون مؤلف ولا ناشر ، المادة الثانية والمادة التسعة والمشرون من الاتفاقية .
- (٤) منظمة الاطلس العربية المصدرة للبترول ، تقرير الامين العام السنوي الثاني المقدم الى الاجتماع الخامس عشر لمجلس الوزراء ، تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٧٥ ، ص ٦٤ .
- (٥) المصدر نفسه ، ص ٢٨-٤٨ .
- (٦) اجراءات منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية الخاصة بالسيطرة على نفقات البترول في مطلع الخمسينات . انشاء لجنة الطوارئ للشرق الاوسط في الولايات المتحدة ولجنة الطوارئ في لندن التي انشئت في ١٩٥٦ ويعددها لجنة مجموعة طوارئ صناعة البترول التي انشئت في نهاية ١٩٥٦ . واللجان المنحددة الخاصة بالطاقة التي انشأتها السوق الاوروبية المشتركة .
- انظر : منظمة الاطلس العربية المصدرة للبترول ، اساليب صناعة النفط والغاز ، الدكتور حسين عبد الله ، تطورات مواقف الدول الصناعية وتطليل آثارها المحتملة على المنتجين « الدراسات الاقتصادية ، الجزء الثاني ، (الكويت ١٩٧٧) ص ١٤١-٩٦٥ .
- (٧) المصدر نفسه ، الدكتور حميد القيسي « شركات النفط العالمية ودورها المتغير » ، ص ١٧ - ١١٦ .
- (٨) المصدر نفسه : الدكتور علي عتيقة « الخيارات المتاحة للعلاقات الجديدة بين المنتجين والمستهلكين » ، ص ٢٢٥-٣٤٠ .
- (٩) المصدر نفسه : الدكتور ماضل الجليبي « استراتيجية الاستخدام الامثل للثورة النفطية العربية » ، ص ٢٤١-٣٦٦ .
- (١٠) اظهرت الدراسات التي تمت في ندوة « المكلبن النفطية » التي عقدتها منظمة الاطلس العربية المصدرة للبترول في تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٧٧ وجود اكثر من خمسة مكلبن نفطية مشتركة بين اطلس الخليج العربي ، ولقد أكد ذلك المؤلف ايضا الخير صبري الميمن ، الخير الفني في المنظمة في مقابلة شخصية .

(١١) للحصول على معلومات أوسع من موضوع التواعد الأساسية للصيقة العلمية للموارد النفطية راجع :

E. W. Zimmerman, Conservation in The Production of Petroleum, Yale University Press, 1957, pp. 25 - 27.

(١٢) الدكتور حميد القيسي « النتائج الاقتصادية للنفقة من عدم اتباع وسائل الصيغة الحديثة في استغلال الموارد النفطية في العراق » ، بحث قدم الى مؤتمر البترول العربي الخامس / القاهرة ١٩٦٥ ، منشور في الجريدة العربية لقرارات وبحوث المؤتمر تحت رقم ٦١ (١ - ١) / (القاهرة ١٩٦٥) .

(١٣) للحصول على معلومات أكثر بسدد جهود منظمة الاطلس المصدرة للبترول لوضع قانون عام لصيقة الموارد النفطية انظر :

Mikdashi, Zuhayer, The Community of Oil - Exporting Countries, Goerge Allen and Unwin Ltd., London 1972.

(١٤) منظمة الاطلس العربية المصدرة للبترول ، اساليب صناعة النفط والغاز ، الاستاذ احمد نور الدين « مصافي التكرير والمنتجات المرتبطة » ، الجزء الاول ، الدراسات الفنية ، ص ١٨-١٤ ، مصدر سبق الاشارة الى بعض اجزائه الاخرى .

(١٥) كان الموضوع محل بصورة اتفاقيات ثنائية بين الدول المنتجة للنفط والشركات صاحبة الامتياز كجزء من الاتفاقيات المعلقة لهذه الشركات . كما ان اتفاقية طهران في نوفمبر ١٩٧١ قد سحب نمط هذه الاتفاقيات على أكثر من دولة منتجة للبترول .

(١٦) السمات الشبيهة للخليج النفطية مفضلة بصورة واضحة في بحث الاستاذ احمد نور الدين ، مصدر سابق .

(١٧) انظر : رجائي محمود ابو خفرا « تقلبات المنتجات في طريق الرجوع الى الرواج : اعتبارات تتعلق بذلك » ، مجلة النفط والتعاون العربي ، المجلد الثاني ، الممد الاول - شتاء ١٩٧٦ ، ص ٥١ - ٦١ ، ولتنس المؤلف « خيرات النفط والتسويق للزيت والغاز في اساليب صناعة النفط والغاز » ، الدراسات الاقتصادية ، م.س. ص ٧٩-٩٦ .

(١٨) انظر : عفنان داود الردود : « الاسمار المتصلة بفروق التزمية والشحن للنفط الخام في دول اوبك » ، دراسة وتحليل (مطبوعة على ورق البرونز) في نيسان / ابريل ١٩٧٦) دولة الامارات العربية المتحدة ، وزارة البترول والثروة المعدنية ، الادارة الاقتصادية . وهو بحث ابتدائي رائد الا انه يكتسبه الكثير من النشوض والتفصيل وعدم الدقة .

(١٩) نفس المصدر أعلاه ، واخبار مطروقة نشرتها الصحافة النفطية في مناسبات متعددة .

(٢٠) اتصل بعض طلابي في اقتصاديات البترول ببعض من اشترك في اللجان الاقتصادية لمنظمة الاوبك من اخواننا العرب وجاء انطباع الطلبة من موضوع فروفات الاسمار بأنه موضوع قديم ومعتد ويكتسبه العديد من النشوض كما مير من ذلك اولئك الذين اتصلوا بهم من هؤلاء الخبراء العرب بدون أن يحلوا هؤلاء تبيان ما لديهم من معلومات عن الموضوع .

التوجيه التربوي للمُبدعين

د. عبد الستار إبراهيم

موجز المقال :

تتراد الحاجة لخلق مناخ تربوي يساعد على تكوين القدرة الإبداعية ، وتنميتها ، أو يساعد — على الأقل — على خلق تقبل عام للتعبير الإبداعي ، والتسامح مع الاختلاف العقلي وتقبله . ويمكن تحقيق ذلك باعطاء الإبداع كمنهج دراسي مستقل ، وصياغة البرامج الدراسية صياغة إبداعية ، وخلق نمط من العلاقات الاجتماعية الملائمة في الجو الدراسي . وسنبين من خلال عرض هذه الموضوعات أن تدريس الإبداع كموضوع مستقل في برامج دراسية يمكن تنفيذه على الأقل ابتداء من المرحلة الثانوية . كما تبين الدراسات التجريبية والعلمية التي سيعرض لها المقال أن اعطاء برامج إبداعية يؤدي إلى زيادة في الإنكار الإبداعية كما ونخفا ، كما أنه يؤدي إلى تغيير في سمات الشخصية ، كالميل للاعتماد على النفس ، والثقة بها ، والقدرة على الانتفاع ، والمبادأة والقيادة ، وتوجيه الآخرين . واعطاء برنامج إبداعي يؤدي إلى تلك النتائج الإيجابية دون النظر إلى وجود موهبة مبكرة ، أو وجود ارتفاع في الذكاء ، أو ارتفاع في العمر ، كما يصلح للذكور والإناث معا . وبغلا عن هذا فإن هذا التأثير يظل ثابتا في الشخصية لفترة طويلة من العمر .

ويمكن ثانيا تعديل البرامج الدراسية بحيث تتجه إلى التشجيع على الأصالة ، والتلقائية ، والطلاقة في الإنكار ، وتنمية ثقة الأشخاص في ادراكاتهم الخاصة ، وإثارة حب الاستطلاع والحساسية للمشكلات ، والمرونة . وقد عرضنا لعدد من الطرق والافتراحت التي يمكن من خلالها تحقيق هذه المبادئ عند التفكير في صياغة البرامج الدراسية صياغة إبداعية . لكن يجب أن لا يفهم أن هذه الافتراحت نهائية أو مكتملة إذ من الممكن بهدي المبادئ العامة استكشاف طرق أخرى جديدة وملائمة لموضوعات دراسية مختلفة .

✻ استاذ علم النفس بجامعة الكويت .

لكن الإبداع كما وضعنا ليس فعلا مستقلا عن بناء الشخصية ، وعن
الاجزاء الأخرى منها . وهذا يعني ضرورة الاهتمام بالتماط العلاقات الاجتماعية
في الجو الدراسي . فقد تؤدي العلاقات الاجتماعية الى إثارة الطلق ، وعدم
الامان ، والتصلب والاتجاه نحو عبادة القواعد وعندئذ فان تعليم الإبداع في
برامج مستقلة ، او صياغة البرامج الدراسية صياغة ابداعية ستفقد قيمتها
عند شخصية من هذا النوع . لهذا فقد قدمنا البرهان على ان نمط العلاقات
الاجتماعية قد يلعب دورا اساسيا في تنمية الاحساس بالنقطة ، وحب المغامرة ،
وتأكيد الاختلاف العقلي البناء ، والتميز الذهني . ولعل من اخطر العوامل
التي يمكن ان تواجه خلق نمط ملائم لاحتضان القدرة الإبداعية وتشجيعها تلك
التي تتعلق برفض المبدعين ، من قبل اساتذتهم وزملائهم ربما بسبب ما لوحظ
لدى المبدعين من رغبة في تأكيد اختلافهم وجبههم للتمسائل من الاشياء
الغامضة ، وتشبههم للفكرات ونواحي النقص في الموضوعات العقلية والعلمية .
لكن رفض المبدعين يعتبر في الحقيقة جزءا من عوامل اجتماعية اشمل ، تفرضها
بعض القيم ، والتصورات الخلطية التي تنعكس آثارها على اذهان القائمين
بامور التربية . وهذا ما نلهم ان نعرض له في مقال آخر من المناخ الاجتماعي
العام وآثاره على القدرات الإبداعية .

لعل علماء التربية هم اجدر من يتصدى لتفصيل القول في أهمية الدور
الذي تلعبه عوامل التربية في تشكيل الشخصية . لكن الامر يختلف اذا تعلق
الموضوع بأي محاولة شاملة لحصر العوامل التي تنظم ظهور القدرات
الإبداعية او اختلالها . هنا نحتاج لجهد السيكولوجيين والتربويين معا ، كما
نحتاج لجهد الكتاب ، والعلماء ، والمشرعين على شئون التخطيط التعليمي ،
وخبراء المجتمع وغيرهم .

ويوجد اليوم اجماع على ان جزءا كبيرا من اهيلنا في استغلال الطاقة
الانسانية وتوجيهها انها يعود الى عدم الملم القائمين بشئون التربية والتعليم
بالقوانين الاساسية للإبداع (٥ ، ٧ ، ٨) . بل ان نظم التعليم تنتج غالبا في
طريق يتعارض مع نمو التفكير الإبداعي . فالمتطلبات الجادة للنجاح لا تزال
تتطور في القدرة على الاستيعاب والتفكر ، والمجازاة .. اي ما يسمى بالتربية
التلقينية . ومن المؤكد ان المعجز عن تكوين نظام تربوي ابداعي يشكل مشكلة
لا تقف حدودها عند المستوى المحلي فقط ، بل قد أصبحت الان مشكلة
عالمية .. يثريها الخبراء — وربما بقدر اكبر — حتى في البلدان التي قطعت
شوطا كبيرا في سلم الارتقاء . كما انها لم تصبح مشكلة محصورة في اطار
التعليم المدرسي بل امتد تأثيرها نحو التعليم الجامعي .

* الارحام بين الانوار تشير الى ارقام المراجع في نهاية المقال .

وتزداد المخاطر على المستوى المحلي العربي ، فالخطيوط للتعليم في كثير من البلاد العربية يمضي في اتجاه لم تصبح فيه تلك المشكلات مطروحة حتى للجدل . صحيح ان حس المسؤولية للقيام بالصلاح تربوي تعليمي شلبي يفرض تأثيره بقوة في هذه الفترة . لكن المشكلات المطروحة لتحقيق هذا الإصلاح لا تزال محصورة في اطار متابعة وملاحقة النظم الدولية المتطورة . وهذا سليم في بعض النواحي ، لكنه لا يكفي . ففي الوقت الذي نمضي فيه لمحاكاة النظم المتطورة في بلدان العالم المتقدمة ، قد تكون تلك البلدان عزفت من نظمها ، وبدأت سبيلا آخر للتطور بتلك النظم . ان تغيير المناهج التعليمية ، والتركيز على تعلم اللغات الأجنبية ، وبناء المعامل ، وبناء فصول دراسية حديثة ، والاستعانة بوسائل التقدم التكنولوجي في تدريس المواد والتعليم ... الخ كلها أهداف جديرة بالاعتبار . لكن هذه الأشياء جميعها ستظل محدودة القيمة اذا لم تكن النية تتجه الى خلق مناخ تعليمي يحقق التوازن بين التلقين والتلقائية ، بين تقبل الحضارة او محايير العالم الفكرية والثقافية ، ونمو الفردية ، بين اثار القدرة على التحصيل او النجاح ، واثارة القدرة الابداعية والثقة بالنفس .

غير ان محاولة تقديم تصور لخلق نظام تربوي قائم على احترام الفردية واثارة التلقائية والابداع ، أمر غير يسير . فما نعرفه عن الابداع لا زال محدودا ، ومعرفةنا بتأواع العلوم التي تحتاج للتأول الابداعي ، وتلك التي تحتاج الى مجازاة واستيعاب لا زالت ايضا غير محددة . فهل يحتاج تعليم الرياضيات والهندسة الفراغية الى اثاره للقدرة الابتكارية ، والاجتهادات الفردية والاصالة ؟ .. واذا كان الجواب : بنعم فهل يتساوى هذا القدر مع ما يتطلبه تدريس الفسيولوجي والتاريخ ، والادب وعلم النفس ، واللغات ؟ . اضف الى تلك الصعوبة صعوبة أخرى تتعلق باختفاء النموذج الذي يساعد على استطلاع الطريق . فنحن نبنئ كثيرا من تصوراتنا على نماذج نقدر بعض الجوانب فيها ، ونرفض البعض الآخر ، لكننا هنا لا نكاد نمثر على نماذج من التعليم الابداعي تساعدنا على وضع تصور دقيق . فلم نجد — في حدود ما نعلم — دولة من الدول قد قامت بوضع خطة شاملة لنظمها التعليمية بحيث تتجه مباشرة الى تنمية القدرات الابتكارية والابداعية .

ومع هذا فان هناك بعض المحاولات المحدودة ، التي قام بها بعض الباحثين تساعد على بلورة واضحة لمثل هذا التصور . فضلا عن هذا نجد ان بعض الملاحظات النظرية ، والاستنتاجات المشتقة من بحوث الابداع من جهة ، وبحوث علم النفس الاجتماعي والشخصية من جهة أخرى ، ستساعد بدورها على مزيد من تلك البلورة .

أن تحقيق نظام تعليمي يشجع على التفكير والابتكار ، وتنشيط القدرات الإبداعية ممكن وفي أكثر من اتجاه ، ويكثر من طريقة منها :

١ — تدريس الإبداع كموضوع مستقل في برامج رسمية دراسية ، سواء في مرحلة الدراسة الثانوية أو الجامعية (١٢٤١، ١٢٤٢) .

٢ — تعديل المناهج الدراسية ذاتها وصياغتها صياغة جديدة تساعد على تنمية الأسلوب الإبداعي في تناولها (١٢٤٨) .

٣ — خلق مناخ اجتماعي تعليمي يشجع على إثارة القدرة الإبداعية إما مباشرة ، أو غير مباشرة بخلق سمات من الشخصية ، أو خبرات تربوية ترتبط ارتباطا واضحا بالإبداع (١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦) .

ولكل طريقة مزاياها وإمكانياتها في تحقيق الهدف النهائي من التخطيط لتربية إبداعية . ونمينا يلي بعض التفاصيل .

تدريس الإبداع في برامج مستقلة :

تقوم الفكرة من إعطاء الإبداع كبرنامج مستقل على التصور العام بأن الإبداع شيء يمكن تعليمه وتعليمه ، وبالتالي نقله في شكل خبرات دراسية منتظمة . وهناك محاولات عدة تمت بغرض تقييم هذه الطريقة من حيث نتائجها في تعليم القدرة على تكوين الخيال ، والاستمرار في تبني أسلوب إبداعي ، وتكوين سمات جديدة من الشخصية تساعد على الانطلاق والتحرر والتفكير . ففي جامعة « بافالو » (Buffalo) (١٢) مثلا تم تدريس برنامج إبداعي اختياري لمجموعات من الطلاب في تخصصات مختلفة منها : الهندسة ، والطب ، والفنون ، والتربية ، والفيزياء وعلم النفس . وقد تضمن البرنامج تدريس كتاب في الإبداع هو كتاب « أوسبورن » (Osborn) : « الخيال في مجال التطبيق » (Applied Imagination, 1953) ويتضمن هذا الكتاب فصلا عن أهمية الخيال وأهمية تنميته في كل جوانب الحياة ، وعن أهمية مراحل مواجهة المشكلات وحلها بداية من التهيئة ، وتبذل المشكلة ، ومواجهتها وانتهاءا بتقييم الحلول المختلفة .

كذلك تم تدريس بعض الموضوعات الخاصة بالعوامل المعوقة لاتطلاق القدرات الابتكارية سواء كتحت تلك المصطلحات الإدراكية ، أو انفعالية ، أو حضارية — اجتماعية . أما بالنسبة للمعوقات الإدراكية فقد تم التركيز بشكل خاص على بعض الموضوعات التي من أهمها : صعوبة عزل المشكلات ،

والصعوبات الناتجة عن التحديد الضيق للمشكلة ، والعجز عن تعريف الخصائص الهامة للمشكلة أو عزلها ، والفشل في استخدام الحواس جميعها في عملية الملاحظة .

اما بالنسبة للمعوقات **الحضارية والانفعالية** (٢٤١، ٢٤٢) ، فقد تم التركيز على بعض جوانب الشخصية ، وسماتها التي تعوق التعبير الإبداعي والتي منها المجازة العقلية أو الاعتماد المبالغ فيه على تعلم الآخرين ، أو اتخاذ موقف تنافس مبالغ فيه أيضا . كذلك تضمن هذا الجانب الدور السلبي الذي يلعبه الإيمان المطلق في العقل أو المنطق ، والاتباع الذاتي ، والاكتمال ، والسلبية ، والاعتماد على السلطة ، والخوف من الوقوع في الخطأ ، أو الفشل ، أو الخوف من الظهور بمظهر المخطيء أو الاحق .

وفي أثناء تدريس برنامج الإبداع تلقى الطلاب معلومات عن أهمية مبدأ تأجيل « الحكم على الأفكار » أو تطبيق الحكم **Deferred Judgment** كأحد المبادئ الرئيسية في التنشيط الاجتماعي للإبداع ، وتشجيع الأشخاص على توليد الأفكار الإبداعية وتنظيمها . ويقوم هذا المبدأ على أساس الامتناع عن الحكم أو تقييم الأفكار في مرحلة الدعوة الى إنتاج افكار ابداعية جماعية ، بهدف ازاحة العقبات التي تعوق الانطلاق الكليل للخيال .

وكانت نتائج هذه الدراسة من الثراء بحيث نجد ضرورة عرض بعضها لكي نفدق مما أهم القوانين التي تحكم تدريب القدرات الإبداعية . فبعد الانتهاء من اعطاء البرنامج السابق تمت المقارنة بين هذه المجموعة ومجموعة أخرى ضابطة لم تعط هذا البرنامج . واستخدمت مقاييس القدرات الإبداعية والشخصية ، والملاحظات المختلفة لتحديد جوانب هذه الفروق . وتبين النتائج ان المجموعة التي درست برنامج الإبداع قد تفوقت على المجموعة الأخرى على عدد من مقاييس القدرات الإبداعية .

و ، الطريف أن الارتفاع لم يحدث على مقاييس القدرات الإبداعية منحصبا ، بل، وحدث أيضا في بعض سمات الشخصية مثل القدرة على القيادة ، والسيطرة ، والمثابرة ، والمبادأة ، والتلقائية . ومعنى هذا أننا اذ رغبتنا في تغيير نمط الشخصية ، فإن من السهل أحداث هذا التغيير بصورة غير مباشرة بتشجيع التعبير عن الإبداع وتعليمه كبرنامج مستقل .

وفي دراسة أخرى تبين أن تأثير البرامج الإبداعية ، يؤدي الى تفوق في القدرات الإبداعية يستمر ما يقرب من ثمانية شهور أو أكثر بعد انتهاء البرنامج (١١) . ونحن نستطيع في ضوء هذه النتيجة أن نحكم بأن **تنشيط القدرات الإبداعية والابتكارية** يحتاج ضمنا للشروط التي تسمح باستمرار هذا

التشبيط . فقد يندفع الشخص بحمية — تحت تأثير الدوافع التي تخلتها البرامج — نحو اختبار ذاته ، أو التطلع بنظرة جديدة الى بعض امكانياته الإبداعية ، لكن الجذوة قد تخبو تدريجيا ، اذا لم تكن الشروط معدة لاستمرار هذه الجذوة حتى يتاح لها اكبر قدر من البقاء والتدعيم . وتلقى هذه النتيجة ضوئا قويا على أن نمو الإبداع وتنشيطه يخضع لقوانين اشبه بالقوانين التي تحكم نمو الكائنات الحية فكما أن خصائص الكائن العضوية والفكرية تنمو من خلال شروط تشجع على نموها ، وتمنحها مذاقتها الخاص ، وكما أن عملية النمو قد تتوقف اذا ما توقفت بالتالي فاعلية شروطها ، كذلك يحدث بالنسبة للفكر الإبداعي . فتوقف نمو التفكير الإبداعي — اذا ما توقفت شروط تنميته — امر غير نادر ، ويمكن أن نلاحظه في كثير من الحالات الفردية ، وفي بعض حالات التغير الاجتماعي المفاجئة ، عندما يتجه الفرد أو المجتمع الى السلام المصطنع فتدهور قدراته ، ويتجه للمجاراة والتقليد . وتؤكد أيضا هذه النتيجة وجود خبرات طارئة قد تتدخل لتوجه التفكير نحو التصلب ، والمجاراة ، وهذه بدورها تخلق مدعياتها — الذاتية بحيث تنقش وتنشع لدى الفرد ، وتعطل بالتالي القدرة الإبداعية أو الدافع لها .

وسأحاول أن أقدم الدليل على ذلك بالاعتماد على بعض التصورات التي اثبتتها نظرية التعلم . تكشف نظرية التعلم عن وجود مبدأ هام من المبادئ التي تحكم السلوك الانساني ، ومؤداه أن تعلم اشياء جديدة يطفى تأثيره على الاشياء التي سبق تعلمها . فيتدعم الشيء الجديد ، وينطفئ الشيء القديم . معنى هذا أن من السهل أن نستنتج أن وجود فرض ، أو مدميات للسلوك الإبداعي سيؤديان الى انتشار هذا السلوك في الجوانب المختلفة من الشخصية بحيث يؤدي ذلك ، وبسهولة الى توقف العمليات المعارضة للإبداع كالمجاراة والتصلب . لكن العكس صحيح أيضا فان ابقاء القدرات الإبداعية — التي سبق تدعيمها — دون تدعيمات اضافية ، وتنمية مستمرة سيؤدي في النهاية الى زيادة في نمو العمليات المعارضة ، والتي ستؤدي بدورها الى توقف أكثر في الشروط المشجعة على نمو الإبداع . ولسوء الحظ فان هناك ما يجعلنا نحكم بان التدعيمات الاجتماعية الخارجية للتصلب والمجاراة اقوى من تلك التي توجه للسلوك الإبداعي في المجتمع . فتأكيد المجاراة والتصلب ، وما يدور في تلك هاتين الخاصيتين يعتبر اقرب لمطالبات التوافق الاجتماعي اليومي . وسنرى في موقع آخر أن المجال الاجتماعي لا يؤكد على الإبداع والانشط العقلية كقيمة انسانية ، بل أنه يؤكد على قيم معارضة بطبيعتها للإبداع . فالمجتمع يتطلب خضوعا لمعايير السلطنة (سواء كانت معايير للسلوك الاجتماعي اللائق ، أو معايير عقلية ، أو فنية) ، ويؤكد على قيم السلطة ، والقوة والمركز ، والنجاح الاجتماعي : وهي جميعها تعارض مع

ما يتطلبه نمو القدرات الإبداعية وتنشيطها . ويتطلع الكاتب بأسى الى المخاطر التي يمكن ان تعترض نمو العملية الإبداعية اذا ما تركناها هكذا تواجه التحديات الاجتماعية غير المتضبطة ، اما نتيجة للجهل بقوانين نمو الحياة الانسانية ، او نتيجة للاعتماد على مبادئ خاطئة من الصراع الحرس .

وتبين الدراسات ايضا ان تعليم برنامج ابداعي لتنمية الخيال ، لا يؤدي وحده لاثارة الافكار الإبداعية وتنشيط الخيال ، بل ان طريقة التعليم تلعب دورا مماثلا ، (١٥٤١٢) . ففي مجموعة من التجارب ، والدراسات وضعت اجراءات خاصة لاثارة الافكار الإبداعية وتنشيطها في جو يمتنع فيه عن التقييم او الحكم على الافكار ونقدها . وفي مجموعة أخرى اعطى نفس البرنامج ، ولكن في جو من النقد والتقييم . وقد تبين ان هذا الاجراء التعمد يؤدي الى زيادة مقدارها ٧٢ ٪ من الافكار الإبداعية والاصيلة ، ولم تحدث هذه الزيادة في المجموعة التي خضعت للحكم والتقييم . واجريت دراسة مشابهة على طلاب احدى الجامعات الامريكية ، قام خلالها مجموعة من الباحثين (١٢٤١١) بتطبيق عشرة مقاييس للابداع ، من نوع المقاييس التي اثبتت كفاؤها في التمييز بين المبدعين وغير المبدعين (انظر التذييل) . واختار الباحثون للدراسة مجموعتين احدهما تجريبية ، والاخرى ضابطة . وقسمت المجموعة التجريبية الى ثلاث مجموعات صغيرة اعطيت كل منها برنامجا مستقلا ذا خصائص مختلفة عن البرامج الاخرى لتعليم الكفاءة في حل المشكلات العقلية . اما المجموعة الضابطة فقد بقيت دون برامج من هذا النوع . وطبقت مجموعة الاختبارات على كل المجموعات في بداية التجربة ، وبعد انتهاء البرنامج طبقت عليهم نفس تلك المقاييس . وعلى هذا فان اي زيادة جديدة للمجموعات التجريبية في ادائها الإبداعي على المقاييس كانت تتخذ كعلامة على فاعلية البرامج الإبداعية التي درست . ولكي يكون هذا الاستنتاج صحيحا روعى توفير قدر كبير من التكافؤ في المجموعتين التجريبية والضابطة من حيث الذكاء ، والعمر ، والجنس ، وطول مدة الدراسة . وقد تحققت هذا التكافؤ بطريقة المضاهاة الفردية اي ان يكون في كل مجموعة فرد يتشابه مع اخر في المجموعة الاخرى السابقة . فاذا حدث مثلا ان وجدت في المجموعة التجريبية فئاة من النوع الجذاب ، الذكي ، وفي العشرين من عمرها ، كتبت توضع في المجموعة الاخرى فئاة بنفس الخصائص . وقد اخبر الباحثون الطلاب في كل المجموعات ، في بداية الدراسة ، بان هذه الدراسة تهدف لتقاس القصر في التفكير بعد اعطاء برامج تعليمية ذات مواصفات خاصة .

ولامية نتائج تلك التجربة ، فائنا نجعلها مع غيرها من نتائج الدراسات المماثلة ، ونعرضها في النقاط الاتية :

١ - يتفوق الطلاب الذين درسوا برنامجا في الإبداع تفوقا ملموسا في كمية الافكار الابداعية التي ينتجونها . ولم تحدث زيادة ما في المجموعات التي لم تعط هذه البرامج .

٢ - كذلك يتفوقون في نوعية الافكار التي يقدمونها فقد اصبحوا اكثر تفوقا في الاصالة ، والمرونة العقلية والحساسية للمشكلات . . وهي العناصر الرئيسية للإبداع .

٣ - لكن لم يحدث تغير بين المجموعتين (التي درست والتي لم تدرس) في بعض سمات الشخصية مثل ضبط الذات ، والحاجة للانجاز والتحميل . لكن المجموعة التي درست (ولنطلق عليها المجموعة التجريبية) تفوقت عن المجموعة التي لم تدرس (اي المجموعة الضابطة) في خاصية الميل للسيطرة بعد انتهاء البرنامج . لكن السيطرة هنا يجب الا تؤخذ بالمعنى التسلطي ، ذلك لان تقارير الباحثين عن هذه الخاصية تنظر الى الميل للسيطرة بصفته تعبير عن عدد من الخصائص من اهمها : الثقة بالنفس ، الاعتداد على النفس ، القدرة على الانتفاع ، المبادأة والقدرة على القيادة وتوجيه الآخرين . مما يشير الى ان تنمية هذه القدرات يمكن تحقيقه بتنمية القدرات الإبداعية .

٤ - تبين ايضا ان البرامج الإبداعية تكون ذات فائدة للمتوسطين ، والضعفين والمرتفعين في الإبداع منذ بداية التجربة على حد سواء . اي ان اعطاء برامج ابداعية يكون مفيدا حتى لغير المبدعين ، اذ يساعدهم على تكوين هذه القدرة . كما يكون مفيدا للمبدعين فيزيداد ابداعهم ، واقتناعهم بقيمة ميولهم .

٥ - كما تبين انها تفيد الانكفاء وغير الانكفاء ، فليس بالضرورة ان يكون الطلاب من النوع المتفوق اللامع حتى تقتصر عليهم تلك البرامج . ومعنى هذا انه بالرغم من ان الوراثة فيما يرى جيلفورد - قد تلعب دورا ما في بعض القدرات التي تتضمنها العملية الإبداعية ، فان التربية تساعد على الارتقاء بتلك القدرات دون ان تعرقل العوامل الوراثية من تأثيرها .

٦ - وهناك ما يدل ايضا على ان الفائدة تشمل الكبار الذين تتراوح اعمارهم ما بين الثالثة والعشرين والخمسين ، ولشباب ممن تتراوح اعمارهم بين السابعة عشر والثانية والعشرين . وكذلك تشمل الذكور والاناث بنفس القدر .

٧ - وهناك ايضا ما يدل على أن تنمية الإبداع من خلال البرامج الدراسية الرسمية يؤدي الى ثبوت واستمرار ، وتحسين شبه دائم ، على أن لا يعني ذلك التوقف من خلق الشروط الملائمة لهذا الاستمرار .

من الثابت إذن أن استخدام برامج تركّز بشكل خلس على تدريس الإبداع والخيال كموضوع دراسي ، من شأنها أن تؤدي الى تدريب الامالة في الشخصية وتنميتها . تلك حقيقة يشير لها اكثر من بحث من البحوث السابقة ونتائجها تحمل في ذاتها اتناعاتها ، ويفنيها ذلك عن أي تعليق .

تعديل المناهج وصياغتها ابداعيا :

العملية الإبداعية لا تتكون في فراغ ، ولا تنشأ من فراغ - فما من ابداع الا وهو ابداع لشيء ومن شيء . انه يرتبط دائما بمادة أو موضوع . وهناك اتجاه يدعو الى تنمية الإبداع من خلال موضوعات الدراسة (١٧،١١،٨) . أي من خلال إعادة صياغة مناهج الدراسة وتقديم المواد الدراسية في الموضوعات المختلفة تقديمها ابداعيا . ولا يتعارض هذا النوع من التنمية الإبداعية مع الطريقة القائمة على اعطاء برنامج دراسي ابداعي مستقل ، فاعطاء برنامج ابداعي يعلم الشخص قوانين الإبداع وشروطه ، ويضعه منذ البداية في موقف التصور العلمي ، ويبيعه عن الابتهاار الذي قد يضل التفكير من حقيقته . ومن خلال تقديم البرامج الدراسية ، يقدم الإبداع مرتبطا بمادة ، وموضوع ، فيتدرب العقل على التفكير ، والتأمل ، والتجاوز . أي أن ما فهمه الشخص بالمنطق والانتاع ، والبصيرة العلمية ، يتحول هنا الى مادة وواقع ، وخبرة شخصية .

لكن الامر يحتاج بالطبع الى جهد طويل وكثيف ، لكي يمكن أن تصاغ البرامج الدراسية صياغة منشطة للقدرة الإبداعية ، بحيث لا تقتصر على تنمية التحصيل ، والمعرفة المجردة ، والتقبل للحقائق المتراكمة .

ولعل من أهم الصعوبات التي تواجه هذا النوع من التعبير تلك التي تتعلق باقتناع الجهات الرسمية المشرفة على وضع البرامج الدراسية . ويزداد حجم هذه الصعوبات في مراحل التعليم السابقة على الجامعة . اما صعوبات هذا التغيير في التعليم الجامعي ، فتختلف عن ذلك . حيث يرنهمن التغير في هذا المجال يجهد الاساتذة وقدراتهم الخاصة ، وحظهم من القدرة على الانتاع أو الاكتشاف ، ومدى قابليتهم لتقبل الافكار الجديدة ، أو رمضهم اياها . وهناك صعوبة ثالثة واساسية تتعلق بعدم توافر الحقائق ككلية امام

اذهان المهيئين على التغير الاجتماعي ، سواء كانوا ممن ينتهون الى الجهات الرسمية التي تشرف على التربية والتعليم ، او فريق التدريس والبحث في الجامعات . فعدم وجود الحقائق ، والمبادئ العامة التي تنظم ما قد يعتدل في الذات على مستوى الرغبة ، والنية الطيبة ، ربما يكون من اهم العوامل التي تعوق التغير الاجتماعي ، او صياغة متغيراته الاساسية . وسأحاول في هذا الجزء ان اعرض لبعض الحلول المحدودة التي هدفت الى تقديم بعض البرامج الدراسية بطريقة تتحقق فيها مواصفات الابداع . وسنرى بعد ذلك ما اذا كان من الممكن ان نستخلص من تلك الحلول بعض المبادئ العامة التي ينبغي ان توجه الرغبة في تعديل المناهج الدراسية ، واعادة كتابتها بطريقة ابداعية .

ففي بعض الدراسات صيغت بعض البرامج الدراسية في الجامعات الامريكية بحيث يتكامل عرضها ، ويتفق مع مناهج وتواتين الابداع الاساسية (١) . وتدخل نتائج تلك الدراسات ان هذا التغير في عرض البرامج الدراسية ، وصياغتها صياغة جديدة بهذا الشكل قد خلق بين الطلاب جوا من الحماس . كما انه قد ادى الى زيادة في قدراتهم الابداعية المجردة (اي كما تنعكس في الاداء على مقياس الابداع) . وفي مقارنة بين مجموعتين الاولى مكونة من خمسة وخمسين طالبا ممن اعطوا برنامجا في الكيمياء مصاغا بطريقة ابداعية ، والثانية ضابطة ذات عدد مماثل ومن نفس العمر وفي نفس التخصص ، تبين ان المجموعة الاولى قد عبرت عن شعورها باهمية الدراسة الابداعية لمشكلات تخصصها ، فضلا عن هذا فقد عبر اكثر من ٧٥ ٪ منها عن رغبتهم في دراسة البرامج الدراسية الاخرى بنفس الطريقة . مما يدل على ان صياغة بعض البرامج الدراسية ابداعيا يخلق ميزتين تختص احدهما بفاعلية البرامج الذي يقدم بهذه الطريقة ، والاخرى تختص بتقبل الطلاب ، وتفضيلهم لهذه الطريقة عن غيرها مما يخلق حماسا للدراسة ، ودافعية ، وارتقاعا في المعنويات . لكن كيف تصاغ البرامج الدراسية ابداعيا ؟ وما هي المبادئ الاساسية التي يجب اتباعها لتحقيق ذلك ؟ وكيف يتكامل عرض البرامج الدراسية الرسمية مع مناهج الابداع ، وتواتينه ، ومبادئه ؟ .

ان المبدأ العام الذي ينظم ذلك هو ان تعرض المادة ، وان تدرس بطريقة تدفع الطلاب للمشاركة ، والاستثارة الخلاقة ، وفق القواعد الاتية :

١ - يجب تشجيع الطلاب على اعطاء افكار ابداعية عن الموضوعات المدروسة . ومن المهم ان يشجع الطلاب على اعطاء افكار جديدة واصيلة . ويرى كثير من علماء النفس بان الطلاب الذين لا يستخدم معهم هذا الاسلوب منهم - خاصة كبار السن - سيقعون تحت وهمسة العادة التي يفرضها

نظم التعليم القائم على مجرد تشجيع الحق ، والصحة ، والاعتماد على المصدر على حساب الذاتية والتفكير المستقل والإبداع . وهناك بالطبع وسائل متعددة يمكن من خلالها إثارة الإصالة في الجو الدراسي منها ان يشجع الأستاذ في تلاميذه الابتكار الجديدة ، وان يشرك الطلاب في التطبيق على البرامج التي يعدها . وقد يطلب رأيهم — خاصة في المجال الجامعي — في تضليل بعض الموضوعات على البعض الآخر . وليس في هذا بالطبع أي أساس بالروح العلمية للموضوع فكل أستاذ يقوم — واعيا أو غير واع — بالتقاء بعض الموضوعات الممثلة للبرنامج الدراسي الذي يعطيه . فإما حبذا لو خضعت عملية الانتقاء هذه لروح المناقشة وطلب إبداء الرأي . ولا يقتصر تشجيع نمو الإصالة على ذلك ، بل انه يمتد الى طريقة تدريس المادة المنتقاة ذاتها . ومن المقرر أن طلب التطبيق وكتابة تقرير عن الموضوع ، لو طلب إبداء الرأي في الكتاب ، والتعبير عن وجهة النظر من العوامل الشديدة الفاعلية في تنمية روح الإصالة ، والثقة .

لكن علينا ان نتذكر ان الإصالة ما هي الا وجه واحد من وجوه الإبداع وان هناك وجوها أخرى متعددة لها أهميتها في بعض الموضوعات منها في البعض الآخر . فالموضوعات الأدبية والفنية تحتاج لقدر أكبر من الإصالة ، لهذا يجب بالنسبة لهذه الموضوعات ان تشجع قدرات الطلاب على إثارة مشكلات أو رؤى جديدة غير شائعة . أما موضوعات مثل الرياضة ، والعلوم فان الإصالة — بالرغم من أهميتها في بعض اجزاء هذه الموضوعات — ليست العنصر الوحيد المطلوب . فمثل هذه الموضوعات الدراسية تحتاج لإثارة خصائص مثل : تنمية القدرة على الملاحظة والدقة ، والاستنتاج العقلي ، والحساسية للمشكلات . لهذا فيجب بالنسبة لتلك الموضوعات تكوين اتجاه يوازن بين النظام العقلي — والحرية العقلية أي نظام يجمع بين المجازاة والإبداع في نفس الوقت . وإذا قبلنا التمييز الشائع بين النوعين من المعرفة الفنية والعلمية فإثنا يمكن ان نحكم بان المعرفة العلمية تحتاج لقدر أكبر من المجازاة .. قبل ان يتحول الباحث أو الطالب الناشئ مبدعا في مجاله . ذلك ان مهم قواعد المنهج ، وقوانين العلم الأساسية ، ونظرياته ، وأساليب التفكير ، واستخلاص النتائج وكتابتها كلها أمور ينجح التوصل اليها من خلال مجازاة الخبرة ، واستيعابها .. وقد تعتبر هذه الخاصية هي الشرط الأساسي قبل تقديم أي مساهمات علمية إبداعية في مجال التخصص . لكن الأمر بالنسبة لاتواع المعرفة الفنية يحتاج لقدر أكبر من الإصالة .. ولو ان ذلك يتوقف على نوع المعرفة الأدبية ، وتوصيفها . فبعض النقد الأدبي مثلا قد تحتاج لتوازن بين المجازاة — والإصالة .

٢ - وكما أننا نحتاج لتدعيم الامثلة كذلك نحتاج الى اثارة المشاركة ، وتشجيع **تلقائية التعبير** . فلا تكون ملاحظتنا موجهة دائما للاخطاء لكي نتقذ ، بل يمكن ايضا أن نشجع التلقائية ، وأن نكافئ جوائز الصحة . ومن المبادئ ايضا التي ترتبط بهذا المبدأ العلم تشجيع الطلاب على **الطلاقة في التفكير** . فكلما استطاع الطالب أن يقدم عددا أكبر من الأفكار في موضوع معين ، كلما كان قادرا بعد ذلك على حل كثير من المشكلات بالاعتماد على الذات . وكلما كتبت أفكاره في موضوع تخصصه كثيرة كلما كان قادرا على تكوين عقل خصب متنوع يساعد على نقل ما تعلمه في مجالات أخرى الى مجالات جديدة .

ويمكن **تدريب الطلاقة والتلقائية** بتمارين مباشرة كالترتيب على توليد سلسلة من الأفكار في موضوعات معينة . وعندما تتحول هذه القدرة الى عادة يمكن الانتقال بها بعد ذلك واستثمارها في مواقف متعددة ومتنوعة . لهذا نجد من الضروري أن تتضمن البرامج الدراسية خاصة في المدارس الابتدائية موضوعات من شأنها أن تدعم مباشرة القدرة على الطلاقة . ومن التمارين التي يمكن استخدامها في تلك الموضوعات ذلك النوع من الاسئلة القريب من اختبارات الطلاقة التي وضعها جيلفورد وتورانس وغيرهم . وعلى سبيل المثال يمكن تحويل كثير من الموضوعات الدراسية الى اسئلة من هذا النوع .

— فكر في أكبر قدر ممكن من الاستعمالات لفرع شجرة .

— ما هي الاستعمالات التي يمكن أن تستخدم فيها **صفحة النقط** ، لو كتلة خشب ، لو حافر المشية الخ .

— سجل في خمس دقائق أكبر قدر ممكن من الأشياء : الحمراء أو الأشياء المستديرة ، لو الأشياء المربعة ... الخ .

وقد تبدو تلك الأمثلة السليقة بسيطة أو مبسطة للغاية . وهذا صحيح . لكن علينا أن لا ننسى انها أمثلة تساق على سبيل الاستشهاد . وأن ما يهمنا هو المبدأ الذي يكن وراء استخدامها إذ يمكن لو فهمنا هذا المبدأ أن نصوغ البرامج الدراسية مهما تفاوتت تعقيدها بحيث تستثير التلقائية وتعلم الطلاقة .

٢ - وهناك عمليات أخرى يمكن اثارتها ايضا من خلال البرامج الدراسية ، مثل **تقوية ثقة الطلاب في ادراكاتهم الخاصة** ، وأفكارهم الشخصية فهاتان الخاصيتان من أهم الخواص التي ينبغي الإشادة بها عند التعرض لتنمية القدرات الابتكارية لطلابنا وتلاميذنا لسببين : السبب الأول أن هاتين الخاصيتين من أهم جوانب الشخصية التي تبين أنها ترتبط بالقدرات الإبداعية ، وثانيا ، لأن نظم التعليم ، وبرامج الدراسة لدينا لا تنهج لتنمية الثقة بالادراك

أو الإنكار الخاصة بل تتجه — لسوء الحظ — إلى عكس ذلك ، أي إلى خلق تبعية للإنكار المؤلف ولما يرد في البرنامج الدراسي . وبالطبع فإن أسباب ذلك كثيرة ومعقدة . لكن تلك الأسباب على تقديرها لا ينبغي أن تمنعنا من علاج الأمور علاجاً جزئياً . فهذا أفضل من عدم علاجها على الإطلاق .

ومن الطرق التي يمكن من خلالها إثارة الثقة بالنفس وإثارة الثقة في الإدراكات الشخصية أنه يمكن أن نطلب من الطالب مباشرة بأن يسجل أفكاره في الموضوع المعروض ، وأن يشجع على الاحتفاظ مثلاً ، بكراسة خاصة لتدوين ملاحظاته ، وانتقاداته ، ويمكن للاستاذ أن يطلع على تلك الكراسة بين الحين والآخر ، لكي يوجه ويناقش بعض ما ورد بها . وقد استنتت وزارة التربية والتعليم المصرية ذات مرة سنة حميدة بأن أمدت كل طميد في المدارس الثانوية بكراسة خاصة للطالب الذي يتردد على المكتبة لكي يسجل فيها ملخصاً للموضوع ، أو للقصة أو للمسرحية التي قراها . كما كان يوجد بها جزء لتسجيل الملاحظات الشخصية على طريقة المؤلف، وتقييم الطالب الشخصي لعمله . واستطيع أن أتذكر — عندما كنت طالباً بالمدرسة الثانوية — أن هذا الأسلوب كان يفضيلاً للحماس والقراءة ، وقد كان الزملاء يتبادلون تلك الكراسات لكي يطلع كل منهم على إنكار الآخر ، ولكي يتحاور معه فيها ويناقش . وكان هم كل واحد من الزملاء أن يملأ كراسته بما قرأ وما لاحظ مثل غيره من الزملاء الآخرين . هذا الأسلوب يلائم تماماً الغرض . ولو أنه لم يخل من بعض العيوب التي كان من أهمها عدم وجود تشجيع منظم من أحد المتخصصين ، إذ لم يكن هناك ، على الأقل — أي نوع من التوجيه الملائم، بل كانت الأمور تترك للمبادرات الشخصية ، وللميول التي تجمع بين مجموعة من الزملاء بالصدفة . ولم تكن هناك متابعة لمعرفة ما ستركه هذا الأسلوب من جوانب للتمو ، أو مظاهره . ومع ذلك فإن من المؤسف حقاً أن تختفي تلك المبادرات كما تختفي كثير من الأشياء الطيبة في حياتنا بهدوء .

٤ — ومن الجوانب التي يمكن التنبيه إليها تلك التي تتعلق بإثارة القدرة على الاهتمام بالمشكلات ، أي إثارة حب الاستطلاع ، والرغبة في التساؤل والبحث والاستفسار .

هذه الخاصية من الصعب حقيقة تحقيقها في نظام يعتمد على التلقين ، ولا يحترم من الوظائف العقلية إلا تنمية القدرة على التفكير القريب التي ستساعد على النجاح في الامتحان . وهي تحتاج أيضاً لاستاذ تطلو روحه شخصياً بحب الاستطلاع ، وإثارة المشكلات العقلية ، والتساؤل ، والنتقة بالنفس . ومع ذلك فإنه من الممكن أن تنمي هذه القدرة بقليل من الأسئلة التي

تحرك بعض المشكلات العميقة الخاصة بالموضوع . فمثلا هناك اسئلة يمكن ان نوضع ونفهمها البرامج أو أن يوجهها الاستاذ بحيث تساعد على تنمية الحساسية وروح الاستطلاع مثل :

- ما هي المشكلات التي يثيرها هذا الموضوع ؟ .
- ما الذي يحدث لو ان الامور اخذت شكلا مختلفا غير الشكل الذي قيلت به ؟ .
- ما هي النتائج التي تترتب على الحقائق والمعلومات المقدمة ؟ .
- ما الذي يحدث لو اننا جيمنا بين هذه الظاهرة وتلك ؟ .
- لماذا لا يمكن تعميم حقيقة معينة ؟ .
- ما الذي يحدث لو اننا فهمنا لغة علم غير انساني ؟ .
- ما الذي يحدث لو ان الانسان خلق وهو يفقد لوجود وظيفة معينة ؟ .

وبالطبع من الممكن أن تصاغ موضوعات دراسية كثيرة بهذه الطريقة ، ولعل من أهم العوائق التي تواجه تنمية هذه القدرة تلك التي تتعلق باتجاه التعليم الى التلقين ، وليس التشجيع على الاستنتاج ، او التشجيع على تناول المعلومات في ضوء نواتجها العملية . فلا مثيل لارتباط المعلومات بالفائدة العملية من حيث اثارة اليقظة وحس الاستطلاع . ومن المناسب أن نشير الى بعض الملاحظات التي يلائم عرضها هذا السياق . ففي احد اعداد « مجلة العلم والمجتمع » التي صدرت عن « اليونسكو » (مترجمة باللغة العربية سنة ١٩٧٤) تكلم عدد من الكتاب في المجالات المختلفة عن التحديات العلمية التي تواجه الشعوب الافريقية .

وفي احدي مقالات هذا العدد تنبيه احد الكتاب الى ان الافتقار للتعليم التكنولوجي — العملي المبكر ، مع الاساليب الخاطئة في تنشئة الاطفال في الاسرة يعملان على كبست حب الاستطلاع . ونتيجة لذلك ينمو الطفل بشكل تسيطر فيه عليه ميول التعجب والاستغراب والانبهار . وهي اشياء تختلف عن حب الاستطلاع . فبدلا من أن ينجذب الى الالات انجذاب الطفل السوي الى اللعب نجده ينذهل امام صورة « الانسان الآلي » الذي يتحرك ويتلوى كال بشر . ولكنه لا يميل الى أن يسأل عن كيفية حدوث ذلك فضلا عن أن يكشف ذلك بنفسه . ويتسائل الكاتب كم من الاطفال في مدارسنا يعرف مثلا كيف ينطبق مبدأ الروائع على بدال الدراجة ، او كيف يدور بدال الدراجة على كرسى الكريات أو « الرولان بلى » ؟ بل — هكذا يستمر متمسكاً — الا يوجد طلبية

كبار في الصنوف النهائية لا يعرفون ما هو كرسي الكريكات . دع جانباً بتدول الساعة ، أو ما الذي يجعلها تدق ؟ أو كيف أن الطائرة هي تطبيق مباشر لتوازن القوى ؟ وكيف تتسارع ، وتترايد سرعة السيارة ؟ وكيف تعمل تروس تغيير السرعة ؟ .

ونحن من جانبنا نوافق على تلك التساؤلات ، ونفساعل بدورنا هل يقتصر ذلك على الجوانب المطلقة بالتقدم التكنولوجي والآلي ؟ الا يمكن وضع تساؤلات مماثلة حتى فيما يتعلق بالجوانب النظرية من العلم ؟ هل نقف من النظرية العلمية موقف المتأمل المتابع لبناتها ، والملاحظ لامكانيات التقدم بها ؟ أم أننا دائماً نقف تلك الوقفة التي استنكرها الكاتب الاتريقي السابق ؟ فنقف حتى من الجوانب النظرية من العلم موقف المبهوتين المقدسين لها ؟ الا نواجه كثيراً من الحقائق العلمية مواجهة أشبه بالمواجهة الدينية فنغفل عن الجانب الانساني فيها ، ولا نستطيع ان نبعدها من لغتها المجردة الى لغة تربط مفاهيمها بالفوائد العملية ؟ ان اجابة هذه الاسئلة جميعها لا تحتاج للتطبيق . فالنظام التربوي يتجه للتلقين ، ولا يشجع على المشاركة في بناء المعرفة والاستنتاج ، كما لا يشجع على ربط المعلومات بفوائدها العملية ، ويتجه للتعليم اللفظي الخالص بدلاً من التوازن المتسرب بين التعليم اللفظي والعمل . وفي ظل هذه الظروف يصعب بحق اثاره حب الاستطلاع ، أو انكاء روح البحث والاستفسار ، كما يصعب تلمس الجوانب الفليضة للقاء الضوء عليها .

وهناك طرق مباشرة يمكن من خلالها تدريب القدرة على الحساسيه بالمشكلات والارتباط بالواقع العملي . من هذه الطرق ربط القوانين النظرية بالواقع . فعندما نعلم التلميذ قوانين نيوتن في الميكانيكا ، فإن من الممكن أن نحته بشكل مباشر على كشف الواجه المختلفة التي يمكن استخدام تلك القوانين فيها . وهكذا ايضاً بالنسبة لقوانين الطبيعة الأخرى كتقانون الجاذبية والطاقة بل أن كثيراً من قوانين السلوك الاجتماعي ، والسلوك النفسي ، وقوانين النمو العضوي يمكن تدريسها جميعاً بهذه الطريقة المثيرة للخيال ، والدافعة لاتخاذ موقف ابداعي من المعرفة العلمية بدلاً من موقف التلقين والاتبهار .

ومن هذه الطرق ايضاً حث الطالب على الامتداد بالمفاهيم النظرية والقوانين وجوانب المعرفة المختلفة لمجالات جديدة ، مع هذه على تصور المشكلات التي تواجه تلك الامتداد ، ويعتبر هذا من المبادئ الضرورية التي يجب اثارها من خلال البرامج الدراسية . وترداد الحاجة لهذا المبدأ خاصة في مجال التدريس الجامعي والدراسات العليا . اذ أن كثيراً من الأعمال الابداعية يمكن أن تنشأ لو أننا علمنا الطالب أن يحاول أن يمتد بقوانين الدوائر — في مجال كعلم النفس مثلاً — الى الذاكرة أو التفكير ، أو السلوك

الاجتماعي . ويعتبر هذا المبدأ من المبادئ التي تحكم عملية الإبداع في كثير من مجالات التخصص . فكثير من الباحثين في علم النفس مثلا قد اكتسبوا شهرتهم بين المتخصصين من خلال محاولتهم الامتداد بمفاهيم نظرية معينة في موضوع معين الى موضوع آخر . ومن الممكن بالطبع تطبيق هذا المبدأ في كثير من مجالات التخصص الأخرى .

ولا يجب أن نفهم من ذلك التقليل من شأن تعليم الحقائق الأساسية للمعرفة الإنسانية بمجالاتها المختلفة ، فالتقول بأن العالم يمكن أن يبدع من غير وقتئذ ، أو أن الشاعر يمكن أن يكتب دون رصيد من الكلمات والخبرات كالقول بأننا نستطيع أن نسمع لحنا ، أو أن نرى لونا دون اعتماد على وجود حاسة السمع أو البصر ، اعتمادا على مراكز السمع والبصر في المخ . فتعليم الحقائق ، وتحصيل المعرفة بالوقتئذ ، والخبرات المترابكة هي النسيج الأساسي الذي تبنى منه مادة الإبداع والفكر . لكن تلك الأشياء قد تصبح عديمة المعنى ، وعقيمة إذا أعطيت بشكل مطلوبات مهوشة غير مترابطة ، ومنفصلة عن واقعها .

وإذا كنا ننفي لطلابنا تعليميا إبداعيا حقيقيا فهل نهدم بالمعرفة بطريقة موفقة ؟ هل نعطيهم الحقائق ، ونعلمهم النظريات كما نعلم الأشياء المقدسة الكابلية ؟ وهل نحثهم على الالتصاق المتصلب بتلك المعرفة ويأفل قدر من الحرية في تناولها ، أم أننا نحثهم على استخدام تلك المعرفة بمرونة وبكثرة قدر من الحرية في مناقشتها ، والتأمل في الحقائق المرتبطة بها ؟ .

إن القيام بصياغة البرامج الدراسية ، وتدريسها بطريقة مسرنة هو أيضا من المبادئ التي تلقت أهميتها في مجال التربية الإبداعية . ومن الطرق التي يمكن استغلالها في هذا المجال توجيه البرامج الدراسية بحيث تحث على القيام بعمل مقارنات أو البحث عن جوانب التشابه في الموضوعات المختلفة من المادة ، واتاحة الفرصة للاستكشاف ، والانتقال بالخبرات المنظمة الى مجالات أخرى بالطريقة التي عرضنا لها في الفقرة السابقة . وعندما نقدم تفسيرات أو حلول لمشكلة معينة ، فيجب أن نوضح لهم بأن هناك إمكانيات لا نهائية لحل المشكلات . وإذا كانت المشكلات من النوع المنطقي أو الرياضي الذي لا يوجد له حل واحد فمعه يجب أن نشجع على طرق السبل المختلفة الموصلة للحل بدلا من الاكتصار على طريقة واحدة ويأفل قدر من التخيل والحرية .

نمط العلاقات الاجتماعية :

غير أن الاعتماد على اعطاء برامج مستقلة لتدريس الإبداع أو الاعتماد على صياغة برامج الدراسة صياغة إبداعية كلاهما لا يكفي لخلق مناخ يساعد على إثارة الإبداع وتنشيطه . فالإبداع في النهاية ليس فعلا مستقلا عن بقية جوانب الشخصية الأخرى . وقد تساعد التنمية المباشرة والتدريب على خلق حافز للإبداع لكن هذا الحافز قد يموت إذا لم تكن هناك عوامل أخرى تسنده وتشجع عليه في الجو الدراسي . وبدون وجود شخصية تستطيع أن تتبنى هذا الحافز وتنميه ، فإن كل المعلومات التي يحصلها الشخص — حتى ولو كانت مصاغة وفق آخر قوانين الإبداع — قد تتحول عند شخصية غير آمنة ومتصلبة إلى مجموعة من القواعد الملقنة . لهذا فإن المناخ الاجتماعي ونمط العلاقات الاجتماعية بين الطالب والاستاذ في داخل المدرسة أو المؤسسات التعليمية يبرز كعامل هام من العوامل المشجعة على خلق مناخ اجتماعي متسامح . ومن شأن هذا المناخ أن لا يساهم في تشجيع القدرات الابتكارية فحسب ، بل يشجع على نمو سمات من الشخصية تساعد على تنمية هذا الحافز (٤) . فإن نمط العلاقات التي تخلق تهديدا مباشرا للتلميذ ، والتي تدفعه للمحاكاة والمجاراة ستولد لديه دون شك إحساسا أساسيا بعدم الأمان ، والخوف من المفارقة ، وتجنب الاختلاف العقلي والتمييز الذهني . وهي جميعها خصائص معارضة لنمو أي تفكير إبداعي أو أصيل . ولن أتعرض هنا للجوانب التي تهدد الإحساس بالأمان لدى الشخص مثل نظام الامتحانات وطرق التصحيح ، ومحكات النجاح في الدراسة ، وغيرها من العوامل التي يتعذر مواجهتها من خلال المشورة السلوكية وحدها . لكنني سأعرض لما يسس نمو الشخصية الإبداعية في إطار أنماط العلاقات الاجتماعية في الجو الدراسي خاصة تلك التي تتعلق بأنماط العلاقات بالاستاذة .

فلقد أجريت دراسات متعددة قام الباحثون من خلالها بسؤال أعداد كبيرة من المدرسين في مدارس مختلفة وفي بلدان مختلفة عن نوع الطلاب الذي يفضل هؤلاء المدرسون التعليم بالتدريس له ويستمتعون بذلك . فنتبين أنه لا توجد علاقة بين هذا التفضيل والنجاح أو التفوق الذي يحرزه التلميذ . وأسوأ من هذا أنه تبين أن أقل الأنواع إرضاء للاستاذة هم من بين الأشخاص أصحاب الرأي المستقل ، والقيم الخاصة ، والتفكير المتميز ، أي الأشخاص البمدعون بشكل عام (١٦) . وتفسر هذا واضح ، فإن الطريقة غير المتوقعة التي ينظر بها البمدعون للأشياء ، وأدراكهم للمشكلات المختلفة في موضوع أو تجربة ، تجعلهم قد يستفسرون عن الأشياء الغامضة ، أو يستكشفون الثغرات ، ونواحي النقص وكل هذه الأشياء قد تضع المدرس في مسوقف من مواقف

التهديد . ويزداد هذا الشعور بالتهديد اذا كان القائم بالتدريس لا يشعر بالامان ، أو الثقة في نفسه أو أفكاره فيتمسك اسباب ذلك في سلوك التلاميذ ذاتهم .

لهذا فان الطلاب المبدعين قد يجدون انفسهم في مواقف من سوء التوافق غير المقصودة في علاقتهم باساتذتهم . وترداد مظاهر سوء التوافق لدى المبدعين اذا نظرنا اليهم في علاقاتهم باقرانهم . فمن النادر أن نطلع على سيرة شخصية لأي مفكر ابداعي دون أن نجد ما يدل على الصراع والمشاحنات في علاقته بزملائه . وقد ايد علماء النفس التجريبي في بحوثهم على الاطفال المبدعين في الجو المدرسي هذه الحقيقة . وعلى سبيل المثال لاحظ « تورانس » أن الاطفال ينظرون الى الطفل المبدع نظرة حذر ورفض ، ويصفونه بالجنون والحماقة (انظر المرجع رقم ١٦) .

ان من اخطر النتائج التي يمكن أن تؤدي اليها تلك الضغوط الاجتماعية الحادة انه بانتهاء فترة الدراسة يكون الاطفال المبدعون قد ارفعوا على تعميم قواعد التوافق ، والانسحاق الاجتماعي بحيث تموت فيهم شرارة العبقرية مبكرا . ومن المؤسف أن تكون تلك الضغوط شائعة في جميع المؤسسات التعليمية في بلداننا العربية بداية من الدراسة الابتدائية حتى الجامعة . وبهذا قد تكون المراحل الدراسية المختلفة مصفاة لكل ذي موهبة أو قدرة . بل وحتى الاعداد الضئيلة التي قد تنجح في الامتلات محتفظة بقدر ما من الطاقة قد تنجح في ذلك ولكن باقل قدر من الصحة النفسية الملائمة ، وبأقل قدر من الدافعية ، والاستمرار .

فهل يمكن مواجهة تلك النتائج السيئة ؟ وهل يمكن تكوين نمط من العلاقات يساعد على احتضان المبدعين مبكرا ؟ يقترح « تورانس » (١٥) المبادئ التالية اذا شئنا تشكيل مناخ تربوي مقبول لنمو القدرات الإبداعية وتقبلها . من هذه المبادئ :

- ١ — احترام الاسئلة غير العادية أو الأفكار مهما بدت شاذة .
- ٢ — ربط الأفكار باطار له معنى . وهذا يساعد التلميذ على أن يدرك قيمة أفكاره ويعتز بها .
- ٣ — تشجيع فرص التعلم الذاتي والمبادأة .
- ٤ — إتاحة جلسات تعلم ومناقشات حرة .

ويتحدث السيكولوجيون عن أنماط من العلاقات الاجتماعية بين الاساتذة والطلاب المبدعين ذات تأثير قوي على نمو التعبير الإبداعي . فهناك مثلا

علاقة سلبية قوية بين التعبير عن الإبداع ، وسلوك المدرس الذي يتميز بإبتاع العقاب ، أو اشعار التلميذ بالخجل والحياء (٩) . بينما تبين في دراسة أخرى بان هناك على العكس علاقات ايجابية بين التعبير عن الإبداع ، وسلوك المدرس الذي يميل للتشجيع ويظهر اهتمامه الشخصي بالفكر تلاميذه دون نقدها (المرجع السابق) . اما لماذا تؤدي العلاقة الأخيرة الى زيادة في الإبداع فهنا يمكن أن نستعين بالتفسير الذي يسوقه « ليتون » Lytton . يقول « ليتون » :

« ان هذه العلاقة تمنح الشخص نموذجا لما يجب أن يكون عليه التعلم في ضوء المبادأة ، والتعلم الذاتي . فضلا عن هذا ، فان الجهود تزداد للتعبير الإبداعي بسبب الثقة التي يبديها المدرس في قدرة تلاميذه على التفكير المفامر ، وتنوع الاتجاهات ويخلق هذا بدوره لدى التلميذ احساسا بقيمة نفسه وقدراته على حد سواء . »

لكننا يجب مع هذا الان ننسى ان المناخ التربوي ما هو الا جزء من عوامل اجتماعية اشمل . وان المدرسة لا يمكن أن تنف بمعزل عما يشيع في داخل المجتمع من قيم تفرض سلطانها على اذهان القائمين بعملية التغير . وهذا ما يجعل الشخصية الإبداعية وليدا شرعيا لتفاعل طويل الامد بين امكانيات أو استعدادات شخصية ومحفزات اجتماعية . وهذا ما يدعونا الى مناقشة الإبداع بالرجوع به الى نمط العلاقات الاجتماعية العامة ، اي المناخ الاجتماعي الذي يحكم العلاقات في المجتمع الكبير .

لكن السؤال الان لماذا نريد ان نخلق اتجاهها ابداعيا ؟

الاتجاه الإبداعي .. لماذا ؟

تتزايد الحاجة لتكوين الاتجاه الإبداعي لدى اساتذتنا ، وطلابنا والمشرفين على اجهزتنا الادارية والتجارية ، والسياسية . ونعني بهذا الاتجاه خلق تقبل عام للمبدعين ، وتحمل للاختلاف ، وتقدير للموهبة الإبداعية حتى دون ان يكون الشخص القائم بهذا التقبل صاحب موهبة ابداعية واضحة . فان كثيرا من الاشخاص استبدوا قيمتهم من خلال تبنيهم وتشجيعهم لبعض الموهوبين دون أن يكونوا هم اصحاب موهبة . وتوجد ايضا مجتمعات كثيرة اكتسبت اهميتها من خلال قدرتها على خلق مناخ يجذب المبدعين ، ويوفر لهم جوا من التقبل والتسامح . ويحتاج النظام التربوي التعليمي بشكل خاص لهذا الاتجاه . فنقول بشكل خاص لاسباب عدة : فالمدرسة تعتبر اولا هي المؤسسة الاولى — بعد الاسرة — يلتقى من خلالها الطفل نظم التفكير والتعامل والمعرفة . ولما كان الإبداع يظهر مبكرا في العمر — ولو انه قد يأخذ اشكالا

مختلفة غير ناضجة فإن النظام التربوي قد يكون المسئول الفعلي عن قتل تلك الموهبة مبكرا ربما ابتداء من الاعوام العشرة الاولى من العمر . ومن ناحية اخرى فإن التلميذ يعتبر النواة الضرورية لاي تغير اجتماعي تال ، فهو الذي سيدخل الجامعة ، او يتحول لبناء أسرة ، او تولي وظيفة قيادية ، او ادارية ، وسيكون يوما صاحب سلطان في تنشئة الاجيال القادمة . فخلق اتجاه ابداعي مبكر هو الذي سيمكن ابناؤنا من تجاوز الاحترام المتصلب للعادة والخضوع ، الى احترام وتشجيع حب الاستطلاع ، والاتلاق ، وحرية التعبير .

وتزداد حاجتنا لتكوين اتجاه ابداعي في ميدان التربية اذا ما حصرنا النتائج المساوية — التي ما زلنا نعاني بعضها حتى الان والتي قد ادى اليها نظام متخلف من التعليم يركز على التلقين ، وقمع التلقائية . وهي نتائج لا نحتاج لحصرها لاستحالة ذلك في هذا الاطار .

لكننا نجد من الضروري هنا أن نلفت النظر الى مطلبين اساسيين يفرضهما التفكير في تكوين نظام تعليمي يتجه نحو اثارة الطاقات الابداعية وتشجيعها .

يتعلق المطلب الاول بما تفرضه الحاجة للتغير الاجتماعي والحضاري ، فنحن نعيش في فترة يتلاحق فيها النمو ويسرع . فترة يرتبط فيها التغير بالتقدم النووي وغزو الفضاء جنباً الى جنب مع النداءات بضرورة ضبط هذا التغير بتوازن مع تحقيق العدالة الاجتماعية ، والرخاء والتغلب على شتى انواع القهر (٤) . وسواء كنا نهدف الى النمو في هذا الجانب او ذاك او في كليهما فإن المطلب الاساسي هو أن تشتعل شرارة التطور في كل فرد . بحيث أن لا تقتصر مطالب التغير التكنولوجي ، او التطور الاجتماعي والانساني على ما توحى به المنظمات السياسية ، او ما تبثه اجهزة الاعلام ببرامجها النافذة .

فضلا عن هذا فإن جوانب المعرفة التي تتطلبها ضرورات التغير في السنوات المقبلة ، لا تعتمد فقط على ما هو قائم من قوانين او معرفة علمية ، او ابتكارات ماضية . ان المستقبل في الحقيقة قائم فيما يمكن أن تتشعب اليه المعرفة ، وفيما يتراكم من معرفة جديدة . ويفرض هذا مسلمات اساسية : ان متطلباتنا من التطور في الحاضر او المستقبل لا تردد بتمامها وكبالها في الدول المتقدمة ، وما فيها من معرفة . ان متطلبات التقدم هي هذا بالاضافة الى ما يرتعن منها بنمو وتراكم في المعرفة مستقبلا . ان استيراد اجهزة تكنولوجية ، او مصانع كاملة ، واحداث انواع الاسلحة ، والعقائير والادوات الكهربائية وربما الكتب كلها اشياء ضرورية . لكنها لن تؤدي الا الى نقلنا الى موضع معقول — او قريب من المعقول — من التطور الراهن للحضارة المعاصرة .

أما ضمان هذا الموضع ، والقدرة على تمثيل المفزى العميق من الحضارة المعاصرة ، والمساهمة في بنائها ، والإعداد للمستقبل باحتمالاته اللامتناهية ، كلها تحتاج أساسا لتخطيط نكي لأعداد الإنسان : خالق التكنولوجيا ، وصاحب الفضل الأسلي في تحقيق التطور .

لا جدال إذن في أن ضمان المستقبل يمكن في القدرة على ضبط الحاضر والاستفادة بمتغيراته المتعددة ، ولا جدال في أن أهم هذه المتغيرات : تلك التي تتعلق بالعامل الإنساني . ولا شك في أن إطلاق الطاقة الإنسانية بكل قوتها نحو الإبداع البناء يعتبر من أهم متغيرات العامل الإنساني ارتباطا بالتطور . لكن من العسر على أية حال تحقيق ذلك في ظل نظام تربوي يتجه لكف الطاقة الإبداعية ، واحتثار العقل ، ومجابهته بالمعقبات .

أما المطلب الأخر من تكوين اتجاه إبداعي فيتمتع بالصحة النفسية لإنساننا فالإبداع والتلقائية وحرية التعبير من الحاجات الأساسية للإنسان . والشخص الذي لا تشبع حاجاته الأساسية يتحول إلى إنسان مريض . ولعل من أهم الحاجات التي يشبعها التعبير الإبداعي تلك الحاجات المتعلقة بالتعبير عن النفس ، وتحقيق الذات ، والتلقائية ، وهذا هو التفسير الوحيد في نظرنا لبعض النتائج التي عرضنا لها وبرهنت على أن ٧٥ ٪ من الطلاب قد فضلوا جو الدراسة الذي يستثير فيهم الإبداع ، وبنيت حاجتهم للمساهمة الخلاقة في نمو العلم . وتفسير ذلك واضح بوجود مناخ إبداعي يفتح سبلا متعددة لتحقيق الذات . وفي هذا المناخ يجد كل فرد الوسئل الملائمة التي تساعد على التعبير عن نفسه ، وإمكانياته على النمو .

صحيح أن المدارس والجامعات مؤسسات ابتكرها المجتمع ليصوغ من خلالها رغباته في نقل خبراته ، وحضارته ، وقواعده ، ومنجزاته العقلية والعلمية ، لكنها يجب أن تحقق في نفس هذا آخر هو تنمية الفرد ، وإمداده بالأمان ، والحرية السيكلوجية في التعبير عن النفس .

أما ينبغي أن نشير إلى أن هذين الهدفين على بساطتهما قد أثارا كثيرا من الجدل والتطرفات في الرأي . فهناك من يندفع نحو تأكيد هذا الهدف على حساب ذاك . فهناك مثلا من يصوغ آماله في تطوّر التربية صياغة تقليدية يكون هدفها التحصيل وامتلاء العقل بالمعلومات والمعرفة ابتلاء مجردا ، أي بالتكيد على المجازاة والتقبل . وفي مقابل ذلك يوجد فريق آخر يرى أن النظام التربوي ينبغي أن يتجه إلى الحركة المطلق ، وأن يكون الجو الدراسي جوا متسامحا ، لا يتدخل في نمو الفرد ، ولا يهيئ ضبط سلوكه ، بل وقد أدى ذلك القول بان على المدرس أن لا يقود وأن لا يوجه مطلقا .

غير أن الحقيقة تتطلب هنا أن نشير إلى أن كلا التصورين قد تكون له نتائج خطيرة ، لا على النظام التربوي والاقتناع به فحسب ، بل وعلى نمو الإبداع ذاته . فالخامة الأولى للإبداع هي المعرفة والتحصيل — والإبداع الناجح هو الذي يتجاوز صاحبه بمقتضاه المعرفة الراهنة لكي يقدم معرفة أبعد وأكثر كفاءة . فكيف يمكن إذن تجاوز المعرفة دون الملم بقواعدها ، ودون ضبط لأساليب التأمل والتفكير فيها ؟ إن الشخص الناشئ ، حتى ولو كان موهوبا غالبا ما يبدأ حياته بالمجاراة ، فيحلكى نموذجا مميذا قد يكون واقعيا أو خياليا ، وقد يكون هذا النموذج مدرسا أو استاذا ، أو موضوعا ، أو مثلا . وهذا بالطبع شكل من أشكال المجاراة ، يستطيع الشخص من خلاله أن يكتسب القدرة على تحمل المصاعب ، ومعالجة جوانب التحدي ، والتحفيز العقلي الضروري للنمو الذاتي التالي . ولا يبدأ تحرير النفس من المجاراة إلا بعد ذلك وبالتدريج .

لا شك إذن في أن الاتجاه الإبداعي يحتاج لنظام يتحقق فيه التوازن بين حرية التعبير ، واحترام الخبرة . ولكي يكون هذا التوازن فعالا ينبغي أن نفصل في ذهننا بين حرية التعبير ، وبين انطلاق السلوك في عشوائية وفوضى . كما ينبغي أن نميز — ونفهم القدر — بين احترام الخبرة ، وبين سيطرة التقاليد أو التعسف في فرض رؤيا ضيقة للعالم . وأنها لاختيارات وتوازنات دقيقة غير أن الحكمة القديمة تقول :

« امنحني الشجاعة لأغير الأشياء التي يمكن أو يجب أن تتغير . وامنحني القوة كي أكون قادرا على احتمال ما لا يتغير . وامنحني الحكمة لآكون قادرا على أن أوازن بين ما يقبل التغير ، وما لا يقبل . »

أجل الشجاعة ، وقوة التحمل ، وحكمة التوازن !

تنزيل

تعتبر مقاييس الإبداع في الوقت الراهن من أهم الاتجاهات التي تتفك كمشاهد على مدار تقدم البحث العلمي في هذا الموضوع . فيفضلها أمكن التحول إلى الوصف الكمي الدقيق للفروق بين الأفراد في مجسومة الوظائف التي تتضمنها القدرة الإبداعية العامة . ويمكن بفضل هذا التقدير الكمي قياس الفروق التي تنتج عن استخدام وسائل تربوية ، أو توجيهية معينة للقدرة ، وذلك مقارنة أداء الأفراد قبل استخدام تلك الوسائل وبعدها . ويعتبر الفرق دالة على عاملية الأساليب المستخدمة . ومقاييس الإبداع قد تتكون من مادة لفظية ، أو مادة شكلية . ومنها يلي بعض النماذج للمقاييس المشهورة في هذا الميدان :

١ - **مناوون القصص** : في هذا القياس تدعم للشخص قصة قصيرة ، ويطلب منه في فترة زمنية محدودة أن يذكر أكبر قدر ممكن من المناوون الطريفة الملائمة لهذه القصة . وعند تصحيح الأداء على هذا القياس نولي اهتمامنا لما في هذه المناوون من مهارة .. أو قدرة على الإلمام بالمغزى العميق للقصة .. الخ .

٢ - **استنتاج الأشياء** : ويتكون من عدد من البندود .. كل بند يحتوي على ثلاثة استعمالات مختلفة . ويطلب من الشخص أن يحد اسم شيء واحد يمكن أن يستخدم في الاستعمالات الثلاثة مجتمعة يحتاج لإثبات . والدرجة على هذا القياس تعكس القدرة على تكوين ترابطات سريعة ومناسبة وماهرة . وهي العناصر التي يجب أن تتوافر في أي تعريف للإبداع في مجالات العلم والفن .

٣ - وهناك أيضا اختبارات شكلية ومفاهيمية اشكال ولكنها تتلق مع الاختبارات اللغوية الشبيهة بالاختبارين السليتين في انها تقيس نفس الوظيفة ولكن بوسيلة الشكل وليس الكلية . ومن الأمثلة على الاختبارات الشكلية اختبار **تكميل الاشكال** . تقوم فكرته على أساس تقديم مجموعة خطوط ، أو دوائر ، أو اشكال ناقصة ومعالها غير محددة . ويطلب من الشخص أن يرسم أكبر قدر ممكن من الرسوم التي لها معنى باستخدام هذه الاشكال الناقصة التكملة التكوين ، كل شكل على حده أو مع آخرين . ذلك بالإضافة بعض التفاصيل الملائمة ، أو ربطها بغيرها .

٤ - ومن الأمثلة على الاختبارات الشكلية أيضا اختبار **تصميم الاشكال** . وفيه تقدم للشخص قطعة من الورق الملون على شكل نصف دائرة ، وملصقة على صحيفة بيضاء . ويطلب من الشخص أن يقوم بالإضافة تفاصيل مناسبة لتحويل هذا الشكل إلى جزء من رسم له معنى . ويستطيع الفرد أن يستنتج بوضوح أن الوظيفة المطلوبة التي تقيسها تلك الاختبارات هي بالفعل واحدة ولو أن ملامحها ومفاهيمها مختلفة . نجويعها تقريبا تضع الأشخاص في مواقف مبهمة تستثير الخيال ، أو الابتكار ، أو القدرة على وضع ترابطات ملائمة بين منبهات متفرقة ، وغيرها من العناصر التي يتطلبها التفكير الإبداعي .

مراجع القال

للمزيد من معرفة العوامل الانفعالية والشخصية التي تموق القدرات الابتكارية وتلك التي تيسرها انظر المراجع الثلاثة الاولى الاتية : -

- (١) ابراهيم ، عبد الستار : **الاصالة وملامحتها بلسلوب الشخصية** ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية الاداب - جامعة القاهرة ، ١٩٧٢ .
- (٢) ابراهيم ، عبد الستار : **الدوافع الشخصية للإبداع** ، في : **السلوك الانساني بنظرة علمية** ، الطبعة الاولى ، تأليف عبد الستار ابراهيم ، محمد غزالي فراج وسليوى الملا ، القاهرة : دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٢ .
- (٣) ابراهيم ، عبد الستار : **الاصالة وملامحتها بلساليب الاستجابية** ، بين المجازة والمخالفة بشكل خاص ، **المجلة الاجتماعية القومية** ، المجلد ١١ ، عدد ٢ ، ١٩٧٤ .

(٤) أرجليل ، ميشيل : علم النفس ومشكلات الحياة الاجتماعية ، ترجمة عبد الستار إبراهيم ، القاهرة : دار الكتب العلمية ، ١٩٧٢ .

- Freeman, J., Butcher, H.J., & Christie, T. Creativity : a Selective review of research, London : SRHE, 1971.

(انظر بملحة الفصل الخامس بعنوان العوامل التربوية في الإبداع)

- Haddon, F.A., & Lytton, H. Teaching approach and divergent, thinkingabilities. In P. Vernon (ed.) Creativity, London : Penguin Modern Psychology Readings, 1970.

(في المقال السابق يثبت المؤلفون أن مؤسسات التعليم التي تبنى اتجاهات تربوية متحررة ، وغير رسمية تساعد أكثر من غيرها على تنمية التفكير الإبداعي ، وسلب الشخصية التي من شأنها أن تؤدي إلى زيادة غير مباشرة في تلك القدرات) .

- Harding, H. F., The need for a more creative Trend in American Education. In Sidney Parnes et. al. (eds.) A source book for creative thinking, New York : Scribner, 1962.

- Kneller, G. F. The art and science of creativity, New York : Holt, 1965.

(انظر بشكل خاص الفصل الخامس عن دور التربية في إثارة القدرات الإبداعية ، وتدريبها ، واستمرار هذا التدرج) .

- Lytton, H., Creativity and education, London : Routledge & Kegan Paul, 1971.

في هذا الكتاب يخصص المؤلف فصلاً كبيراً عن دور المدرسة في حياة الطفل المبدع ، يولى فيه اهتمامه للاتجاهات السائدة بين المدرسين والاطفال ، ومدى تحيز النظام التعليمي ضد الإبداع ، كما يعرض فيه لفصائص الجو الدراسي الإبداعي ، وميكنية تعليم الإبداع ، وامكنيات هذا التعليم .

- Osborn, A. F. Developments in creative education. In Parnes, et. al. (eds.) A source book for creative thinking, New York : Scribner, 1962.

(مقال القاء مؤلفه (مؤسس جمعية التربية الإبداعية) ، أمام مؤتمر عن حل المشكلات الفعلية ، وفيه يعرض المؤلف لأساليب اجتماعية وتربوية مختلفة من شأنها تيسير التفكير الإبداعي ، ولعل أهم أسلوبين يعرضهما في هذا المقال : أسلوب العصف الذهني

brainstorming وأسلوب تأجيل الحكم Deferment of judgment

- Parnes, S. J. Education and creativity. In P. Vernon (ed.) Creativity, London : Penguin Modern Psychology. Readings, 1970.

(مقال قيم يعرض فيه مؤلفه بحوثه عن تدريب القدرات الإبداعية في جامعة بـالـو Buffalo بولاية نيويورك .)

- Parnes, S. J. et. al (eds.) A source book for creative thinking, New York : Scriber, 1962.

(يضم هذا الكتاب مجموعة تراءات قيمة في سيكولوجية الإبداع : نتيجه ، وتطبيقاته في الميادين المختلفة بتركيز خاص على مجال الصناعة والإدارة . يضم الكتاب ما يقرب من ٢٩ مقالا فيما يقرب من ٢٨٠ صفحة من القطع الكبير ، مع تنبيات مختلفة . ويمكن للقرء أن يرجع فيه بشكل خاص لفال Parnes عن :

Can creativity be increased ? (pp. 185 — 193.)

- Torrance, P. Conditions for creative growth, Bureau of Educational Research, University of Minnesota, 1960
- Torrance, P. Developing creative thinking through School experience. (١٤) In S. Parnes et. al. (eds.) A Source book for creative thinking, New York : Scriber, 1962.
- Torrance, E. P. Education and the creative potential, Minneapolis : (١٥) University of Minnesota Press, 1962.

(كتاب مطول وموثق من الجوانب التربوية في الإبداع)

- Torrance, E. P. Guiding creative talent, Englewood Cliffs, New Jersey : Prentice — Hall, 1962. (١٦)

(كتاب ذو قدر مرتفع من الأصالة يقدم فيه المؤلف مقترحات موثقة عن تعليم الإبداع وترشيد وتوجيه الأطفال المبدعين . الفصلان الأول والثاني تقديم علم ، والفصلان الثالث والرابع عن الكتف من المبدعين ، والفصل الخامس يلخص الفقرات الإبداعية بجوانبها المختلفة . أما الفصل السادس فيعرض للمشكلات التي يواجهها المبدعون ، ويكشف الفصل السابع عن المشكلات المرتبطة بكف التعبير عن الإمكانات الإبداعية . وبين الفصل الثامن والتاسع شروط التعامل مع الأطفال المبدعين وترشيدهم . أما الفصل العاشر فيتملق بتدريب المعلمين مع الأطفال .)

- Whitehouse, J. H. Creative education at an English School. Cambridge : Cambridge U. Press (no publishing date). (١٧)



شؤون فلسطينية

مجلة شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة
يصدر عن مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

مكتبها مجموعة من كبار الكتاب والحقصين في القضية الفلسطينية

صدر الممد الاول في مارس ١٩٧١

٢٤٠ صفحة من القطع الكبير تضم مقالات ودراسات وبحوثا في الشؤون السياسية والثقافية
والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية للقضية الفلسطينية وللشعب الفلسطيني وللصهيونية
واسرائيل ، الى جانب الابواب الشهرية الثابتة التي تسجل الاحداث والتشكلات
الفلسطينية المختلفة .

نس العدد : ٣٠/١ ل.ل. في لبنان ، ٤ ل.ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ ل.ل.س. في الكويت والعراق ،
٤٠/١ ل.ل. في سائر الاقطار العربية - الاشتراك السنوي (بريد جوي) :
٤٠ ل.ل. في لبنان ، ٥٠ ل.ل.س. في سوريا ، ٥٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ،
٦٥ ل.ل. في اوروبا واغريقيا ، ٩٠ ل.ل. في امريكا واسرائيل واسبانيا .
الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

الحنوا : بناية الدكتور راحي مصر ، شارع كولومبوس ، متفرع من السادات ١ ، رامس بيروت ،
بيروت - لبنان - ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٢٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ،
مربقا : مراحتك ، بيروت .

المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي

: دراسة في سيولوجيا المعرفة

د. علف أحمد فؤاد *

مقدمة :

من المتفق عليه ان المتتبع لتاريخ المجتمع المصري في اواخر القرن الثامن عشر واولائل القرن التاسع عشر يستطيع ان يستقرا عدة حقائق لعل من اهمها ان هذه الحقبة قد شهدت عدة ظواهر من ابرزها ذلك الوهن الذي اصاب الحكم العثماني وضعف سيطرته على المجتمع المصري ، ثم محاولة المماليك الاستقلال بمصر وهو الامر الذي اصابوا فيه نجاحا لا ينكر . الا ان هذه النجاح لم يكتب له الاستمرار نظرا لطبيعة العلاقة القائمة بين جماعات المماليك ، تلك العلاقة التي اتسمت بالصراع ومحاولة استئثار كل فريق بالسلطة . ولم يكن صراع جماعات المماليك هذا الا نذيرا بتدخل القوى الاجنبية . ولعل في الحملتين الفرنسية والانجليزية خير شاهد على ما نذهب اليه .

وتعد تلك الحقبة التي تجلّى فيها حكم محمد على من اخصب الحقب التي زخرت بالحوادث وشهدت عدة وقائع كان لها تأثير كبير في تسيير مجريسات الامور في المجتمع المصري فيما بعد .

ولم يكن الانسان المصري وسط هذه الحوادث الا ضحية تلك الصراعات ، فهو حائر بين جماعات كثيرة تحاول الاستئثار بالسلطة وشرائم لم يكن همها الا السيطرة على الحكم ، وهو بين هذه وتلك لا يملك الا السخرية من الحاكم، والتهكم عليه ، وهي سخرية الخائف وتهكم المظلوم .

وبين الخوف والظلم يظهر مؤرخنا المصري عبد الرحمن الجبرتي ذلك المؤرخ الذي تعود قيمته الى كونه اول من عمل على احياء حركة التأليف التاريخي في مصر بعد ابن اياس (1) مسجلا وقائع تلك الحقب ، ملنا عن موقف واضح من السلطة ، متخذا من احداث العصر ، مواقف وان اتسقت في عمومها ، الا انها قد يبدو عليها التناقض أحيانا ، ويتجلّى هذا التناقض في تلك المواقف التي اتخذها من الانسان المصري ، فهو متعاطف معه ، اشد ما يكون التعاطف ، ساخر منه اشد ما تكون السخرية .

* استاذ الاجتماع بكلية النبات في جامعة الازهر

ولعل في تأرجح الجبرتي في موقفه من الإنسان المصري بين التعاطف والسخرية ما يبرر لنا الكشف عن موقف الجبرتي من بعض تضلعا مصره والتي سوف تكشف بدورها عن رؤياه الاجتماعية والسياسية من التفتيتين :

اولا : الجبرتي والسلطة الحاكمة .

ثانيا : الجبرتي والثورة .

واعتمادا على ما تقدمه لنا مناهج البحث في علم اجتماع المعرفة من مناهج وطرائق ، لعل في مقدمتها طريقة الفرو او وه الشيء الى اصوله ثم فكرة العوامل الاجتماعية الوجودية ، واخيرا الطريقة الخاصة باقتناء الاثر من الزاوية السيوثقافية ، فانه ينبغي اولا ان نشير الى طبيعة البناء الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع المصري في الفترة التي عايشها عبد الرحمن الجبرتي ، ثم يشير الى تلك الظروف الخاصة التي صاحبت نشأته من الصفر وحتى مرحلة النمو ثم تلك المرحلة التي بدأ يلمس فيها حياته العالمة حتى يكون حكمنا على تصورات ورؤاه حكما موضوعيا في اطار ظروفه الخاصة وظروف مجتمعه الذي نشأ في احضله .

فالملاحظ المدقق لفترة ما قبل الحملة الفرنسية او للمصر التركي الملوكي يرى ان المجتمع المصري منذ غزاه العثمانيون يسير من سوء الى أسوأ ، فالأرض ملك للسلطان يوزعها كما شاء على حظوته ومريديه . كما ان المجتمع يتميز بوجه عام بالطبقة الصارخة ، فهو يتكون من قوى قوية واخرى تحية « او بصارة اخرى اقلية ارسنقراطية واكثرية من المملطين في الارض في القرى او من المشتغلين بالحرف الصناعية في المدن . وكانت الاقلية او القوى القوية تتألف من الاتراك ، العثمانيين ويكوات المالك ، في حين كانت تتألف القوى التحتية من الفلاحين والصناع من ابناء العرب من المغلوبين على امرهم والحرمين من كل شيء والذين وقمت عليهم متارم الحكم ، في الوقت الذي استحوذت عليه الاقلية صاحبة الامتيازات على مفاهيمه (٦) .

ولم يكن العثمانيون والمالك الا « . . . سادة فاضحين ، لهم حق الاستغلال ولهم حق الانتفاع ، وعلى الحكومين من اهل البلاد ان يشقوا ويكونوا ليقدموا ثمرة كدهم صاغرين لاولئك السادة المستبدين ، ثم ان العثمانيين حكموا مصر بوصفهم ارسنقراطية حاكمة ، لا يعنهم ان يتدخلوا في شئون البلاد الا بالقدر الذي يحقق لهم اكبر قسط من استغلال مواردها ، ولذلك ظلوا بعيدين عن

الاختلاط بالمصريين ، اذا نظروا اليهم فلتما ينظرون شذرا ، واذا خاطبواهم او علموهم ، فلتما يخاطبونهم لجميع المال ويعاملونهم لامتناس انصى ما يمكن امتصاصه من ثرواتهم وخيرات بلادهم » (٣)

ولعل العلاقة الوحيدة التي كانت قائمة بين الحاكم والمحكوم او بين الشعب المصري آنذاك وحكامه علاقة تنهض في واقع الامر على جمع الضرائب من جهة ، وعلى الحذر وعدم الثقة والاحتقار المتبادل من جهة اخرى ، الامر الذي انعكس على الوضع الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع المصري آنذاك . ومما يؤكد هذا ما يشير اليه عبد الرحمن الجبرتي حيث يروي لنا سنة اثنتين ومائتين وalf ، وفي الخامس منه « طلب اسماعيل بك دراهم فرضه مبلغا كبيرا فوزعوا منها جاتبا على تجار البن والبهار وجاتبا على الذين يقروضون البن بالمرابحة للمضطرين ، وجاتبا على نصارى القبط والاروام والشوام وعلى طوائف المغاربة بطولون والفورية وعلى المتسبيين في الغلال بالسواحل والرقع ، وكذلك يباعو القطن والبطانة والقماش والمنجدون واليهود وغيرهم ، فانزعج الناس واغلقوا وكاثل البن والفورية ودكلكين المبدائي (٤)

نلاحظ من ذلك أن الضرائب كانت تفرض جزاءا وفي اي وقت ولاي سبب ، وان هناك طوائف معينة كانت تتحمل عبء هذه الضرائب وحدها دون غيرها وهي الطبقات الفقيرة في المجتمع كالفلاحين وصغار التجار والحرفيين وغيرهم .

واذا كانت الحملة الفرنسية تعد اول اطلالة حقيقية على الثقافة الغربية باعتبارها اول احتكاك مباشر بين المجتمع المصري وبين الحضارة الاوروبية الغربية الحديثة ، الا انها لم تحدث تغييرات جذرية للبناء الاجتماعي الاقتصادي للمجتمع المصري رغم تلك المشروعات التي اضطلع بها الفرنسيون ايام نابليون ومن خلفه في مصر كمشروع **كفاريطي** للاصلاح الزراعي ومشروع **مينو** لاصلاح نظام ملكية الارض .

والواقع ان معظم هذه المشروعات لم تنفذ بل ان حال الفلاحين في القرى والحرفيين وصغار التجار في المدن ازدادت سوءا نظرا للضرائب الباهظة التي كان يفرضها الفرنسيون بشكل لامت دون تمييز ، ودون الاخذ في الاعتبار الظروف الاقتصادية التي كان يحياها فقراء الشعب المصري .

اما عن عصر محمد علي فهو من العصور التي كانت ولا تزال تثير كثيرا من الجدل واختلاف وجهات النظر ، ولا سيما عند المقابلة بين المنجزات المادية التي حققتها هذا العصر ، وبين انعكاس هذه المنجزات على طبقات الشعب وفئاته وخاصة في احساس هذا الشعب بالعدالة والحرية .

الذى محمد علي نظام الالتزام وهو من أسسوا الانظمة الزراعية التي عرفتها مصر ، ودمر بذلك هذه الطبقة القديمة التي كانت تسيطر على الاراضي وتستغلها في ظل هذا النظام ، « ومهد الطريق لظهور طبقة جديدة من الملاك . ولكي يوفر التوازن لحكمه أخذ يجرب اشكالا عديدة من حيازة الارض الغرض منها جميعا زيادة دخله . وقد نشأت الضياع الخاصة الكبيرة ونمت ، وهي احدى السمات المميزة لمصر الحديثة في عصره » . (٥)

ومن ناحية أخرى ، يحمل البعض لمحمد علي أنه وزع بعض الاراضي على الفلاحين . الا ان هذا التوزيع لم يكن يعني في واقع الامر تملكا ، حيث لم يتمتع مالكو الارض الا بحق الانتفاع بها فلم يكن لهم حق بيعها او التصرف فيها . والحقيقة أن ما وزعه محمد علي من اراض على الفلاحين وهب في مقابلة آلاف الامدنة الى اقلية واتباعه على نحو ما يذهب شارل عيسوي (٦) . ولقد خلق محمد علي بذلك طبقة مالكة من عائلته ومجلسيه ومعاونيه « الذين يهللون لكل ما يقوم به الباشا ، وفي احيان كثيرة كتبوا مخابرين يلتصقون بتحقيق مصالحهم الخاصة وزيادة مكاسبهم الشخصية بداهته وتفخيتها او هام القوة التي تجول بخاطرهم ويشجعونه على القيام باعمال جديدة لا تحتلها طاقته ولا تعود على البلاد بأي نفع » . (٧)

معنى ذلك أنه تبرع على قمة البناء الطبقي للمجتمع المصري آنذاك كل من محمد علي واسرته وكبار معاونيه من الاتراك وغيرهم ، فضلا عن كبار الاعيان والضباط . وفي قاع هذا البناء نجد الفلاحين والحرفيين وصغار التجار الذين عاثوا الامرين . ولنا في حال الفلاحين خير شاهد على ما نذهب اليه ، اذ أنه على الرغم من تخلص الفلاح من المالك والمقرمين ، الا أنه لم يجر أي تحسين في حياته فهو « مرتبط بقطعة ارضه كما كان في عهد المالك ، وكان يوجب عليه أن يعمل ٦٠ يوما من كل عام سخرة في اراضي محمد علي واتباعه . اما ما كان يدفعه من ضرائب للمقرمين ، فصار يقوم بجلبيتها ، جباة الدولة ، ولكن بنسب اعلى ، وكان قد أعفى الفلاح من الخدمة العسكرية ، في عهد المالك اما الان فقد أصبح الفلاح معرضا للتجنيد العسكري ومهددا بالخدمة لسنوات طويلة في الجيش الاتطامي في ظل التدريب تحت السيطرة واخيرا لم يكن في سمته التصرف بحرية بمنتجاته ، اذ كان ملزما بتسليم القسم الاكبر منها الى محتكري الحكومة ، وذلك بأسعار منخفضة » . (٨)

ويشير الجبرتي ، مؤكداً تلك الحال التي آل اليها فلاحو مصر أيام حكم محمد علي ، الى أنه في اكتوبر ١٨٠٧ م (٩) قرر الباشا ومعاونوه « فردة غلال وسمن وشعير وغول على البلاد والقرى . وان لم يجد المعينون للطلب

شيئاً من الدراهم عند الفلاحين اخذوا مواشيهم وابقاهاهم لياتي اربابها
ويدفعوا ما تقرر عليهم ويأخذوها ، ويتركونها بالجوع والعطش . فعند ذلك
يبيعونها على الجزارين ويرمونهم عليها قهراً بالقصى القوية ، ويلزمونهم
بالحضار الثمن . . فان تراخوا وعجزوا ، شددوا عليهم بالحبس
والضرب . « (١٠) .

ولقد كانت الطبقة والتحيز وعدم المساواة سمة تميز عصر محمد علي .
ويضرب لنا مؤرخنا الجبرتي مثلاً في الطبقة والمحابة حيث يشير الى عملية
فرض ضرائب المكوس (الجمر) فيقول : « ومنها أن ديوان المكس ببولاق —
الذي يعبرون عنه بالكرك — لم يزل يتزايد فيه المتزايدون حتى أوصلوه الى
الف وخمسمائة كيس في السنة . وكان في زمن المصريين يؤدي من يلتزمه ثلاثين
كيساً ، مع محابة الكثير من الناس ، والمنع عن كثير من البضائع أن ينسب
الى الامراء واصحاب الوجاهة من اهل العلم وغيرهم . فلا يتعرضون له ، ولو
تحلى في بعض اتباعهم ولو بالكذب ، ويعاملون غيرهم بالرفق ، مع التجاوز
الكثير ، ولا يفتشون المناع ولا يرباط الشيء المحزوم . . . بل على الصندوق او
الحزوم قد يسير معلوم . « (١١)

وتحتم علينا الرواية الموضوعية والدراسة الجادة لفكر عبد الرحمن
الجبرتي ورواه ، الاجتماعية والسياسية الا نفعل تلك الظروف الخاصة التي
صاحبت نشأة الرجل ، ذلك المؤرخ المصري الذي استطاع أن يقدم لنا صورة
كاملة للمجتمع المصري خلال العصر العثماني بما فيه حكم المماليك والحكم
الفرنسي فضلاً عن حكم محمد علي . والحق أن الجبرتي يعتبر أحد كبار
المؤرخين في العالم الاسلامي في جميع ازمته ، وبالتأكيد هو أعظم المؤرخين
العرب في الازمنة الحديثة . (١٢)

ولد الجبرتي لآب ثري خلف له ميراثاً ضخماً مادياً وأدبياً ، حيث كان
والده من اغنياء عصره فضلاً عن كونه عالماً من علماء الازهر فوي الشهرة
والصيت . وقد كان منزله محراباً للباحثين والعلماء . ولقد ورث الشيخ
عبد الرحمن هذا التراث برمته الامر الذي أضفى عليه مكانة بارزة في المجتمع
القاهري ولا سيما من حيث صلاته الواسعة باصحاب السلطان من الامراء
والاجناد والتجار . وفي هذه البيئة العلمية — المترفة نوعاً ما — نشأ عبدالرحمن
الجبرتي ، وتقدم الصنف الاولى من علماء زمانه . (١٣)

ولا شك اننا في ضوء طبيعة البناء الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع
المصري آنذاك ، ومن خلال ما تكشف لنا عنه السيرة الذاتية لعبد الرحمن

الجبرتي من ظروف خاصة صاحبت نشأة الرجل وانعكست آثارها على حياته فيما بعد لا سيما في تلك المكلة الاجتماعية والعلمية التي اكسبته وضعا خاصا بين أقرانه من أعضاء الهيئة العلمية ، نستطيع ان نكشف من طبيعة الفكرين الاجتماعي والسياسي للجبرتي بشكل موضوعي وذلك من خسلال قضيتي الدراسة المشار اليهما آنفا .

أولا : الجبرتي والسلطة الحاكمة

يعد الجبرتي من ذلك الطراز من المؤرخين الذين يعتبرون ظاهرة متميزة في وقت كانت فيه كتابة التاريخ كما يذهب الجبرتي نفسه من « شغل البطالين واسلطي الاولين » .

ولقد خلف لنا الجبرتي تراثا عظيما سجل فيه احداث حقبة من اخصب حقب المجتمع المصري واغزرها من حيث تشابك الاحداث وتعدد الحوادث .

ولا شك انه رغم تميز الجبرتي وتفرده واتسابه بالموضوعية ، فان نظرتة للأمور كانت احيانا تتلون بميوله الخاصة ، وما كانت تلك الميول الا نتاجا للظروف الموضوعية لمؤرخنا الكبير . ولعل من اهم تلك القضايا التي اختلطت فيها لدى الجبرتي الرؤية الذاتية بالرؤية الموضوعية هي تلك القضية الخاصة بموقفه من السلطة الحاكمة وتصوره عن طبيعة الحاكم العادل .

وموقف الجبرتي من السلطة الحاكمة في عصره ، موقف متأرجح بين تأييد ورفض . ولعل هذا التأرجح يرجع الى طبيعة السلطة في كل مرحلة من المراحل التي عاشها مؤرخنا الشيخ . الا ان هذا الموقف — أي موقفه من السلطة — تبدو عليه بعض السمات العلية لعل من أهمها رفضه للظلم وجبه وولمه الشديد بالعدالة وهو الامر الذي سيتضح جليا عندما نكشف عن موقف الجبرتي من محمد علي .

ولعل ولعه وجبه الشديد للعدالة هو الذي جعله يتخذ من المالك موقفا متشددا ينم عن احتقار واستهجان لتصرفاتهم في الحكم والادارة ولا سيما فيما كانوا يمارسونه من ظلم وتعنّت على أفراد الشعب . ويسرد لنا الجبرتي تلك القصة التي تبين مدى ظلم المالك ومجملها « ان الشيخ الشراوي كانت له حصة في قرية بشرقية ببليس ، حضر اليها أهلها وشكوا من محمد بك الانفي ، وفكروا ان اتباعه حضروا اليهم وظلموهم وطلبوا اليهم ما لا قدرة لهم عليه ، واستغاثوا بالشيخ فاغتاظ وحضر الى الازهر وجمع المشايخ وقفلوا ابواب الجامع وذلك بعدما خاطب مراد بك وامروا الناس بطلق الاسواق والحوانيت

ثم ركبوا في ثاني يوم واجتمع عليهم خلق كثير من العامة وتبعوهم وذهبوا الى بيت الشيخ السادات وازدحم الناس على بيت الشيخ من جهة الباب والبركة بحيث يراهم ابراهيم بك . . فحضر اليهم وسلم عليهم ووقف بين يديهم وسألهم عن مراد بك ، فقالوا له **نريد العدل ورفع الظلم والجور واقامة الشرع وابطال الحوادث والمكوسات التي ابتدعتموها واحسنتوها** « (١٤)

نستشف من ذلك النص مدى الظلم اللاحق بفئات الشعب من قبل الممالك وعدم خنوع الشعب او خضوعه لهذا الظلم ، بل قاومه ولم يهدأ الا بعد توقيع اول ميثاق يحدد علاقة الحاكم بالحكوم وهو « الامر الذي دفع بعض المهتمين بالتاريخ ان يشبهوا هذه الحجة التي فرض عليها الباشا ووقع عليها ابراهيم ومراد بالمجنكرات » . « (١٥)

ولعل موقف الجبرتي من هذه الحادثة هو موقف المعارض للسلطة المملوكية والمؤيدة للشعب ، وهو الامر الذي تأكد ايضا من تعاطفه الشديد مع (ثورة) . . . اهالي الحسينية ضد ظلم أحد سنلجق مراد بك في اواخر عام ١٧٨٥ . « (١٦) . فالظلم عنده امر مستهجن لان « عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة ، قيام ليلا ، وصيام نهارها » . (١٧) ، فاقامة الشريعة والرفق بالرعية هما من اهم الصفات التي يرى الجبرتي ضرورة توفرها لدى الحاكم العادل . (١٨) ، لذلك لا نجد غرابة في حملته الشديدة على الممالك . ورغم اتهام البعض له بانه كان يحارب الممالك ولكن من بين صفوفهم ، حيث كان مملوكي الروح (١٩) ، فان موقفه بوجه عام من الممالك هو موقف المعارض المستهجن لتصرفاتهم وسوء ادارتهم وظلم حكمهم .

الا ان موقف الجبرتي من الحملة الفرنسية ومن السلطة الفرنسية الحاكمة موقف يتسم بالاعجاب الشديد والانبهار بمنجزاتهم وحبهم الشديد للعلم فضلا عن اعجابه بنظم الحكم التي ارسوها وفي اسلوب محاكماتهم الذي اتسم بالعدل لا سيما في محاكمة سليمان الطيبي قاتل كبير والتي يصنفها الجبرتي وهو مأخوذ بنظامها واسلوب سير الاجراءات فيها .

الا ان الجبرتي رغم اعجابه هذا رأى في غزوهم لصر اعتداء صارخا وتمنى انتهاء حكمهم ولكنه — كما يذهب الدكتور أحمد عزت عبد الكريم — « . . . لم يشارك في مقاومتهم أو الثورة عليهم ، بل لا نرى له — وهو من بين المتصدين من علماء تلك الايام موقفا يتسم بالمعارضة للفرنسيين كما نرى من الشرقاوي أو السادات مثلا . ولكن لا نذهب الى حد اتهام الجبرتي بالتعصّلون مع الفرنسيين » . « (٢٠) .

ولكن في حقيقة الامر اذا كان الشيخ الجبرتي لم يشارك مشاركة ايجابية في مقاومة الفرنسيين او الثورة عليهم ، الا انه ظل دائما يندد ببعض مواقفهم التي اتسمت بالظلم وخاصة فيما كانوا يفرضونه من ضرائب باهظة وفي اوقات متقاربة بالقوة والقهر . وكان نصيب الحرفيين وصغار التجار والفلاحين من هذه الضرائب كبيرا ، بل ان هذه الطبقات بالذات كانت المنهل الذي كان ينهل منه الفرنسيون . ويروي لنا الجبرتي مؤكدا ما نذهب اليه انه « ... في يوم السبت سادس عشر ، ارسلوا تنابية الى ارباب الحرف والصنائع يطلب دراهم وزعت عليهم مجموعها خمسمئة كيس ، فضج الناس وتكذبوا ، ومع ما هم فيه من وقف الحال وغلاء الاسعار في كل شيء ، واصبحوا على ذلك يوم الاحد ، فلم يفتحوا الحوانيت ، وانتظروا ما يفعل بهم ، وحضر منهم طائفة الى الجامع الازهر ، ورا الاغا والوالي ينادون بالامن ، وفتح الدكاكين فلم يفتح منهم الا القليل وفيه وقعت معركة بسوق الصاغة بين بعض المسكر الذين ينحشرون في ايام الاسواق في الدلائل والباعة ويمطلون عليهم دلائهم وصنائعهم ومعايشهم ، وضربوا على بعضها بالرصاص ، ففرغ الناس وحصلت كوشة وظن من لا يعلم الحقيقة من المسكر انها قومة ، فهربوا يمينا وشمالا وطلبوا النجاة والتساري . » (٢١) .

ويدلل الجبرتي في الرواية الآتية على بعض مواقف الفرنسيين التي اتسمت بالظلم والتعنت فيقول « فيه اشتد امر المطالبة بالمال ، وعين اذلك رجل نصراني قبطي سمي شكر الله ، فنزل بالناس ما لا يوصف ، فكان يدخل الى دار اي شخص كان لطلب المال وصحبته المسكر من الفرنسيات والفعلة ويأيديهم القرم ، فيأمرهم بهدم الدار ان لم ينفصوا المقرر وقت تاريخه من غير تلخير الى غير ذلك ، وخصوصا ما فعله ببولاك ، فانه كان يحبس الرجال مع الناس ويدخن عليهم بالقطن والمشاق ، ينوع عليهم العذاب ، ثم رجع الى مصر يفعل كذلك (وفيه) اغلقوا جميع الوكائل والخانات على حين غفلة في يوم واحد وختبوا على جميعها ثم كانوا يفتحونها وينهبون ما فيها من جميع البضائع والاثمشة والعطر والدخان خانا بعد خان » . (٢٢)

ويؤكد الجبرتي ايضا على ظلم الفرنسيين وعدم امتثالهم للعدل فيما يروي انه حدث في شهر جمادي الثانية ١٢١٥ ان « حضر رجل الى الديوان مستقيفا باهله وان غلق الفرنسيين قبض على ولده وحبيه عند قائمقام وهو رجل زيات وسبب ذلك ان امرأة جاءت اليه ، لتشتري سمنا فقتل لها لم يكن عندي سم ، فكررت عليه حتى ضج منها ، فقاتلت له كاتك تدخره حتى تبيعه على العثملي ، تريد بفلك السخرية ، فقتل لها نعم رغما عن انك واثف الفرنسيين ، فنقل عنه

مقاتله غلام كان معها حتى انهوه الى قائمقام ، فاحضره وجبسه ويقول ابوه
أخلف أن يقتلوه ، فقال الوكيل لا يقتل بمجرد هذا القول ولكن مطمئنا فسان
الفرنساوية لا يظلمون كل هذا الظلم ، فلما كان اليوم الثاني قتل ذلك ومعه
أربعة لا يدري ذنبهم وذهبوا ليوم مضى . « (٢٢) » .

ولعل هذه الحوادث وغيرها هي التي دفعت الجبرتي ، رغم اعجابه
ببعض منجزات الفرنسيين ، الى أن يتهمهم بالظلم (٢٤) ، وأن اعجابه بهم لم
يتجاوز حد الإساءة بهذه المنجزات فضلا عن اعجابه ببعض المواقف التي يرى
أنها تنقسم بالعدالة على نحو ما سوف نعرضه بعد ذلك . ويتضح موقفه هذا
في تعليقه على ذلك البيان أو المنشور الأول للبليليون الذي قال فيه (أنني ما
تدبت لكم الا لكيما أخلص حاكم من يد الظالمين) . ويعلق الجبرتي على هذه
العبارة بقوله « هذه أول كذبة ابتدعها وقرئها ابتكرها » . (٢٥) .

وما زال الجبرتي يروي لنا مظالم الفرنسيين فيذهب الى انه بعد
ثورة القاهرة الاولى قرر الفرنسيون غرامة على العلماء والاهالي وقال
العلماء « ماذا كان الأمر كما فكرتم ولا يخرج من يدكم كسكين الفتنة ولا غير
ذلك ، مما فائدة رئاستكم ، وأبش يكون نفعكم ؟ وحينئذ لا يأتينا منكم الا الضرر ،
لأنكم اذا حضر اخصالنا قتمت معهم وكنتم وإياهم علينا فكان جزاؤكم أن
نفعل بكم كما فعلنا مع أهل بولاق من نقتلكم عن آخركم وحرقت بلدكم وسببى
حريمكم وأولادكم ، ولكن حيث أعطيناكم الأمان فلا نتقض أماننا ولا نقتلكم وانما
ناخذ منكم الاموال . فالمطلوب منكم عشرة آلاف ألف فرنك ، عن كل فرنك
ثمانية وعشرون مائة يكون فيها ألف ألف فرانك عنها خمس عشرة خزنة رومي
بثلاث عشرة خزنة مصري ، منها خمسمائة على ملتين على الشيخ السادات
خاصة من ذلك خمسمائة وخمسة وثلاثون أيضا ، والشيخ محمد بن الجوهري
خمسون ألفا ، وأخيه الشيخ فتوح خمسون ألفا ، والشيخ مصطفى الصاوي
خمسون ألفا والشيخ الصافي مائتان وخمسون ألفا ، من ذلك نظير نهب دور
الفارين مع العثماني ، مثل المحروقي والشيخ عمر مكرم وحسين أغاشين . وما
بقي تدبرون رأيكم فيه وتوزعونه على أهل البلد وتتركون ، عندنا منكم خمسة
مشر شخصا . انظروا من يكون فيكم رهينة عندنا حتى تغلقوا ذلك
البلد » . (٢٦)

ولم يسلم من هذه الغرامة فرد أو طبقة أو طائفة حيث وزعت على
« . . . الملتزمين وأصحاب الحرف ، وحتى على الحواة والقردانة ، والمحيطين
والتجار وأهل الغورية وخان الظلي والصاغة والنحاسين والدالين والقبائبة
وتضاعة المحاكم وغيرهم وكل طائفة مبلغ له صورة مثل ثلاثين ألف فرانك وأربعين

الف . كذلك يباعو التبنك والدخان والصابون ، والفردجية والعطارون والزيتون والشواؤن والجزارون والمزبنون وجميع الصنائع والحرف . » (٢٧)

الا ان مؤرخنا الشيخ رغم سخطه الشديد على تلك المظالم التي ارتكبتها الفرنسيون تجاه فئات الشعب المصري ، يحدد لهم بعض المواقف . فضلا عن الموقف الخاص بمحاكمة سليمان الطبي واثبهاره بسير المحاكمة ونظامها ، فانه يذكر لنا حادثة أخرى تشير الى امتثال الفرنسيين في بعض المواقف الى العدل وتدلل من جهة أخرى على الموضوعية النسبية التي اتسمت بها روايات الجبرتي ، فيقول الجبرتي انه في ٣٠ يونيو سنة ١٨٠١ (٢٨) ، حدث أن «... شنق الفرنسيون شخصا منهم على شجرة ببركة الازبكية قيل انه سرق . » (٢٩)

فالجبرتي اذن لم يكن يملك الا القلم لكنه يعبر به عن سخطه وعدم رضائه عن الحكم الفرنسي بوجه عام . وقد يرجع السبب في هذا الى تخوفه مما قد يسببه له هذا السلوك الإيجابي ضد الفرنسيين من بعض الأضرار الخاصة ، فآثر السلامة نظرا لما يتمتع به من مكانة خاصة في المجتمع أورثه اياه والده . هذا فضلا عما آل اليه مصر غيره من العلماء الذين عارضوا الحكم الفرنسي علنا كالشيخ السادات مثلا الذي سجن كرهينة لدى الفرنسيين حتى يدفع المشايخ قدرا معيناً من المال كمقابل لهم وللمصريين على ما صدر منهم أثناء ثورة القاهرة الاولى .

ولعل هذا السلوك المحافظ من قبل الجبرتي تجاه الحكم الفرنسي ، الذي يضر في طبيعته اعجابا بمنجزاتهم المالية والعلمية ونفورا من سلوكهم تجاه الشعب وظلمهم اياه ، كان نتاجا لتلك الثقافة التي عاش في ظلها الرجل ، «... سواء تلك التي جناها على يد والده او من خلال دراسته او اشتغاله بالتاريخ الى جانب الخبرة والتجربة اللتين كسبهما من حياته العامة والخاصة أن صارت للشيخ فكرة محددة في أصول الدولة والسياسة شكلت موقفه من الحوادث التي شهدا وتأثرت بها الاحكام التي أصدرها على المسؤولين في عهده . » (٣٠)

الا انه مما يحير بالنسبة للجبرتي انه لم يذكر اسمه من بين تلك الاسماء التي تكون منها اول ديوان انشاء نابليون في مصر وهو أمر أكده كثير من الباحثين والمؤرخين (٣١) . فيشير الجبرتي الى أنه لما اجتمع نابليون مع مندوبين من العلماء والمشايع قال لهم «... أننا ما حضرنا الا بقصد ازالة الممالك الذين يستعملون الفرنسية بالذل والاحتقار ، ولخذا مال التجار ومال السلطان

.... وأما المشايخ والعلماء وأصحاب المراتب والرعية ، فيكونوا مطمئنين ،
وفي مسألتهم متاجرين ومرتاحين » الى آخر ما ذكرناه . ثم قال نابليون لهم :

« لازم ان المشايخ والشرابية يلتون إلينا لترتب معهم ديوانا ننخبه من
سبعة أشخاص عقلاء يدبرون الامر » .

ثم يشير عبد الرحمن الجبرتي الى تلك العناصر التي تكون منها هذا الديوان
والتي انحصرت في العلماء والمشايخ : « وفي يوم الخميس ثالث عشر من صفر
طلبوا المشايخ والوجاتلية عند بعض رؤسائهم وعينوا عشرة من أفاضل المشايخ
للديوان وهم الشيخ عبد الله الشرتاوي ، والشيخ خليل البكري والشيخ
مصطفى الصاوي ، والشيخ سليمان الفيومي ، والشيخ محمد المهدي ، والشيخ
موسى السري ، والسيد مصطفى الدمنهوري ، والشيخ أحمد العريشي ،
والشيخ يوسف بك كخدا الباشا والقاضي وعملوا محمد آغا المسلماني آغا
مستحفظان ، وعلي آغا الشعراوي زعيم مصر ، وحسن آغا محرم أمين
احتساب ، وذلك بأشارة أرباب الديوان ، فاتهم كتبا من تقليد المناصب لجنس
المالِك ، فعرفوهم ان سوتة مصر لا يخافون الا الاتراك ولا يحكمهم سواهم ،
وهؤلاء الجماعة من أرباب البيوت القديمة . » (٣٢)

ولسنا ندري السبب في تجاهل الجبرتي لاسمه حين ذكر أسماء أعضاء
الديوان ، هل هو خوف من حكم التاريخ عليه باعتباره متعاوناً مع الفرنسيين ،
أم هو دليل على عدم رضاه عن الديوان أو عن فكرة التعاون مع الفرنسيين
على الإطلاق أيا كان مستوى التعاون معهم ، رغم ان هذا الديوان كان يعد
نواة لنظام شورى لم تكن تعرفه البلاد من قبل ولا سيما اذا لاحظنا انه
وضع سنة ١٧٩٨ في اواخر القرن الثامن عشر ، ففي ذلك الحين لم يكن النظام
الدستوري مالوفا في الشرق . بل كان الحكم المطلق القائم على الظلم والاستبداد
واهواء لحكام هو السائد في بلاد الشرق قاطبة . » (٣٣)

ثم كان موقفه من محمد علي ، وهو موقف يتسم في عمومهِ بالمعارضة
الشديدة ، الا انه مع ذلك لم يستطع الا ان يشيد بمحمد علي وخاصة فيما
اتصف به من ذكاء ودهاء لدرجة انه قد اشار بأن لمحمد علي مندوحة لم تكن
لغيره من ملوك هذا الزمان . ولكن مفتاح فهم علاقة الجبرتي بمحمد علي يكمن
في تصوري فيما اشار اليه الجبرتي من ان محمد علي لو « وفقه الله نبي من
العدالة ، على ما فيه من العزم والرياسة والشهامة والتدبير والمطالبة لكان
اعجوبة زمانه وفريد أوانه » .

فالظلم ان وفقدان العدالة كلنا سببا في ذلك الموقف المتشدد الذي وقته الجبرتي من حكم محمد علي ، رغم ما قدمه الآخر لمصر من افضال لم يستطع انكارها عبد الرحمن الجبرتي نفسه ويتضح ذلك حين « بنى محمد علي حائطين في رشيد على يمين البوغاز وشماله ينحصر بينهما الماء فلا تطغى الرمال وقت ضعف النيل بحيث تعطب المراكب وتلف اموال المسافرين اكبره الجبرتي ووصف ما قام به بانه (من اعظم الهمم الملوكية التي لم يسبق لهاها) » (٣٤) .

واذا كان الجبرتي ينتمي الى فئة متميزة في المجتمع ، هي فئة العلماء ، الى جانب غناه وتميزه الاجتماعي والاقتصادي ، وهو الامر الذي جعل البعض يعزو السبب في موقف الجبرتي المتشدد من محمد علي الى ان الاجراءات التي اتخذها سواء اكانت اقتصادية او اجتماعية قد مسته شخصا وبست الطبقة التي ينتمي اليها ، الا انه مع ذلك لم يقف هذا الموقف المعارض من محمد علي كنتيجة لما اصاب طبقة او هو شخصا من اجراءات محمد علي ، او ضيقه بأسلوب محمد علي في التفريق بين العلماء وفتكه بالماليك عام ١٨١١ فحسب وانما ايضا لما اصاب الطبقات الاخرى في المجتمع لا سيما الطبقات الكادحة كالفلّاحين والحرفيين وصغار التجار . فهو يسوق لنا مثلا على مدى الظلم والقهر الذي عاش في ظله الفلاح المصري ابان حكم محمد علي ، فيقول « ... وفي اثناء ذلك : قرروا ايضا غلال وسمن وشعير ونول على البلاد والقرى . وان لم يجد المصنوع للطلب شيئا من الدراهم عند الفلاحين اخذوا مواشيهم باحضار الثمن فان تراخوا او عجزوا ، شددوا عليهم بالحبس والضرب » . (٢٥)

ويخلل الجبرتي على مدى تعنت جند محمد علي وظلمهم فيقول انهم « ... زادوا في الطغور نغمات ، وهو انهم صاروا يتتبعون اولاد البلد ، وارياب الصنائع الذين لهم نسبة قديمة بالقرى ، وذلك باغراء اتباعهم واعوانهم ، فيكون الشخص جالسا في حاتوته وصناعته فما يشعر الا والاعوان محيطون به ويطلبونه الى مخبئهم . فان امتنع او التكا ، سجنوه بالقهر واخذوه الى الحبس ، وهو لا يعرف له دين . فيقول « وما ذنبي ؟ » ، فيقال له : « عليك مال الطين » ، فيقول : « واي شيء يكون الطين ؟ » ، فيقولون له « طين فلاحتك فلاحتك من مدة سنين لم تدفعه ، وقدره كذا وكذا ، فيقال له : الست فلاحا الشبراوي او المنياوي مثلا » ، فيقول لهم « هذه نسبة قديمة سرت الي من عمي او خالي او جدي »

فلا يقبل منه ، ويحبس ويضرب حتى يدفع ما ألزمه به ، أو يحدد شأننا
بصالح عليه . وقد وقع ذلك لكثير من المتسببين والتجار وصناع الحرير
وغيرهم » . (٣٦)

ونحن بذلك لا نجد ذلك التعالي الفكري أو الطبقي لدى الجبرتي ، أو لا
نجد فيه تلك البورجوازية الفكرية أو الاقتصادية (٣٧) ، التي جعلته يقف من
أحداث عصره موقفا تمليه عليه هذه الانتهات الفكرية والاقتصادية فهو في
الوقت الذي يعيب فيه محمد علي ومعاونيه إجراءاتهم التي أصابت فئة العلماء
والملتزمين ينمي عليه أيضا إجراءاته التعسفية ضد الفلاحين والحرفيين وصغار
التجار . ولعل ما ساقه لنا الجبرتي وما سوف يسوقه لنا ويضربه لنا من أمثال
يجعلنا لا نتفق كثيرا مع ما ذكره محمود متولي من أن قاريء الجبرتي يستطيع
أن يستخلص « أنه كان بورجوازي التفكير حيث تظهر اهتماماته
بالكتلة عن الطبقة الراقية والأعيان أكثر من الاهتمام بالعملة والذين لم يخل
في ذكر أحداثهم » (٣٨) ، إلا أن متولي يذهب في نص آخر إلى أن الجبرتي رغم
كونه بورجوازيا إلا أنه كان « غير مستغل ومتعاطف وإن كان يستنكف
بعض تصرفات الرعاع إلا أن ذلك لم يمنعه من الدفاع عنهم أمام ظلم الحاكم
وجبروته في كتاباته . » (٣٩) ، فمتولي هنا رغم تقريره بأن الجبرتي قد اهتم
بالطبقة الراقية (٤٠) ، من حيث الكتلة والتاريخ إلا أنه لم يستطع إنكار
تعاطفه مع العامة ووقفه منهم ضد الحكم .

ولم يكن الجبرتي بظالم لمحمد علي فهو يقرر ما هو واقع من حوادث
ووقائع تشهد جلها بظلم الحاكم ومعاونيه ، فيذهب إلى أن اتخذ الباشا كان
« يتنوع في استغلال الأموال وتحليل في استخراجها بأنواع من الحيل
منها : » أنه يرسل إلى أهل حرقة من الحرف ، ويأمرهم ببيع بضاعتهم
بنصف ثمنها ، ويظهر أنه يريد الشفقة والرافة بالناس ، ويرخص لهم في أسعار
المبيعات ، وإن أرباب الحرف تعدوا الحدود في غلاء الأسعار . فيجتمع أهل
الحرقة ويضجون ، ويتوتون بدفاترهم ويبان رأس مالهم ، وما يضاف إليه من
غلو الأجر في البحر والبر فلا يسمع لقولهم ، ولا يقبل لهم عذرا ، ويأمر
بهم إلى الحبس . ثمند ذلك يطلبون الخلاص ويصلحون على أنفسهم بقدر من
المال يدفعونه ويوزعون ذلك على أفرادهم فيما بينهم . ثم يزيدون في سعر تلك
البضاعة ليعوضوا غرامتهم من الناس محتذرين بترك الغرامة وما حل
بهم من الخسارة ، ثم تستمر الزيادة على الدوام » . (٤١)

فالحرفيون وصغار التجار والفلاحون كانوا من أكثر طبقات المجتمع
تعرضا للظلم والاضطهاد ، ولنا في حال الفلاح خير مثل على ما نذهب إليه .

فالسفرة والتجنيد بالتهر فضلا عن الفرض الجزافي للضرائب كلها أمور جعلت من الفلاح المصري آنذاك ضحية لظلم الحاكم وتعنته .

ويدلل لنا اليوزباشي نورمان في كتاب له طبع في آذار / مارس ١٩٠٢ عن نظام الجندية واسلوب التجنيد ايام حكم محمد علي : « وكنت أرى جماعاتهم تمر بي كل يوم ، وأنا جالسا الى قهوة تحت داري بحي الازبكية ، في رتل طويل يسوقه الباشا بوزوف الى القشلافت سوق السلطنة ، منظرهم يفتت الاكباد ، فقد انزعوا عنوة من بين اهلهم ، ومن بين احضان الحرية ، يسرون مثني ، مثني ، مريوطين برقابهم الى حبل من مسلة ، يمتد على طول الرتل ، فتيقة ترتسم على وجوههم وفي اجسامهم المجاف آثار التعب والجوع لا تكاد تستر عورتهم اسمال قفزة كانت فيما مضى هدوما زرقا » . (٤٢) .

فلم يكن الجبرتي في هذا متجنبا على محمد علي فما هو اليوزباشي نورمان يؤكد تلك الحال التي آل اليها الفلاح المصري ، وما هو ادوارد لين الذي ملصر عهد محمد علي يحكي لنا قصة الفلاح الذي قابل الباشا وهو في طريق عودته من الاسكندرية الى القاهرة فشكا له فقره وسوء حاله فاصدر محمد علي امره بان على اغنى رجل في القرية ان يعطيه بقرة يعيش منها . فيتهكم لين على محمد علي ويقول ها هي العدالة كما يفهمها الباشا ، يحسن الى فقيره ليس من ماله الخاص وانما من مال غيره . (٤٣) ، ويشير لنا لين ايضا الى ما كان يتمتع به محمد علي من سلطة مطلقة ، حيث كان من حقه ان يقتل من يشاء من رعيته دون محاكمة ودون ابداء السبب ، « واذا اُشمر بيده بحركة افقية لطاح السيف برأس من يريد » . (٤٤)

فاذا كانت نشأة الجبرتي وانبثاقاته الفكرية والطبقية قد انعكست آثارها على موقفه من محمد علي نظرا لما أصابه وأصاب طبقته من ضرر سببته لهم إجراءاته الاقتصادية ، فهل كان لادوارد لين واليوزباشي نورمان وغيرهما مصلحة في اتخاذ هذا الموقف من محمد علي وطبيعة نظام الحكم الذي كان سائدا آنذاك ؟

ويمرzo البعض السبب في ذلك الموقف الذي اتخذته الجبرتي من محمد علي الى انه لم يدرك طبيعة التغير الذي أحدثه ، وأنه راح « يقيس الأمور بمقياس الاخلاق وحدها ، دون أن يقدر كنه التغير أو دواعيه وبواعثه » . والحق ان الجبرتي عاش من حكم محمد علي سنواته العشرين الاولى ، وهي السنوات التي شغل فيها محمد علي بتحطيم مقومات البناء القديم لبنين بناءه الجديد . وسنوات الهم دائما يشوبها العنف والقسوة والمصادرة .

وهذه كلها أمور سجلها الجبرتي ناقدا ساخطا وان لم يسع لما وراءها من
تصد . (٤٥)

والحقيقة أن هذه القضية — قضية عدم ادراك الجبرتي لطبيعة التغير
الذي أحدثه محمد علي — بحاجة الى مناقشة . فالواقع انه ليس دفاعا عن
الجبرتي ان نقول ان فهم طبيعة علاقته بمحمد علي يكمن في معنى العدالة
كما يفهمه الجبرتي وهو عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة ، تيام ليلها
وصيام نهارها . وهنا تلعب نشأته الدينية دورا في تحديد هذا المعنى ، كذلك
تلكه على ان سبب هلاك الحاكم هو (اطراح ذوي الفضائل ، واصطناع ذوي
الرزائل والاستخفاف بعبطة الناصح ، والاغترار بتزكية المادح) ، ماذا كان
هذا هو تصور الجبرتي للعدالة وللحاكم العادل فلا غرابة ان اذا اتخذ الجبرتي
هذا الموقف المتشدد من محمد علي . ثم من قال ان الجبرتي لم يدرك طبيعة
التغير الذي أحدثه محمد علي . لقد شعر الجبرتي ان لهذا الحاكم — وهذا
حق — ملكات وخصائص لم تتوفر لغيره من الحكام ، وانه كثيرا ما كان يشيد
به — كما اشرنا — فلقد وصف أحد الاعمال التي قام بها بأنها من أعظم الهمم
الملوكية لم يسبق لمثلها ويان له مندوحة لم تكن لغيره من ملوك هذا الزمان .

ولم يكن الجبرتي منافقا حين قال عن محمد علي انه لو وفقه الله شيء من
العدالة ، على ما فيه من الحزم والرياسة والشهامة والتبدير والمطالعة لكان
اعجوبة زمانه وفريد أوانه .

ولكن على أية حال فانه رغم الموضوعية النسبية التي تميزت بها كتابات
الجبرتي الا أننا لا نستطيع وفقا لما نتيجته لنا مناهج البحث في مسيولوجيا
المعرفة ان نسلخ مواقف الجبرتي ، وآرائه وتصوراته المختلفة لعلاقته بالسلطة
الحاكمة في أيامه عن طبيعة الثقافة التي عاش في ظلها وطبيعة العصر الذي
ينتهي اليه حيث عاش الجبرتي فترة قلق من تاريخ مصر منذ اواخر القرن
الثامن عشر حتى العشرينات من القرن التاسع عشر .

فاختلاط النظرة الموضوعية بالنظرة الذاتية في حكمه على الامور امر
غير منكور وان كنا لا نستطيع تحميل مبوله واتجاهاته ونظراته الذاتية بوجه عام
اكثر مما تحتل نظرا لما يؤكد لنا التاريخ ومن مصادر أخرى غير الجبرتي من
ان حكم الجبرتي على طبيعة السلطة في عصره لم يبعد كثيرا عن الموضوعية .

ثانيا : الجبرتي والثورة

اذا كان لعبد الرحمن الجبرتي ذلك الشيخ صاحب تلك المكانة الاجتماعية

المرموقة ، وذلك الوضع العلمي المتميز ، موقف خالص من فكرة الثورة ، فان هذا الموقف لم يتسم بالثبات ، فهو ثائرة مؤيد اشد ما يكون التأييد ، وثائرة أخرى متحفظ الى حد الاستنكار . والثورة كما نمنها هنا هي تلك الانتفاضات التي تقوم بها غالبية فئات الشعب تعبيرا عن السخط وعدم الرضا عن ظلم الحاكم وتمنعه . ولا شك ان تعدد مواقف الجبرتي من الثورة والثوار يرجع في حقيقة الامر الى طبيعة كل ثورة واسبلها ، فضلا عما تميز به الجبرتي من محفظة شديدة وكراهية للعنف .

والحقيقة ان الجبرتي قد ايد بشكل لامت ثورة اهالي الحسينية (١٧٨٥) وتلك الثورة (١٧٩٥) التي ارغمت الوالي والماليك على كتابة وثيقة أو حجة تبين الحقوق والواجبات بين الحاكم والرعية . وفيها ذهبوا الى بيت الشيخ السادات « وازدحم الناس على بيت الشيخ من جهة الباب والبركة بحيث يراهم ابراهيم بك . . . فحضر اليهم وسلم عليهم ووقف بين يديهم وسالهم عن مرادهم ، فقالوا له نريد العدل ورفع الظلم والجور واقامة الشرع وابطل الحوادث ، والمكوسات التي ابتدعتموها واحثتتموها والامر يكون بالاعطاء لا بالأخذ واتنفس المجلس وركب المشايخ الى الجامع الازهر واجتمع اهل الاطراف من العلمة والرعية وابتوا بالمسجد » (٤٦)

فالملاحظ ان الجبرتي وان لم يشترك فعليا في هذه الثورة ، الا انه لم يستنكرها ، بل نلاحظ تماثلها معها ومع الاهالي أو العامة أو الرعية كما يسميهم . الا اننا نجد بعد ذلك موقفا يتسم بالحفاظة ان لم يكن الاستنكار وهو الخاص بثورتي القاهرة الاولى والثانية . ويشير الجبرتي الى حوادث ثوره القاهرة الاولى تلك التي اندلعت لاسباب اقتصادية في المحل الاول وهي فرض الضرائب الجزافية على فقراء الشعب وطبقاته الدنيا فيقول :

« وفي يوم السبت مئثر جمادي الاولى عملوا الديوان واحضروا قائمة مقررات الاملاك والمعار ، فعملوا الاعلى ثمانية قرانة والايوسط ستة ، والادنى ثلاثة ، ومن كان اجرته اقل من ريال في الشهر فهو معاف . واما الوكاييل والخانات والجماعات والمعارض والسراج والحوانيت فمنها وجعلوا عليه ثلاثين وأربعين ، وكل شيء بحسبه . وكتبوا بذلك مناشير على عاداتهم ولصوتوها بالمفارق وأرسلوا منها نسخا للاعيان ولما اشيع ذلك في الناس كثر لغتهم واستعظموا ذلك والبعض استسلم للقضاء ، فاعتبذ جماعة من العامة وتناجوا في ذلك ووافتهم في ذلك بعض المتصمين الذي لم ينظر في عواقب الامور ، ولم

يتفكر انه في القبض مأسور ، وان الملاعين الكفار ، مالكون القلاع والاسوار ، ويحصنون الجميع بالآلات الحرب المتنيح ، فتجمع الكثير الفوغاء من غير رئيس يسوسهم ولا قائد يقودهم . » (٤٧)

ثم يسرد لنا الجبرتي حوادث الثورة بعد ذلك قائلا : « واصبحوا يوم الاحد متحيزين وعلى الجهاد عازمين ، وابرزوا ما كانوا اخفوه من السلاح وآلات الحرب والكفاح . وحضر السيد بدره وصحبته حشرات الحسينية ، وزعر الحارات البرانية ، ولها هياج عظيم وهول جسيم . ويقولون بصياح الكلام . نصر الله دين الاسلام . فذهبوا الى بيت القاضي عسكر وبه من سبقهم عن على شاكلتهم نحو الالف واكثر ، فخاف القاضي الملقبة واغلق ابوابه واوقف حجابيه ، فرجموه بالحجارة والطوب . وطلب الهرب فلم يمكنه الهروب . وكذلك اجتمع بالجامع الازهر — المعلم الاكبر — وفي ذلك الوقت حضر اللعين « دبوي » بطائفة من فرسانه وعساكره وشجعانه نمر بشارع الفورية ، وعطف على خط المندقية ، وذهب الى بيت الشرقاوي فلم يجده ، فذهب الى بيت القاضي فوجد ذلك الزحام ، فخاف وخرج من بين التصرين وبسبب الزهومة وتلك الاخطاط بالخلاتق مزحومة ، فبادروا اليه وضربوه واثخنوا جراحاته وقتلوه وقتلوا الكثير من الفرنسيين ، وابطلوه وشجعانه ، وذهبوا الى السمير وينس المصير . » (٤٨)

فالملاحظ ان موقف الجبرتي من ثورات ما قبل الحملة الفرنسية وتلك التي حدثت اثناءها ، موقف يتسم بتأييد الاولى والتحفظ في الثانية . والدليل على ذلك تسميته لثوار ما قبل الحملة الفرنسية بالعامة او الرعية وهي تسمية طيبة اذا قارناها بتسميته لثوار فترة الحملة الفرنسية بالحشرات والزعر .

ولكننا في الواقع اذا ما تساطنا عن السبب في اختلاف موقف الجبرتي من الثورة والثوار ، فانه الى جانب النشأة المحافظة للجبرتي ، فقد رأى في هذه الثورة مخاطرة شديدة نظرا لما يملكه الفرنسيون من عداد القهر والحرب ومقاومة أي تمرد وهو الامر الذي يتيح لهم تفوقهم العلمي ويتنبى الانسى انبهار الجبرتي بتفوقهم هذا . فالاستنكار هنا ليس استنكار الراضى للتمرد على الظلم وانما هو استنكار الخائف على العامة والدليل على ذلك قوله على احد المتصمين الذين ابداوا الثورة والثوار انه « . . . لم ينظر في عواقب الامور ، ولم يتفكر انه في القبض مأسور ، وان الملاعين الكفار ، مالكون القلاع والاسوار ، ويحصنون الجميع بالآلات الحرب المتنيح » . (٤٩)

فالنزعة المحافظة لدى الجبرتي ، وانبهاره بعلم الفرنسيين وخوفه على العامة من استخدام الفرنسيين لعلمهم هذا في مقاومتهم وهو الامر الذي حدث

بالفعل ، كانت من بين الدوافع التي جعلت مؤرخنا يقف هذا الموقف من ثورات فترة الحملة الفرنسية .

وأخيراً ، إذا كان الجبرتي فلك المؤرخ الذي انفرد بالكتابة عن تاريخ مصر خلال هذه الحقبة الزمنية الحية التي حفلت بأحداث متميزة عملت على تغيير مجريات الأمور في مصر قد أراد أن يكون موضوعياً ، فإن موضوعيته هذه قد تلونت الى حد ما بنظرته الذاتية للأمور ، تلك النظرة التي تعد نتاجاً لطبيعة ثقافته ونوعية البيئة الاجتماعية والعلمية التي كان ينتمي إليها ، فضلاً عن طبيعة البناء الاجتماعي والاقتصادي الذي عاش في ظله الرجل . الا انه من العسير علينا ان نذهب الى حد تأكيد غلبة هذه النظرة الذاتية في كل ما كتب .

والنظرة الذاتية — ونفا لما يتيح لنا علم اجتماع المعرفة — أمر ليس من السهل تجنبه . فالباحث — أي باحث — لا يستطيع أن يسلخ نفسه عن الظاهرة التي يعني بدراستها ، فما بالنا بمؤرخ عاش أحداثاً معينة ، وله ميول خاصة وثقافة متميزة ليس من السهل عليه أن يصدر أحكامه أو يصف ما يشاهد ويقرر ما هو كائن دون أن يكون لنظرته الذاتية نصيب في هذا . والسؤال هنا هو : الى أي حد تستطيع الرؤية الموضوعية أن تكبح جياح النظرة الذاتية للأمور بحيث لا تترك لها السيادة والغلبة ؟

واعتقد ان هذا ما استطاع ان ينجح فيه بمهارة مؤرخنا عبد الرحمن الجبرتي .

الهوامش

- (١) انظر : محمد محمود السروجي ، « مجلدات الآثار ومظهر التدريس » ، دراسة مقارنة ، « مجلة الكتّاب » ، السنة الرابعة عشرة ، المجلد ١٥٨ ، ايار/مايو ١٩٧٤ ، ص ٢ .
- (٢) السيد رجب حراز ، « المدخل الى تاريخ الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال البريطاني — ١٥١٧ — ١٨٨٢ » ، ص ٢٠ .
- (٣) سميد عبد الفتاح عاشور ، ثورة شعب ، عرض للحركة الوطنية في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين مع دراسة تفصيلية لثورة ٢٢ يوليو ١٩٥٢ ،
- (٤) عبد الرحمن الجبرتي ، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، الجزء الاول ، طبعة بيروت ، ص ص ٤٠-٤١ .
- (٥) احمد عبد الرحيم مصطفى ، الأرض والتلاح في مصر محمد علي ، الجمعية المصرية .
- (٦) Issawi, Charles, Egypt : An Economic And Social Analysis, Oxford Univ. Press, London, 1947.

- (٧) هيلين آن رينلين ، **الاقتصاد والإدارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر** ، ص ١٥٠ .
- (٨) لوتسكي ، **تاريخ الاقطار المصرية الحديث** ، ص ٧٠ .
- (٩) لم يستخدم الجبرتي التقويم الميلادي .
- (١٠) عبد الرحمن الجبرتي ، **تاريخ الجبرتي** ، كتاب الشعب رقم ٤٠ ، الجزء السابع ، ص ٧٤٣ .
- (١١) عبد الرحمن الجبرتي ، **المصدر نفسه** ، ص ٧٧ .
- (١٢) انظر : محمد انيس ، **الجبرتي ومكانته في مدرسة التاريخ المصري في العصر العثماني في الجمعية المصرية للدراسات التاريخية** ، ندوة عبد الرحمن الجبرتي وعصره : بمناسبة انقضاء ١٥٠ عاما على وفاته (١٦-٢٢ ابريل ١٩٧٤) ص ١٥ .
- (١٣) انظر : احمد عزت عبد الكريم ، **الجبرتي مؤرخ مصري على مفرد الطرق** ، في الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، **ندوة عبد الرحمن الجبرتي وعصره** : بمناسبة انقضاء ١٥٠ عاما على وفاته (١٦-٢٢ ابريل ١٩٧٤) ، ص ٤ .
- (١٤) عبد الرحمن الجبرتي ، **عجائب الآثار** ، الجزء الثالث ، ص ٢٥٨ .
- (١٥) لويس عوض ، **تاريخ الفكري المصري الحديث** ، **الخطبة التاريخية** ، ص ٦٣ .
- (١٦) عبد الخالق محمد لاشين ، **الفكر السياسي عند الجبرتي** ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، **ندوة عبد الرحمن الجبرتي وعصره** ، بمناسبة انقضاء ١٥٠ عاما على وفاته ، ص ٤ .
- (١٧) ذكر الجبرتي هذا الحديث الذي رواه ابو هريرة في مقفة عجائب الآثار حين بدأ في نكسر صفات الحاكم العادل .
- (١٨) انظر : احمد عبد الرحيم مصطفى ، **الجبرتي مؤرخا** ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، **ندوة عبد الرحمن الجبرتي وعصره** ، بمناسبة انقضاء ١٥٠ عاما على وفاته (١٦-٢٢ ابريل ١٩٧٤) ، ص ٧ .
- (١٩) صلاح عيسى ، **عبد الرحمن الجبرتي** ، مؤرخ في ميزان المؤرخين ، **مجلة الكتف** ، السنة الرابعة عشرة ، مايو ١٩٧٤ ، المجلد ١٥٨ ، ص ٣٥ .
- (٢٠) احمد عزت عبد الكريم ، **الجبرتي مؤرخ مصري على مفرد الطرق** ، مرجع سابق ، ص ٨ .
- (٢١) عبد الرحمن الجبرتي ، **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والافهار** ، الجزء الثاني ، طبعة بيروت ، ص ٦-٧ .
- (٢٢) عبد الرحمن الجبرتي ، **الجزء الثالث من التاريخ المسمى عجائب الآثار في التراجم والافهار** ، طبعة قديمة ، لم يفكر اسم الناشر ، ص ١٣٥-١٣٦ .
- (٢٣) عبد الرحمن الجبرتي ، **نفس المرجع** ، ص ١٣٦ .
- (٢٤) ما هذا اعجاب الجبرتي بطريقة بحكمة سليمان الحلبي قاتل كبير .

- (٢٥) عبد الرحمن الجبرتي ، مظهر التقديس يزوال دولة الفرنسيين ، ص ٦١ .
- (٢٦) عبد الرحمن الجبرتي عجائب الآثار (المختار من تاريخ الجبرتي) ، كتاب الشعب ، ص ص ٣٦٥ — ٣٣٦ .
- (٢٧) عبد الرحمن الجبرتي ، نفس المرجع ، ص ٣٦٧ .
- (٢٨) لم يستفد الجبرتي التقويم الميلادي .
- (٢٩) عبد الرحمن الجبرتي ، نفس المرجع ، ص ٤٤١ .
- (٣٠) عبد الخالق محمد لاشين ، الفكر السلسلي عند الجبرتي ، مرجع سابق ، ص ٢ .
- (٣١) انظر مجموعة الدراسات الخاصة بثقافة عبد الرحمن الجبرتي وعصره ، بمناسبة انتفاء ١٥٠ عليا على وفاته ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .
- (٣٢) عبد الرحمن الجبرتي ، مظهر التقديس يزوال دولة الفرنسيين ، ص ٧٢ .
- (٣٣) عبد الرحمن الرافعي ، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر ، ص ١٥١ .
- (٣٤) احمد عبد الرحيم مصطفى ، الجبرتي مؤرخا ، مرجع سابق ، ص ١٢ .
- (٣٥) عبد الرحمن الجبرتي ، تاريخ الجبرتي ، كتاب الشعب رقم ٤٠ ، الجزء السابع ، ص ٧٤٢ .
- (٣٦) عبد الرحمن الجبرتي ، المصدر نفسه
- (٣٧) انظر محمود متولي ، « الجبرتي والبرجوازية الصنعة » ، مجلة الكتاب ، السنة الرابعة عشرة ، مايو ١٩٧٤ ، المجلد ١٥٨ ، ص ٢٧ .
- (٣٨) محمود متولي ، المرجع نفسه ، ص ٤٧ .
- (٣٩) محمود متولي ، المرجع نفسه ، ص ٢٧ .
- (٤٠) الواقع ان هذا الامر اختلف بشأنه الباحثون . ففي الوقت الذي يؤكد فيه الدكتور محمود متولي اهتمام الجبرتي بكتابة الطبقة الراقية التي كان ينتمي اليها ، يؤكد الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى من جانب آخر على ان الجبرتي لم ينصر اهتمامه على طبقة القوم والاحداث الهلابة فقد عنى بالامور البليدة والحقيرة . (انظر احمد عبد الرحيم مصطفى ، الجبرتي مؤرخا ، مرجع سابق) .
- (٤١) عبد الرحمن الجبرتي ، تاريخ الجبرتي ، كتاب الشعب رقم ٤٠ ، الجزء السابع ، ص ٨١٦
- (٤٢) نقلا من حسين فوزي ، سنجيد مصري : جولات في رهاب التاريخ ، ص ٩٥ .
- (٤٣) انظر ادوارد وليم لين ، انجليزي يتحدث عن مصر ، من كتاب المصريون المعنونون : سمائلهم واعدائهم ، ترجمة فاطمة محبوب ، ص ٧٧ .
- (٤٤) ادوارد لين ، المرجع نفسه ، ص ١٢ .
- (٤٥) احمد عزت عبد الكريم ، الجبرتي مؤرخ مصر على طريق الطرق ، مرجع سابق ، ص ص ١١ — ١٢ .
- (٤٦) عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار — الجزء الثالث ، ص ص ٢٥٨ — ٢٥٩ .
- (٤٧) عبد الرحمن الجبرتي ، مظهر التقديس يزوال دولة الفرنسيين ، الجزء الاول ، ص ص ١٢٤ — ١٢٥ .
- (٤٨) عبد الرحمن الجبرتي ، نفس المرجع ، ص ١٢٥ .
- (٤٩) عبد الرحمن الجبرتي ، مظهر التقديس يزوال دولة الفرنسيين ، الجزء الاول ، ص ص ١٢٤ — ١٢٥ .

التخطيط التربوي والتنمية

د . سامي خصلونه *

يقول الدكتور محمد أحمد الغنام : « التخطيط هو عدد من الاتباط والمذاهب بل الاجيال ، ويتأثر بعاملين رئيسيين هما / اولاً الواقع الذي تحدث فيه عملية التخطيط بما في ذلك من حقائق موضوعية مادية واجتماعية واقتصادية وسياسية وسكّانية وغيرها ، وثانياً المجال الفكري الذي قد يكون بمفاهيمه وتصوراته متميزاً او متخلفاً عن الواقع » (١) .

وفي تقديرنا انه من غير الممكن ان نتحدث عن التخطيط التربوي بدون الحديث عن التربية وذلك لان التخطيط التربوي يؤثر ويتأثر بالتربية ، فلسفة ومنهوها وتنظيمها وتنفيذها وتقييمها . فالتخطيط التربوي يتأثر اساساً بمفهوم التربية ، ويحدث التخطيط مكرراً وعملاً ضمن اطار هذا المفهوم التربوي او ذاك . لكننا لا نقصد ان نقول ان التخطيط التربوي لا يؤثر في المفهوم التربوي ، فيغير في طبيعته او اتجاهه . على العكس من ذلك ، اننا نشترك الدكتور الغنام الاعتقاد ان العلاقة بين التخطيط التربوي والتربية هي علاقة جدلية : الاول (التخطيط التربوي) كمنهج واسلوب يؤثر في الثانية (التربية) ، والثانية ، كصور وصفي يعكس الواقع كما هو وكما ينبغي ان يكون ويؤثر على الاول .

والسؤال المنطقي الذي يفرض ذاته هنا بالحاح هو كيف يتأثر التخطيط التربوي بالتربية ؟ اننا مع الكثيرين من الذين يعتقدون ان المجتمعات البشرية ، على مدى تاريخها المعروف والمعلوم قد مرّت اربعة مفاهيم عامة رئيسية للتربية هي :

- ١ — التربية او التعليم النظامي في المدرسة معزولاً عن المجتمع .
- ٢ — التربية او التعليم النظامي في المدرسة متصلاً نسبياً بالمجتمع .
- ٣ — التربية او التعليم النظامي في المدرسة متصلاً نسبياً بالمجتمع ولكن على اساس اقتصادي .
- ٤ — التربية المستندية او التربية الشاملة مدى الحياة .

* استاذ التربية كلية الاداب لي جامعة الكويت .

كيف كان التخطيط التربوي حينما كان التعليم النظامي يتم في المدرسة ومعزولا عن المجتمع ؟ . اقتصر التعليم في هذه المرحلة على فئة محدودة من الافراد في المجتمع كانوا من طبقة اجتماعية معينة وتمتعت بامتيازات خاصة حرمت منها الغالبية الساحقة من الافراد والفئات الأخرى في المجتمع . وكانت الأوضاع الاجتماعية الاقتصادية السياسية السائدة حينذاك تخدم بشكل خاص هذه الفئة ، وتشكل حمية قوية مستمرة لمصالحها وامتيازاتها . ونتيجة لذلك لم يكن منتظرا او متوقعا من التربية — متمثلة في المدرسة — ان تكون على اتصال بالمجتمع للتعرف على احتياجات افراده وجماعاته وطبقاته المختلفة . وبالتالي ، كان ما يمكن تسميته تجاوزا ، بالتخطيط التربوي ، كان تعبيرا عن هذا الوضع المعين . فاقصر التخطيط التربوي ، شأنه شأن التخطيط العام في المجتمع ، على بعض العمليات الرقمية والحسابية الاحصائية الطابع والمنطقة باعداد التلاميذ والمعلمين والمدارس والصفوف . واشتمل هذا التخطيط ايضا على صور واشكال غير منظمة عن تكليف او نفقات هؤلاء التلاميذ والمعلمين والمدارس والصفوف . وبسبب ذلك لم يكن يأخذ التخطيط طالبا اجتماعيا ، وبالتالي لم يكن جزءا من عملية التخطيط المتعلقة بما يمكن تسميته بالتخطيط من اجل التغير او التنمية الاجتماعية — الاقتصادية نسي المجتمع .

اما في مرحلة انتشار مفهوم التربية الثاني (التعليم النظامي في المدرسة ضمن اطار اجتماعي) ، فلقد تغيرت الصورة . شهدت المجتمعات البشرية في القرن الماضي تغيرات وتبدلات في البنى الاجتماعية لهذه المجتمعات . ومع اطلالة القرن العشرين ، كانت التغيرات والتحولات الاجتماعية تأخذ طريقا اوسع واعبق كما ونوعا . ولقد عززت الثورات السياسية في بداية هذا القرن تلك التحولات والتبدلات وخلقت اوضاعا اجتماعية اقتصادية تربوية جديدة كانت بعد ذاتها دافعا لطلب المزيد من التغير والتبدل الاجتماعي والاقتصادي والتربوي الى درجة ان الدول والمواطنين ، على حد سواء ، من منطلقات الوعي الجديد بحقوقهم وواجباتهم الاجتماعية والاقتصادية والتربوية ، بدأوا ، بجدية اكبر ، يرمعون شمار التغير كوسيلة الى حياة افضل وأغنى وأجدى . واصبحت التربية في هذه المرحلة ، بحكم ارتباطها العضوي والنفسى مع المجتمع ، أصبحت تكون جزءا منه تتكسب فكرها واتجاهاتها من حقائقه الموضوعية المادية والنفسية . واخذت كذلك تتغير وتتبدل او تتطور على اساس التفاعلات المادية والنفسية للقوى والعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية الموجودة في المجتمع .

لقد كان بروز هذا المفهوم التربوي انتصارا للحركة التاريخية التقدمية ، فلم يعد التعليم هدفا بحد ذاته ، بل أصبح وسيلة لاهداف اخرى ابل واعظم منها خدمة الانسان والانسانية وتسهيل تحقيق الامل والطموحات والتطلعات للافراد والجماعات . وهكذا بدأ التصور الجديد للتربية يفرض تصورا جديدا للتخطيط التربوي وللتنمية الاجتماعية . ولم يعد التخطيط مجرد عمليات رتمية او حسابية احصائية الطبع تتعلق بأعداد التلاميذ والمعلمين والمدارس والصنوف ، بل أصبح يتجاوز ذلك الى الاهتمام بدراسة القوى والعوامل المادية والثقافية المتفاعلة في المجتمع والتي تلعب ادوارا اساسية في عمليات التغير والتحول والتبدل في مجالات المجتمع المختلفة كالتعليمية والاقتصادية والسكانية وغيرها . وبالإضافة الى ذلك بدأ يتكون علم جديد يعرف بعلم التخطيط اخذ يشق طريقه على أسس وقواعد علمية وياخذ في اعتباره الاستنتاجات والاستكشافات التي تتوصل اليها الدراسات والبحوث في الميادين النظرية والتطبيقية في كل شأن من شؤون الحياة والمجتمع . لكن ينبغي ان نشير الى ان العلم الجديد لم تتكامل صورته في هذه المرحلة ، بل ظل يتأثر بالمفهوم التقليدي للتربية والتخطيط التربوي التقليدي . ولذلك كان يعاني من كثير من الثغرات والنواقص التي قصر عن تجاوزها . لقد اعطى اهتماما أساسيا خاصا للعامل السكاني وكان ذلك على حساب اهتمامه بقوى وعوامل التغير والتبدل الاجتماعي الاكثر اساسية في المجتمع . وهكذا ، كان التخطيط في حقيقته كميًا ، وبالتالي ، عانت المؤسسات التربوية من عجز بسبب تخلف التخطيط فيها عن استيعاب طبيعة التغير والتبدل في المجتمع واتجاهات هذا التغير .

كيف كان التخطيط التربوي حينما كانت التربية تتم في المدرسة ومتصلة نسبيا بالمجتمع على اساس اقتصادي ؟ . لقد كان ظهور هذا المفهوم الجديد للتربية وللتخطيط التربوي بشكل واضح بعد الحرب العالمية الثانية بسبب عجز المفهوم السابق عن معالجة الكثير من الاوضاع والمشكلات التي استدعت التفكير بوسائل اخرى اكثر قدرة على حلها ومعالجتها . فكان ظهور المفهوم الجديد انبثاقا او انبعاثا من المفهوم السابق . ويتلخص المفهوم الجديد للتربية في انه تصور متكامل لكل المجتمع بكل ابعاده وجوانبه على اساس اقتصادي مع ما يتصل بذلك من انتاج واستهلاك ووظائف واعمال وغير ذلك . واصبحت التربية والتخطيط التربوي شأنها شأن غيرها من جوانب المجتمع ، اصبحت اقتصادية في اساسها . وتركزت بالضرورة على التطوير الكمي والكيفي بهدف تحقيق الكمية الكاملة للمجتمع داخليا وخارجيا . ومع ما يتصف به هذا النظام التخطيطي من موانع او ميزات الا انه فشل في تحقيق الكمية المطلوبة وبخاصة في الدول الجديدة او الدول النامية التي كانت — ولا تزال —

تعتني بشكل مرير من النقص في امكاتها ومواردها الاقتصادية . وبالتالي لم تستطع هذه الدول الانتفاع بهذا الاسلوب بالشكل المناسب رغم ما يوصف به من موضوعية وعلمية .

كيف يكون التخطيط التربوي في مرحلة التربية المستديمة او القريبة مدى الحياة ؟ . لقد تكاملت خلال السنوات العشرين الاخيرة نتائج الثورات المختلفة التي شهدتها عصرنا . فبالاضافة الى ثورات التحرر الوطني والاستقلال السياسي وثورات الحرية والديمقراطية هناك ثورات الانتاج والمعرفة والعلم والسكن والاتصال والتكنولوجيا التي احدثت تغيرات جذرية ملابية وثقافية عميقة الاثر في مواطني هذا العالم وفي طبيعة تفكيره وسلوكه .

ففي مجال الثورة العلمية ، لربما تكفي الاشارة الى التقدير الاحصائي المعروف وهو ان (٩٠ ٪) من العلماء الذين عاشوا منذ بداية الحضارة هم احياء اليوم . ويشير روجيه غارودي في كتابه « البديل » الى احد الاختصاصيين العالميين في البرامج المدرسية الذي يقول « قياسا الى الوتيرة التي تتطور بها المعرفة ، فان جملة معارف البشرية اكبر بأربع مرات حين يخرج من الجامعة الطفل الذي يولد اليوم ، وحين سيناهز الخمسين من العمر سيكون ٩٧ ٪ مما سيعمره قد تم اكتشافه منذ ولادته » .

وفينا يتعلق بثورة الانتاج ، يشير روجيه غارودي « الى ان الانتاج الاجمالي للسلع والخدمات لم يتبدل طوال الالف السنين الا بنسبة ٣ ٪ او ٤ ٪ في القرن الواحد او حتى بنسبة ٢٠ ٪ الى ٣٠ ٪ بعيد الثورة الصناعية الاولى ، فانه يتضاعف الان في الاقطار المتطورة مرة كل ١٥ عاما بحيث ان المجتمع بات ينتج بزيادة ٣٢ ضعفا عند بلوغ المرء سن الشيخوخة قياسا الى حجم الانتاج في عام ميلاده » .

اما بالنسبة للثورة السكانية ، فيكفي ان نشير الى ان سكان العالم يزيفون عن ٤٠٠٠ مليون انسان ، ويأتي الى العالم او الحياة يوميا اكثر من ١٥٠ ألف انسان جديد . كما ان اكثر من نصف سكان العالم شباب تقل اعمارهم عن ٢٥ عاما .

هذه الارقام ليست الا مجرد امثلة عن الحقائق الموضوعية الجديدة التي تفرض على الحياة او على مواطن هذا العصر .

ولقد جاءت هذه الثورات على اختلافها وتعددتها وكذلك نتائجها ، جاءت معا بروح جديدة يمكن ان توصف بانها ايجلبيه ، شعبية ، علمية وشاملة مما استدعى تربية شاملة ، هادفة ، شعبية ، علمية ، ومستمرة مع الانسان الفرد استمرار الحياة فيه وكذلك مع الجماعة البشرية .

لكن هذه الثورات الكثيرة بما فيها من افكار واتجاهات جديدة بدأت ، وبشكل خاص منذ مطلع الستينات ، تحدث صيحات واحتجاجات غاضبة تطالب بتغييرات جذرية حقيقية شمولية في كل جانب من جوانب الحياة . ووجدت الانظمة التربوية والمناهيم التربوية وانظمة التخطيط التربوي القائمة ، وجدت نفسها في قفص الاتهام ، ووجد القائلون على هذه الانظمة انفسهم يدافعون بلا جدوى عن مفاهيمهم وانظمتهم وممارساتهم وتطبيقاتهم التخطيطية والتنموية . ولقد لعبت صيحات الاحتجاج والغضب دورا رئيسيا في ظهور وبلورة مفهوم جديد للتربية كان قد بدأ يفرض وجوده . هذا المفهوم الجديد هو التربية المستقبلية او التربية مدى الحياة . ولقد اخذ المفهوم الجديد يظهر بشكل يعبر عنها احيانا بالتعليم المتكرر والتعليم الذاتي والمجتمع المعلم الى غير ذلك . ولقد برزت اهمية هذا المفهوم في تقرير اللجنة الدولية لتطوير التربية Learning to Be الذي اعدته مجموعة تقديرية من علماء ومختصي العالم برئاسة العالم والمربي الفرنسي المعروف « اندجار نور » .

وكما هو متوقع ومنطوق ، فان ظهور مفهوم جديد للتربية يقتضي ظهور مفهوم جديد مصاحب للتخطيط التربوي . فبدأ يظهر تيار تخطيطي جديد يدعو الى ما يسمى بالتخطيط الثقافي او الاجتماعي بدلا من التخطيط التربوي ، او ما يسمى بالتخطيط الشامل الطويل المدى الذي يعطي الاهمية والاولوية الى ما يجب ان يكون . وهذا النمط التخطيطي بطبيعته متعدد البدائل يشرك الغالبية الساحقة من الناس وبيئته كلية عن التخطيط الذي اعتاد ان يقوم به نفر محدود من الافراد عرفوا بقدراتهم وكفاءاتهم . وبدأنا نشاهد لأول مرة مصطلحات علمية جديدة تشير الى انماط التخطيط الجديد مثل تخطيط الموجهات Vector Planning ، الجيل الثاني في التخطيط التربوي (Second Generation in Educational Planning) ، تخطيط البدائل التربوية المستقبلية (Alternative Educational Futures Approach) (Open-Ended Planning) ، والتخطيط المعياري (Normative Planning) . (٢)

يبدأ التخطيط على اساس مفهوم التربية المستقبلية من الحقائق الموضوعية القائمة في المجتمعات البشرية . فالكثير من الدراسات ذات الطبيعة التربوية ومنها الدراسة التي قام بها اندجار نور وجماعته تشير الى ان الاوضاع التربوية السائدة في معظم اقطار العالم وخاصة النامي منها ، اوضاع سيئة قائمة على اساس شكلية تقليدية قديمة لا تخدم عملية التعلم والتعليم ولا عملية التنشئة الاجتماعية وانما تعيقها . وتلعب الاختلالات دورا اساسيا في هذه الاوضاع مما يمتد هذه الاوضاع اكثر ويؤدي الى خلق كثير من الصعوبات والمشكلات . اضاف الى ذلك ان الفرص التعليمية في ظل الانظمة والاضاع السائدة غير متكافئة ، فيشير تقرير اندجار نور الى ان

« الدول النامية بحسب تقديرات ١٩٦٨ يبلغ أطفالها $\frac{1}{3}$ مجموع الاطفال في العالم ، في حين لا تتفق الا $\frac{1}{8}$ ٪ من مجموع مخصصات العالم المالية للتعليم ، وكانت هذه النسبة ٩ ٪ سنة ١٩٦٠ » . (٣)

ولا يختلف عالما العربي كثيرا عن معظم بلدان العالم النامي . فالأوضاع السائدة فيه سواء الثقافية أو الاجتماعية أو التربوية سيئة . فبالإضافة الى ازمت التربية ، والنشئة الاجتماعية والاسرية والتراث والديمقراطية والانفصام الحضاري والولاءات وكذلك ازمت السياسة والاقتصاد والانتاج العلمي والتكنولوجي ، بالإضافة الى هذه الازمت يعاني مجتمعا العربي من أزمة حادة أخرى هي كما يسميها الدكتور منير خوري « أزمة الواقع الريفي والواقع المدني في عالما العربي » . ولعل الاختلاف الشاسع بين المجتمعات البدوية والريفية والمدينية يسبب انفصالا شبه كامل بين قطاعات بشرية وجغرافية رئيسية في وطننا . يقول الدكتور خوري « ان طغيان العقلية القدرية على القطاع الريفي من عالما العربي جعل ما يقرب من ٨٠ ٪ من مجموع السكان يعيشون على هامش الحياة المجتمعية الفاعلة . ان انسان هذا القطاع ، عدا ، اكثرية ساحقة ، وفعلا ، اقلية مسحوة . يتملكه عالمه ومحيطه ولا يملك منهما شيئا . جذوره الارضية المحلية عميقة وقوية ، واغصانه العالمية ضعيفة عارية . اما الانسان المدني فهو يمثل القلة العددية المسيطرة ، انه المتخم الذي لا ينتج ولا يطعم والمتحضر بدون جذور ، ثروة الدنيا ملك ثقتوي له ولذلك هي دائما يرسم البيع عنده . جذوره القومية تكاد تكون معدومة ، اما اغصانه العالمية ولا اقول الانسانية فمترامية الاطراف ، انه ، كما يقول عنه البرت حوراني الانسان الذي يستطيع ان ينتقل من حضارة الى حضارة ويتجلبب ثوب كل منها بنفس السرعة والسهولة التي يستطيعها في تغيير رداءه برداء آخر » (٤) .

ان معالجة المشكلات الناجمة عن اوضاع سيئة كهذه لا يكون من خلال تخطيط جزئي مرحلي سريع ، وانما من خلال تخطيط شامل على النطاق الوطني والقومي والعالمي .

ومن هنا تبدو اهمية وضرورة التخطيط الشامل البعيد المدى ضمن استراتيجية عامة تشمل الابعاد الوطنية والقومية والانسانية . وعلى هذا الاساس يصبح التخطيط التربوي جزءا اساسيا من التخطيط العام ، لكنه متكامل معه وضمن الاستراتيجية نفسها ويلعب دورا مهما في عملية التنمية العامة الشاملة . وتصبح ، بالضرورة ، عملية التخطيط جهدا مشتركا متكاملا يساهم فيه المخططون التربويون مع المخططين الاقتصاديين والاجتماعيين والسياسيين والسككبيين وغيرهم .

ويتضح مما سبق أن عملية التخطيط العام ومن ضمنها التخطيط التربوي ستنتقل من الاهتمام التنصلي الشامل بالواقع بما فيه من قيم واتجاهات اجتماعية واقتصادية وخلاقية وغيرها بقصد تحسين هذا الواقع أو تبدله بحيث يتحرر الإنسان كلية من تبعيته ليصبح سيد نفسه وسيد الحياة والمجتمع . أن ذلك يعني بالضرورة أن التربية المستقبلية وتخطيطاتها المتكاملة سترتقى بالمجتمع الانساني الى المستوى الذي يكون فيه قادرا دائما على تجديد ذاته بجد وعزم ومكر وبدع وخلاق . ولما كان التخطيط في مفهوم التربية المستقبلية يهتم بالأبعاد المحلية — الوطنية والقومية والعالمية — الانسانية ، فإن المخطط سوف يعطي اهتماما بالغا لكل خبرة انسانية بغض النظر عن مكانها واتجاهها . فبالإضافة الى اعطائها الدعم والتشجيع ستكون رصيда له ولغيره من المخططين في كل المجتمعات بغض النظر عن الاختلافات الثقافية القائمة بينها . ولذلك لا داعي للخوف من شمولية وعالمية التخطيط التربوي لانه لن يكون علسى حساب الجماعات البشرية القليلة العدد أو الصغيرة الإمكانيات . بل على العكس سيعطيها كل عون ممكن وستكون أمام قياداتها فرص كبيرة لتلعب ادوارا على نطاقات اوسع قوميا وعالميا .

ويقترح الشيخ بكري أن يكون التخطيط ضمن المراحل التالية : (٥)

١ — المرحلة الاولى ، تقوم على تحديد المعايير التي نستطيع بواسطتها تعيين ما نسبته « بالفئات السكانية المستهدفة » . ونقصد بذلك اولويات العمل بالنسبة الى مختلف المجموعات السكانية ، والتي تستطيع الدولة استخلاصها تدريجيا . ويمكن تعيين هذه الفئات السكانية تبعا لمعايير مختلفة : مثلا ، حسب الفئات العمرية ، أو حسب مستوى الدخل ، أو تبعا للفئات الاجتماعية — المهنية ، أو حسب المستويات التعليمية ، أو حسب المواقع الجغرافية أو المناطق الاقتصادية ، الخ .

ب — المرحلة الثانية ، وفيها يجري تحديد دقيق للاهداف المرجو بلوغها بالنسبة الى كل من تلك الفئات . وهذه الاهداف تمثل مزيجا من البعدين الاقتصادي والاجتماعي تترجم الى نشاطات عامة في مختلف الميادين : كأن نحدد مثلا المهارات المهنية المطلوبة لدور المنتج ، ولدور المستهلك ، ولتلبية احتياجات الاسرة أو المجتمع ، أو المؤسسة بوصفها عضوا اجتماعيا الخ . ج — المرحلة الثالثة ، وتقوم على تفصيل هذه الاهداف وتجزئتها الى ادوار أكثر دقة والى وظائف خاصة تبرز ضرورة تعديل أو تغيير هذه أو تلك من المهارات ، أو تدعيم وتطورات مهارات أخرى ، كتنمية المعارف مثلا ، والممارسات الحركية ، وروح المبادرة ، والمسؤولية ، والحس الفني ، الخ .

د - المرحلة الرابعة ، وتهدف الى تحديد عملية التطوير على مستوى الفرد وطبيعة هذه العملية ، وتعيين الطرائق والوسائل القادرة على تحقيقها . وهذه بالطبع من ادق المراحل واصعبها وهي ما نسميه « بالصندوق الاسود » حيث يكمن سر تغير الانسان .

هـ - فاذا سلمنا بإمكان بلوغ هذه المرحلة ، يبقى على المخطط ان يجري مسحاً بموارد البلد من الوسائل التربوية ، اي بمجمل المؤسسات العامة والخاصة ، المدرسية واللامدرسية ، بهدف الاستفادة المثلى من جميع هذه الموارد . ويذهب المخطط الى ابعد من ذلك فيبحث عن وسائل اخرى لا ترتبط بآلية مؤسسة تربوية كوسائل الاتصال الجماهيرية التي لا تستخدم في اي بلد بكامل طاقاتها .

ونبينا يتعلق بالعالم العربي ، جاء في توصيلات الحلقة الدراسية الاقليمية عن السكان والتنمية والتنمية في البلاد العربية ان تخطيط التنمية في الدول العربية ينبغي ان يسترشد ايضا بالمبادئ التالية : (٦) .

١ - ينبغي ان تتوافق اهداف ووسائل استراتيجية التنمية في الدول العربية مع اوضاعها في الوقت الحاضر ومع بنائها الاقتصادية والاجتماعية المخطط لها في المستقبل .

٢ - ينبغي ان يولى تخطيط التنمية مزيداً من الاهتمام لاحتياجات جماعات السكان الهامشية التي تكون غالباً على حافة المجاعة . ويمكن ادماج جماعات السكان المحرومة في عملية التنمية اذا ما كانت استراتيجيات التنمية تدعو بشكل متزايد الى الاحتياجات الخاصة لمثل هذه الجماعات ، بدلا من توجيه اهتمامها نحو الاهداف العامة المريضة . ويمكن ايضا معالجة مشكلات السكان على نحو افضل حين تكون استراتيجيات التنمية قائمة على تنمية الموارد البشرية . ويمكن التغلب على المعوقات الاجتماعية والثقافية والسياسة التي تحول دون تنمية مثل هذه الاستراتيجيات اذا ما زادت معرفتنا بالجماعات ، واذا ما ترجمت هذه المعرفة الى وضع البرامج وتنفيذها .

٣ - ينبغي زيادة التأكيد على مفهوم الاعتماد على النفس عند وضع استراتيجيات التنمية ، ومن ثم ينبغي تحديد اختيار الاهداف والوسائل والبنى الخاصة بهذه الاستراتيجيات على ضوء المعايير والاحتياجات الوطنية . وفيما يتعلق بمجالات العمل المستهدفة ، قدمت ندوة السكان والتنمية في البلاد العربية (٦) عدداً من التوصيات بقصد توجيه اهتمام الدول الاعضاء والمنظمات الدولية للمجالات ذات الاهمية الرئيسية في اقامة صلات بين ديناميات السكان والتعليم والتنمية الشاملة منها :

١ - هناك حاجة الى قدر كبير من البحث والبيانات اللازمة لدعم صياغة السياسات الاستراتيجية .

٢ - نظرا للنمو السريع في السكان في الدول العربية فانه ينبغي للحكومات ان تنفذ برامج فعالة للتنمية جنبا الى جنب مع جهود التخطيط .

٣ - ولكي تتم عملية التنمية المتوازنة ينبغي ان يتمشى معدل النمو السكاني في كل دولة من الدول العربية مع التطور المتوقع من قدراتها الانتصادية .

٤ - ينطوي النمو السكاني في الدول العربية على ضرورة الزيادة السريعة لكافة الانظمة التعليمية (سواء داخل المدرسة ام خارجها) ، ولكن حيث ان الاهمية المتزايدة للمعرفة والمهارات في مجتمع متغير قد جعلت التعليم عنصرا حيويا في التنمية الشاملة ، فان الجهود المبذولة لزيادة طاقة التعليم لن تحقق الثمار المرجوة منها ما لم ترتبط بشكل وثيق بالزيادة في كفاءة النظام التعليمي .

٥ - ولكي يشارك النظام التعليمي بكفاءة في التفاعل بين السكان والتنمية الاقتصادية والاجتماعية فانه من المهم ان يتكيف التعليم بشكل لائق مع مجموعات السكان المختلفة من المجتمع .

٦ - وينبغي وضع سياسة قومية لكل دولة عربية جنبا الى جنب مع التوصية السابقة بهدف مكافحة الامية بين كل من الرجال والنساء . وتتطلب مثل هذه السياسة كشرط اساسي وضرورة ان يستوعب التعليم الالزامي جميع الاطفال في سن الالزام في اقرب وقت ممكن .

٧ - ومن الامور التي يوصى بها ضرورة ان تشمل الانظمة التعليمية العربية على تدريس الثقافة السكانية ضمن البرامج الدراسية .

٨ - وتبدو الحاجة الى الجهود التعليمية المشتركة والانشطة الاخرى واضحة وينبغي ان توجه العوامل السكانية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تتداخل فيما بينها الى حد كبير لكي تعمل معا في داخل نظام متكامل يمضي في يسر . ويتطلب التخطيط في اي من هذه المجالات توجيه الاهتمام الى المشكلات في المجالات الاخرى المتعلقة بذلك . ومن الواضح في هذا الاطار ان التخطيط التربوي ، وما ينجم عنه من اعمال ، ينبغي ان يعتمد على خطط التنمية الشاملة ونشاطاتها ، وان يسهم فيها .

ومن منطلق شمولية التربية والتخطيط التربوي اخذت منظمة اليونسكو على عاتقها مسؤولية رئيسية لتأكيد اهمية مفهوم التربية المستديمة والتخطيط

العام الشامل . ويبدو ذلك في البرنامج المكون من ٢١ نقطة والذي تقدمته اليونسكو للمساعدة في تحقيق أهداف التغير والتحويل الاجتماعي .

— يجب أن يكون التعليم مدى الحياة ركنا أساسيا في جميع السياسات التعليمية في السنوات القادمة سواء في البلاد المتقدمة صناعيا أو في البلاد النامية .

— يقضي التعليم مدى الحياة بإجراء تغيير شامل في نظم التعليم . فالتعليم يجب أن لا ينحصر داخل جدران المدرسة ، بل يجب أن تكون جماعيته حقيقية .

— يجب تعليم الأفراد بطرق مختلفة . وليست العبارة بالطريقة التي يتعلم بها الفرد ، وإنما العبارة بالمعلم الحقيقي الذي يحصله .

— يجب إلغاء الحواجز المصطنعة والبالية بين مختلف فروع التعليم ومستوياته وبين التعليم الرسمي وغير الرسمي .

— يجب أن يكون تعليم الأطفال الذين لم يبلغوا العمر المدرسي هدفا أساسيا من أهداف السياسة التعليمية .

— لا يزال ملايين الأطفال والشباب محرومين من التعليم . يجب أن يكون التعليم الأساسي العام المناسب لاحتياجاتهم ومواردهم القومية هو الهدف الأول للسياسة التعليمية (التعليم الإلزامي) .

— يجب إزالة الفروق الجارمة بين مختلف فروع التعليم . يجب أن يتسم التعليم الابتدائي والثانوي بالطابع النظري والفني والعلمي واليدوي .

— يجب أن لا يهدف التعليم إلى تدريب الشباب على أعمال معينة فقط بل يجب أيضا أن يعدهم لأنواع مختلفة من الحرف والمهن .

— يجب أن لا تقع مسؤولية التدريب الفني على النظام المدرسي وحده ، بل يجب أن تشارك فيها المدارس والمؤسسات التجارية والصناعية .

— يجب التوسع في التعليم العالي وتنويعه بحيث يفي باحتياجات الفرد والمجتمع . يجب أن تتغير النظرة التقليدية إلى الجامعات .

— يجب أن يتوقف التحاق الفرد بمختلف أنواع التعليم والوظائف على معلوماته وقدراته وصلاحيته .

— يجب أن يكون النهوض بتعليم الكبار داخل المدرسة وخارجها في مقدمة أهداف السياسة التعليمية .

— كل تعليم يستهدف محو الامية يجب ان يرتبط باهداف البلاد في التنمية الاجتماعية والاقتصادية .

— يجب ادخال وسائل التعليم الذاتي ، بما فيها معامل اللغات والمكتبات وبنوك المعلومات والمعدات السمعية والبصرية في جميع النظم التعليمية .

— يجب تخطيط النظم التعليمية في ضوء الامكانيات التي تتيحها الوسائل الفنية الجديدة في التعليم (المدرسة في طريقها لتصبح ناديا وورشة ، ومركزا للوثائق ، ومعملا ومكانا للاجتماعات وامكن جلوس التلاميذ ..
(السخ) .

— يجب الاستعانة الكاملة في برامج اعداد المدرسين باحدث الوسائل والاساليب التعليمية .

— يجب الفاء كافة الفروق بين المدرسين في المدارس الابتدائية والكتيات الفنية والمدارس الثانوية والجامعات .

— يجب اعداد المدرسين ليكونوا مربين لا اخصائيين في تلقين المعلومات .
— يجب الاستعانة بالمساعدين المهرة من رجال الحرف والمهن كالعمال والفنيين في التدريس بالمدارس ، ويجب ان يشارك الطلبة ايضا في التدريس وبذلك يعلمون انفسهم اثناء تعليمهم لغيرهم .

— خلافا للتقاليد المتبعة يجب ان يكون التعليم ملائما للمتعلم ويجب ان يتاح للطلاب حرية اكبر في ان يقرر بنفسه ما يريد ان يتعلمه وكيف وحين يتعلمه .
— يجب ان يتاح للطلبة والجمهور بوجه عام ابداء الرأي في القرارات التي تمس التعليم . (٧)

ولعلنا بذلك القينا ضوءا على مراحل التخطيط التربوي المختلفة مع تركيز على التخطيط التربوي في ضوء انتشار وسيادة مفهوم التربية الدائمة او الشاملة التي تعني بشمولية الحياة والمجتمع .

الهوامش

- (١) الغنام ، محمد أحمد ، « مذاهب التخطيط التربوي من منظور مفهوم التربية المتطورة » التربية الجديدة ، السنة الاولى / المجلد الاول — كتون اول (بيروت ١٩٧٣) ، ص ٢٩
- (٢) المصطلحات العربية هي ترجمة الدكتور محمد أحمد الغنام من مقالته « مذاهب التخطيط التربوي .. » مرجع سابق .
- (٣) بلات ، ولیم ، « تقرير اذجار نور نقطة تحول في التخطيط التربوي » المصدر نفسه ، ص ٦

- (٤) خورى ، منير ، أزمة الواقع الريفي والواقع المدني في عالمنا العربي ، ورقة مقدمة الى
 هيئة تنظيم العلاقات البرلمانية في الاتحاد الاجتماعي العربي في الفترة ما بين ٢٨-٣٠ تشرين
 ثاني عام ١٩٧٥ ، ص ٩ .
- (٥) بكر ، الشيخ ، التخطيط التربوي ، عملية توفيق بين الانسان ومستقبله ، مجلة
 التربية الجديدة ، السنة الاولى ، العدد الثالث - آب (بيروت ١٩٧٤) .
- (٦) مركز مرس النيلان ، توصيات الحلقة الدراسية الإقليمية عن السكان والتنمية والتنمية في
 البلاد العربية في الفترة من ٢١-٢٩ شباط عام ١٩٧٦ ، ج ١٠٠ ع - ص ٩-١١ .
- (٧) مكتب اليونسكو بالقاهرة ، برنامج من ٢١ نقطة لسياسة تعليمية تساعد في تحقيق اهداف
 التغير والتحويل الاجتماعي ، نشرة رسالة اليونسكو ، ديسمبر (القاهرة ١٩٧٢) .



ثلاثون سنة من قيام إسرائيل

١٩٤٨ - ١٩٧٨

د . عمر الخطيب *

اسرائيل : - دولة « العقيدة الرسولية » المزعومة :

لم يشهد تاريخ الافكار السياسية والاجتماعية عبر مراحلها المختلفة تملعا بفكرة - العقيدة الرسولية - مثلما شهد تاريخ الفكر الصهيونسي ، - جمهورية افلاطون - و - المدينة الفاضلة - وفكرة - الدولة العالمية - كلها مجهودات فكرية خلقت لكتها ابتليت بمثالية روادها . ولكن الفكر الصهيوني زعميا يكون الوحيد الذي ينفرد بتقديم جملة من - المثل - و - النظم - الاجتماعية - الاخلاقية ليس الى مجتمع اليهود فحسب بل والى العالم بأسره من ورائهم . صحيح اننا سمعنا في العصور الحديثة دعوات مماثلة تبشيرية بهذا المعنى مثل - عبء الرجل الابيض - و - رسالة الامة الجرمانية - و - رسالة الامة السكسونية - ولكن هذه الدعوات كانت نتاج مناخ سياسي اجتماعي معين نبتت في بيئة الفكر الكولونيالي - العنصري للقرن التاسع عشر ثم انتهت بزوال ذلك المناخ وتغير تلك البيئة . اما الفكر الصهيونسي بطبيعته - الرسولي - فانه يضع جذوره في اللاهوت اليهودي ، فهو اذن يسبق التاريخ كما انه سمردي ، لذا فانه يحمل معنى القداسة والخلود . وهكذا فان العقيدة الرسولية في الفكر الصهيوني لا تعترف بالانقطاع بل بالاستمرارية لطالما ان الاحداث والانكار في التاريخ لا تحمل طابع الجدل فهي تسير في خط واحد ومحكومة بالاحتميات ، وعندما ظهرت الصهيونية المعاصرة في صورة نقد لحل المسألة اليهودية على أسس التحرر المدني وحده فانه كانت محاولة لمواصله الفرضيات التقليدية حول طبيعة تاريخ اليهود . ورسالتهم ، الامر الذي رفضه تلاميذ التنوير من اليهود (١) . وكان التناقض في التوجه عاما لم يفلت منه الصهيونيون - الاشتراكيون - ففي حين اعتبر - بورخوف - الصهيونية بمثابة الرد على احتياجات الشعب اليهودي الاقتصادية والثقافية وانها لذلك تمثل بعنا قوميا اجتماعيا معاصرا فان - ليفنبرغ - اثار - الشوق

* استاذ العلوم السياسية بالجامعة الأردنية

الى صهيون — والعودة الى فلسطين من ايام الانبياء العظام ليسني منه ايدولوجية — الاشتراكيين — الصهيونية (٢) . وفي كتابه عن — تاريخ الصهيونية — يقول — ناحوم سوكلوف — : يبدأ تاريخ اسرائيل بالصهيونية ، ويبين هذا التاريخ في الازمنة السحيقة طريق تحقيق الصهيونية . . . فالخروج من مصر مثلا كان للجمع بين الهجرة والكولونالية . . . والعودة من بابل كان حدثا صهيونيا عظيما — ويقول اميل توما في نقده لفكرة الانتعاش اليهودي كما يطرحها الصهاينة بان الانبياء مع انهم تحدثوا عن جمع بقايا اليهود من الشتات من اربعة اطراف الارض — اشعيا ٢ — وعن غربة بني اسرائيل من بين جميع الامم وانهاء سبي شعب اسرائيل ورسومهم في ارضهم فلا يلقوا منها ابدا — عاموس ٩ — الا ان ذلك قد ارتبط عبر الاجيال بقدوم المسيح وحلول الاخرة . ويتابع توما قوله بأن الفرق كبير ، على أية حال ، بين الشوق الى صهيون او فكرة المسيحية التي كانت ولا تزال تؤلف عقيدة من عقائد الايمان الديني في اليهودية مثلما تؤلف فكرة عودة المسيح عقيدة من عقائد الايمان الديني في المسيحية والاسلام وبين الصهيونية بوصفها ايدولوجية سياسية معاصرة نشأت في قرن محدد ونشطت في ظروف تاريخية محددة . ولا يغير في ذلك ان الصهيونية اقتبست هذا الشوق واقامت بناءها الايدولوجي على الدين اليهودي وجعلته جوهر القومية التي ارادت خلقها . هذا ما نراه بالفعل في كتابات اباء الفكر الصهيوني المعاصر المفعمة بالترجسية والتسامي والمثالية التبشيرية . فيقول هرتزل في كتابه المعروف — الدولة اليهودية : — سوف يبعث الميكابيون من جديد . . . وسوف نحيا اخيرا كرجال احرار على ترابنا الخاص ونموت بسلام في بيوتنا الخاصة ، سوف يتحرر العالم بحريتنا ويفتني بفناتنا ويتماعظم بعظمنا ، وكل ما نحاول تحقيقه هناك لصالحنا وخيرنا سوف يعود بالنفع الوفير لخير الانسانية جميعا (٣) .

وهكذا ، عملت قيادة الحركة الصهيونية منذ البداية على اعادة توجيه ما يسميه المؤرخ ارنولد توينبي بـ — ملكة المحاكاة — صوب الاجداد باعتبارهم تجسيدا للتقليد الاجتماعي غير المتغير ، وصوب الشخصيات البدعة التي تهوى قيادة رفاقها معها نحو ارض الميعاد . وهذا هو نفس المعنى الذي تتضمنه الميثولوجيا اليهودية في قيادة يشوع بن نون لبني اسرائيل عبر سيناء الى فلسطين ، ولقد ظلت هذه الامثلة حاضرة في اذهان اليهود بعد انهباء مملكتي يهودا والسامرة اثر الاسر البابلي لتجسد في هذا العصر بعودة جديدة الى — المملكة الموحدة — لبني اسرائيل . ومن خلال استقرارنا للايدولوجية الصهيونية نستطيع ان نلاحظ خطين متناقضين ولكن متوازيين في هذه الامثلة : — التفضية — و — البطولة — فالعودة الاولى الى فلسطين كانت بعد معاناة

اليهود أثناء فترة القية الطويلة في سيناء وما وجودهم في مصر الا وجودا مؤقتا وتجسدت البطولة انذاك في قدرة اليهود على تحقيق شخصيتهم السياسية — الدينية باقلمة ملكتين لهم في فلسطين ، اما العودة الثانية فقد تمت بعد فترة طويلة من معاناة الدياسيورا من الارهاب النازي وما سبقه طوال حقب عديدة من التمييز والاضطهاد الاوروبي ضددهم ، والبطولة هنا تتمثل في اعادة بناء دولة اسرائيلية موحدة . وهكذا تتبلور البطولة من خلال المعاناة والتضحية في الرؤيا الصهيونية . وهذا الفهم للتاريخ مفهم بالرؤيا الذاتية الموغلة في تصوفها ومثالياتها والتي تغفل عن عمد دور العوامل الموضوعية والمؤثرات الخارجية ، لتقدم نفسها على أنها شيء فريد وريادي ، بل وريائي . وهي بهذا المعنى تسمح لنفسها بان تسبق التاريخ وتتجاوزة فتصنعه برؤياها قبل أن يصنعها فيكون القصد . وعلى اية حال ، فان العودة الثانية الى فلسطين اختلفت في ظروفها وحيثياتها عن العودة الاولى .

ويقول الآن تالور في كتبه — العقل الصهيوني — (٤) انه عندما ولدت الصهيونية المعاصرة في القرن التاسع عشر ، فانها كانت تلتقي مع ما يسميه — مثل التلاحم القومي والمعدالة الاجتماعية — في اوربا ، اي : التطلع نحو العلم والتكنولوجيا ، نحو العمل الصناعي ، نحو المجهود الجسدي في العمل ، نحو نبيل المبادرة نحو العمل اليدوي وطهارة العنف الثوري . ولكن العودة هذه المرة مشحونة بالخاطر ، اذ أن فلسطين ليست ارضا بورا بل هي آهلة بسكانها العرب . ولا يغفل هرتزل عن هذه الحقيقة لانه يفترض ، على اية حال ، أن — العدو — موجود بصورة دائمة ، هكذا تعلم من تاريخ اليهودية القديم ومن تاريخ الدياسيورا المعاصر . ولذا فانه يقول : — ان التأخي العلم بين الناس ليس حتى ولا حلم جميل . فالعدو شرط ضروري لاربع مجهودات الإنسان واسماها . والخطة التي يعتمدها هرتزل لتوليد — الطاقة اليهودية — كما يقول ، من زخم القوى المعادية تكون بتحويل اليهود الى مطرقة والابقاء على سندان العالم ، بينما يوضع الآخرون — اي العرب — بين المطرقة والسندان . . ومن الجدير بالذكر أن الصهيوني — اسرائيل زانفويل — كان قد بادر في مطلع الحركة الصهيونية الى استنباط صيغة يهودية للتشبيه الذي اقتبسه هرتزل عن عبارة الفيلسوف الالماني غوته الشهيرة — اما ان نكون مطرقة او سنداناً — فاصبحت على لسان زانفويل — اما ان نكون مكابيين او شهداء (٥) .

ويضع هرتزل برنامجا تربويا لتوجيه اليهود ليصبحوا رجالا احرارا واتقياء وعلى استعداد للتطوع في الخدمة وقت الحاجة . ويضع في مقدمه

المنهاج — الاناشيد الوطنية ، الكلبين ، التوراة ، المسرحيات البطولية — (٦) .
كل ذلك ، كما يقول الدكتور أسعد رزوق ، من أجل أعداد اليهود الذين يوحّد
بينهم العداء للسلمية عملاً بمضمون نظرية — التنكر البيئي — للانتقال إلى أرض
جديدة والبقاء فيها ريثما تتحول — الزحف — الظاهرة إلى أرجل حقيقية من
جديد (٧) ..

ولكننا نعتقد أن هرتزل ليس متواضعا إلى هذا الحد . فهو في — الدولة
اليهودية — يرتأي ما هو أبعد من ذلك باسم العقيدة الرسولية الصهيونية إذ
يقول :— سوف نؤلف هناك جزءا من المقامس الأوروبية ضد آسيا ومركزا
أمميا للمدنية بوجه البربرية — . وفي روايته — الأرض القديمة .. الأرض
الجديدة — يشير هرتزل العرب ، مع ذلك ، بأن مجيء اليهود إلى فلسطين
سيكون فيه خير للعرب وحياتهم الاجتماعية وتقدمهم . وفي الرواية صورة عرب
فلسطين السعداء الباحثين عن — النعمة الجديدة — من اليهود لقاء فنزلهم
لهم من حقوقهم .

وبعد ، فإن الكتابات التي تناولت الفكرة الصهيونية واسرائيل ،
سواء ما كان منها بالعربية أو الأجنبية هي أكثر من أن تحصى . ولكننا بعد مرور
ثلاثين سنة على قيام اسرائيل أردنا أن نركز على هذه الموضوعية التي تعتبر
أبرز ما تتعلق به الفلسفة الصهيونية واسرائيل : موضوعية العقيدة الرسولية ،
كي نجيز لانفسنا بالتالي أن نطرح السؤال المشروع التالي :

أين هي — النعمة اليهودية — الجديدة التي بشر هرتزل العرب بها في
فلسطين ؟ وما هي ثمار هذه العقيدة الرسولية التي تحملها اسرائيل للعالم ؟

اتنا لا نجيب على ذلك بكثير مما يجب البروفسور الاسرائيلي المعروف
— جورج تامارين — الذي اشتهر بعدائه للسياسة العنصرية والاستيطانية
الاسرائيلية ، وذلك في كتابه عن — المعضلة الاسرائيلية — المنشور عام ١٩٧٣ :

ان هناك تناقضا يدمج الحقيقة الاجتماعية والروحية لاسرائيل : التناقض
بين — العقيدة الاسرائيلية : المثال الديمقراطي ، المساواة ، مجتمع التقدم
والاستنارة ، وبين القوانين التيوقراطية العنصرية ، والبيئة الشوفينية
والاجراءات التوتاليتارية . وهذا الصراع معكوس بين التيارات النزاعية نحو
— جيتو — جغرافي وروحي ، وبين أولئك الذين يسعون لإقامة مجتمع حر
ومفتوح .. ان حل هذه المشكلة سيقرر في نظري ليس فقط الطبيعة الاجتماعية
— الثقافية للدولة ، ولكنه أيضا سيقرر مستقبلها السياسي (٨) .

اسرائيل : ثلاثة قرارات مهلكة

في تاريخها طوال ثلاثين سنة اتخذت القيادات الاسرائيلية المتعلقة سلسلة من اخطر القرارات المهلكة التي ظنت بان فيها اسباب نجاتها وبقائها ، يمثل ما فيها من اسباب اذى العرب والاضرار بمصالحهم . ولكن هذه القرارات وان كانت تغذي بعض المطالب والاطماع الاسرائيلية على المدى المنظور ، فانها ستصيب اسس وجود اسرائيل ذاته في — المقتل — على المدى الاستراتيجي — التاريخي . ويمكن تلخيص قراراتها المهلكة في ثلاث قرارات رئيسية :-
الاول : التمييز العنصري ضد العرب

لقد تصادف ظهور عمالة الحركة الصهيونية على المسرح الاوروبي ظهور — الهوة — الشهيرة بين انجازات الرجل الابيض والعجز المخيف لبنيّة البشرية . وادى ذلك لتغذية وهم تفوق الجنس الابيض . وكان ذلك اثر محولة اليأس العنصرية ثوبا علميا في القرن التاسع عشر بظهور مقولة — الداروينية الاجتماعية — القائمة على فكرتي — الصراع من اجل البقاء — و — بقاء الاصلح — . وتبعاً لذلك ظهر — علم الوراثة — او علم الصحة العرقية وذلك بهدف التحري عن — نقاء العرق — ووحدة السلالة والحيلولة دون تدنسها باختلاطها بدم او سلالة اخرى . ويحضرنا في هذا السدد ان تقارن بين كلمات فولدا ماثي حول تخوفها من ارتفاع نسبة الولادة بين السكان العرب وخطرها على — الطبيعة اليهودية الخالصة — لاسرائيل ، مع كلمات الكاتب الانجليزي العنصري — غريك — اذذاك من السلتين المنحطين والويلزيين الذين كانوا يتزايدون بسرعة اكثر من تزايد السكسون العظماء ، وبالتالي ، اعطوا الفرصة للعرق الرديء بالخلبة نتيجة صفاته السيئة (٩) .

والحقيقة ان علم الاجناس قد استهوى موسس هس **Moses Hoes** مؤلف كتاب — روما والقدس — واحد الرواد البارزين في الفكر الصهيوني . اذ بعد مزاجية هذا العلم باليهودية ، توصل هس الى نظريته العرقية الصهيونية ، فوجد ان الاختلافات بين الشعوب هي فطرية وموروثة وليست مكتسبة ، كما انها ابدية وليست زائلة . وهناك مدرستان عنصريتان دفعتا الى الامام عملية تبلور العنصرية الصهيونية . الاولى وهي مدرسة المؤرخين البروسيين بزعامة — هنريخ فون تريشكه — التي تركت اثرا كبيرا على الصهيونية من جانب ، وعلى الاشتراكية الوطنية الالمانية من جانب اخر ، واصبحت كتاباته بمثابة ارشادات سياسية للنازيين ، وحظيت بشعبية كبيرة في الجامعات الالمانية ، حيث كان الشبان اليهود يتلقون تعليمهم . اما الثانية فهي

مدرسة — الإصلاح الاستعماري — ومن أبرز وجوهها اللورد آتلي المعروف بنشاطه في الحركة الصهيونية . وتقوم على الإيمان بقدرة الجنس الابيض ، واعتبار شعوب المستعمرات بمثابة تلس خاملون ومنحطون يقعون في أدنى دمرات الشعوب .

وهكذا يذهب الكتلة الصهيونية العنصريون الى اتهام العرب باتهم شعب رجعي مسؤول عن انحطاط فلسطين والشرق الاوسط برمته (١٠) . ان عقيدة التفوق العنصري لليهود التي تتسلح بالمقولات اللاهوتية مثل — شعب الله المختار — يغطيها ستار كثيف من الوهم بلن العرب يعيشون في ظل انكفاء حضاري كبير لا نهاية له . وينطوي هذا الموقف على رؤيا خطيرة مفادها انه طالما ان للشعب اليهودي في اسرائيل طاقات ابداعية ملابية ومعنوية ، تتجاوز حدوده الاتينية ، فان الارض العربية على اتساعها ، تمثل مجالا رحبا لتفجير تلك الطاقات . وفي هذا يكن قدر هائل من التجاهل المنعرج أو الجهل بأنه لا زال امام العرب دور عظيم في دفع مسيرة الحضارة الانسانية الى الامام .

يقول — اموري رينكور — مؤلف الكتاب المعروف — القياصرة القادمون — :

— زحرت اليونان القديمة واوروبا الحديثة بغنائس من الطاقة تمزج معه بقاؤها منحصرتين داخل حدودها الجغرافية ، وكان هناك حول هذين المجتمعين اليافعين ، رغم العشرين قرنا التي تفصلهما نفس الجهالة البربرية او نفس الحزن الكتيب المنبعث من حضارات ممبرة . ونظير اليونان الى البابليين والمصريين نظرة تماثل نظرة الاوروبيين في العصور المتأخرة ، الى المسلمين والهنود والصينيين : شعوب متدهورة ، بلغة التهذيب ضعيفة ، مجتمعات تموزها القوى الخلاقة ، شعوبا همجية عديمة الثقافة تتوسل ان تتحضر . وذهل الرحالة اليونان بالجد بلبل وضخامتها المحيرة ، وروع هيروdotot امام الاهرامات المهيبة في مصر ، كما راح الاوروبيون يحققون النظر في القسطنطينية ودلهي ويكين — .

تري ، هل يجرؤ قادة اسرائيل على ازالة الفشاوة عن اعينهم كي يحسنوا قراءة التاريخ ويستقرئوه ؟ اننا لا نعتقد ذلك . فعندما قال ديان ، وهو غير متدين ، — ان من يملك التوراة وشعب التوراة ينبغي له ان يمتلك ارض التوراة — سارع الحاخام الاسرائيلي نسيم لارسال برقية له ، هناك فيها على — مهمة العميق للتوراة — .

واذا كان مصدر التفوق اليهودي يختلف من فئة صهيونية لآخرى ، اي اذا كان الهيا بالنسبة للمتدينين ، وذاتي النشأة بالنسبة للعلمانيين ، فان هذا التفاوت ضمن اطار الالتقاء على نتيجة مشتركة ، هو الذي يفسر لنا الانسجام الحاصل بين الحاخام الاكبر والجنرال الاكبر في اسرائيل .

وهنا ننقل الى زاوية أخرى من الموضوع ، وهي المتعلقة بمفهوم — اليهودي الخالص — . اذ يرى المنظرون الصهيونية في اندماج اليهودي أو انصاره في المجتمع الذي يقيم فيه خارج اسرائيل شكلا من اشكال — الانسلا ب — عن هوية يهودية حقيقية خالصة مفترضة . فمثلا ، يرى بريز وكاتزنلسن في اليهودي المندمج شخصا سلبيا غير طبيعي . اما وايزمن فانه يرى بان الاندماج هو وصمة عار لمن يختاره من اليهود (١١) .

هذا هو الاطار الفكري العام للعنصرية الصهيونية . ولكن ، ماذا عن الممارسات العملية ؟ انها في الحقيقة أكثر من أن تحصى . فهي بعد عام ١٩٤٨ ، تمثلت بجعل العرب يعيشون في ظل القوانين الدفاعية ، وبعد عام ١٩٦٧ ، تمثلت بالاستيلاء الكامل على اراضي فلسطين وانشاء المستوطنات واستغلال العمل الفلسطيني الرخيص ، ومصادرة الاملاك أو ائلافها ، وفرض العقوبات غير القانونية ، وتحويل الضفة والقطاع الى سوق رئيسي للمنتوجات ، والحيولة دون نشوء صناعات وطنية ، بالاضافة الى عمليات تغيير المعالم والمناهج . ان الكتاب الصادر عن — اسرائيل شاهاك — رئيس عصابة حقوق الانسان الاسرائيلية عام ١٩٧٥ بعنوان — عنصرية دولة اسرائيل — يكيي لان يزودنا بمئات الشواهد والامثلة بهذا الصدد ويقتلام اسرائيلية .

ثانيا : الصهيونية القومية

ان من خصائص كل حركة من الحركات القومية الحديثة ابتكار نظرتها المميزة للتاريخ بصورة عامة ، والى تاريخها بصورة خاصة وذلك بواسطة تأويلها لاحداث الماضي بشكل يجعلها تصيغ وجود الامة التي تكون اما في طور التكوين أو تكونت حديثا ، بصيغة الوجود المستمر حتى ولو لم يكن لهذا الوجود اي اساس تاريخي سابق . وعليه فقد استخدمت الايديولوجية الصهيونية معطيات المراحل السابقة من تاريخ اليهود كمفص انتاجه الفكري والتنظيمي والادبي والديني الاسطوري ، ودمجها في حينه بالمصالح الحالية ومعطيات المرحلة التاريخية الراهنة وبطلعاتها البعيدة واهدافها المرحلية كي يتبلور كل ذلك كладаة فعالة في تكوين الدولة القومية اليهودية . وقد اصطبغت هذه المحاولة بصيغة صوفية غيبية استمدت حيويتها العاطفية من التشديد على — نداء الارض — و — التراث الروحي والاخلاقي — للشعب اليهودي (١٢) .

ومع ان الدلائل التاريخية تثبت ان قيلم اسرائيل لم يكن بمثابة حركة تحرير وطنية على غرار حركات التحرر في العالم الثالث ، الا ان الكتائب الصهيونية لا يتواضعون الى حد اعتبار اسرائيل انتصارا للحركة تحرير وطني يهودي ، بل شيئا اسمى من ذلك لانها حركة شعب — يكاد يكون مفيدا في تاريخ البشرية — كما يقول احدهم . وفي كتابات احاد هاعلم نفس الفكرة حين يعتبر ان — القومية اليهودية — تختلف عن غيرها بانها لا تعبر عن نفسها في السعي نحو السيطرة والتسلط وانما في خدمة مثال اعلى اخلاقي . وهو يعتبر ان الحركات القومية غير اليهودية نابعة من القوة المادية ، بينما لا تحترم القومية اليهودية الا قوة الروح . ليت هاعلم عاش اكثر من عمره بمسنوات كي يتحقق من صحة لقواله ... ولكن لا بأس . سنلجا الى مؤرخ يهودي كي يخبرنا فيما اذا كان قيلم اسرائيل قد تحقق بفعل القوة المادية لم القوة الروحية التي يحبها هاعلم . فيقول — هانز كوهن : ان المشكلة اليهودية ليست الا جزءا من المشكلة الانسانية . ان الصهيونية لم يكونوا قادرين على فهم ، ذلك لانهم اعتنقوا مفهوم مرتزل حول وجود عالم اكيد معاد ومضاد للسامية ، بحيث لم يعد بمستطاع اليهود فيه الا ان يلجأوا الى صياغة قومية عدوانية غير مهادنة . وان ذلك هو الذي حال دون قيام اليهود بتطوير علاقات تعاونية انسانية مع العرب الفلسطينيين — . ولهذا يعتقد كوهن بان الصهيونية لم تكن مجرد اعتماد عن التقليد الليبرالي . ولكنها ايضا تعبير عن نفى اليهود في اطار تاريخ يسمى لطلاق نفسه من النظم الاخلاقية لليهودية (١٣) . ولكن الامر يتعدى العدوانية القومية — ليشمل يمدا آخر يتمثل في التنكر للوجود القومي للآخرين ، أي بالتحديد للشعب الفلسطيني . وهو تنكر صريح يعبر عنه القادة الاسرائيليون بين الحين والآخر .

وحول هذا الموضوع يقول الدكتور آرثر هرتزبيرغ اليهودي ، منتقدا هؤلاء القادة بشدة : — « ان القادة السياسيين لاسرائيل قد أعادوا القول مرارا بأنه لا يوجد ، ولم يكن يوجد أبدا ، شعب عربي فلسطيني ... والعيب في هذه الحجة هي أنها تتجاهل حقائق التاريخ والحاضر معا . فالقادة الاسرائيليون يعرفون ان كل القوميات الحديثة ، بما فيها قوميتهم ، قد ظهرت حديثا نسبيا ، وليس قبل القرن التاسع عشر في أوروبا ، وفيما بعد في اسيا وأفريقيا . ان انكار وجود وعي قومي عربي فلسطيني الآن ، لانه لم يكن موجودا عام ١٩١٧ هو وهم . فلك ان خلق دولة اسرائيل ، ومن ثم مشكلة اللاجئين . قد فتح حتبة جديدة من تاريخ عرب فلسطين . فلقد ظهر وعي قومي وقيادة ثورية شابة في الحقب العديدة المنصرمة ، فلماذا اذن يحاول الاسرائيليون انكار الحقيقة الساطعة ؟ » (١٤) .

ليست الإجابة على ذلك بالامر المسمر . ايكن تحليل ذلك بغير القول ان هذا اللباس العرقي الشوفيني لما يسمى بـ — القومية اليهودية — ينسج خيوطه من ايديولوجية كولونيالية ، سلاحها البطش والارهاب والابادة شسبه الجماعية المتدرجة للفلسطينيين ، كسي تجيز لنفسها ولشعبها البقاء والتميز والنفوق ؟ ألم تكن النازية والفاشية نتيجة منطقية لمناخ الايديولوجيات القومية المتعصبة والمنطقة في المانيا وايطاليا ؟؟

ثالثا : استعداد العرب وتكرار حقوقهم

وهو قرار ناتج بالضرورة عن القرار السابق . ان لا اعترف بوجودك اصلا ، يعني ان لا ارى لك حقوقا . ويمالج الدكتور اسعد رزوق هذه المسألة فيقول بأن الصهاينة يتعاملون مع العرب بـ عقلية المنفى — . والخطر الذي تنطوي عليه هذه ، يتجسد من خلال نظرتها الى حقوق الذين يسعون لانتزاع سيادتهم منهم . ويتخيل المنفيون ان استئصال شعورهم بالانفسي لا يتم الا بالانتقام له من تنحصر صلتهم بالمنفى اليهودي ، في واقع كونهم سكان البلاد التي يطمح اليهود بالاستيلاء عليها واحتلالها . ويضيف رزوق مستطردا ، غير ان محاولة الخروج من وراء جدران — الغيتو التقليدي — القديم تصبح أسيرة عقلية المنفى فتشيد لنفسها — الغيتو الجديد — بعد ان تنجح في اغتصاب حقوق اهالي البلاد والاستيلاء على مقدراتها . وهي بذلك تفضح عجزها عن تخطي العقلية التي استحوذت عليها (١٥) .

واذا كان هذا باختصار هو الخط الفكري الذي يحكم نظرة اسرائيل الى الحقوق والمصالح العربية ، والفلسطينية منها بشكل خاص ، فما هو الخط — البراغماتي — لذلك ؟ يرى قادة اسرائيل ان هناك ثلاث اوضاع رئيسية تسمح لها بالاستمرار الى ما لا نهاية في تجاهل الحقوق والمصالح العربية دون ان يلحقها اي ضرر جدي . (١٦)

١ — على المستوى الاسرائيلي :

١ — ان اسرائيل مقتنعة بأن العقل العربي معاد جدا لها ولليهود كافة وان الطريق الوحيد للتعامل مع العرب يكون من خلال القوة . وهذا يقود بدوره الى ثلاث نتائج : يجب استخدام القوة على الدوام ، يجب عدم تقديم أية تنازلات ، من غير المجدي التفاوض مع العرب لتحسين صورة اسرائيل امام العالم ولهذا ، قرر صانعو السياسة الاسرائيلية المحافظة على حالة اللاسلم واللاحرب اعتمادا على هذه الفرضيات . وهي حالة يكتل استمرارها امران : الاول الردع الاسرائيلي ، والثاني الدعم الامريكي غير المحدود لاسرائيل .

٢ — ان اسرائيل مقتنعة بقدرتها على احتواء ابناء الاراضي المحتلة واقتلاع ميولهم الوطنية واضعاف مشاعرهم المعادية لها .

٣ — ان اسرائيل مقتنعة بأن لا خطر حقيقي يهددها من جانب الكفاح المسلح الفلسطيني ، لان استراتيجيتها الثورية اصطدمت بالاستراتيجيات الاقليمية لدول المواجهة العربية .

ب — على المستوى العربي :

١ — ان الانظمة العربية تنظر للقاومة الفلسطينية على انها جسم سياسي حامل للمشاكل والهجوم كما انها عنصر غير مرغوب فيه بسبب دورها في دفع حركة اليسار الى الامام ، وبسبب دورها التحريضي بين الشعوب العربية .

٢ — ان مصر ، كغيرها من الدول العربية ، تعاني من صراعات داخلية واقليمية ، وهي واقعة في فخ التناقض بين آمال التحرير والصادر المالية المحدودة .

٣ — ان دول النفط العربية غير قادرة على استخدام النفط ضد اسرائيل او الضغط على الدول المساندة لها .

ج — على المستوى الدولي :

١ — ان القوتين الاعظم تفضلان الهدوء والاستقرار في المنطقة .

٢ — ان الولايات المتحدة مقتنعة بأن — اسرائيل قوية — هي الاداة المناسبة لحفظ الاستقرار في منطقة غير مستقرة .

٣ — ان الولايات المتحدة تسمى لالغاء الوجود الفلسطيني المسلح بغية اعادة ترتيب اوضاع المنطقة . فهي لا تكره الفلسطينيين لفلسطينهم ، بل لدورهم المحرض والقادر على توتر المنطقة . واستئصال المقاومة يعني : التوصل الى بحيرة امريكية هادئة في الشرق الاوسط ، التوصل الى حل امريكي للصراع العربي — الاسرائيلي ، وخلق — حكومات ثوابت — في المنطقة لضمان استتباب الهدوء فيها .

وبعد ، فانه على الرغم مما يتضمنه هذا التصور الاسرائيلي للوهلة الاولى من تماسك وحقائق ، الا انه بإمكاننا أن نقدم بعض الاعتراض على صحة فرضياته :

أولا : ان أي فرضية أو حقيقة في وقت ما ، قد تنقلب الى عكسها في وقت آخر من الناحية المبدئية الصرفة .

ثانيا : ان أي فرضية تنشأ على أساس الواقع السكوني المستديم لا تثبت ان تسقط أمام حركة القوى المادية والمعنوية الجدلية ، وهي ان لم تعترف بهذه الحركة فانها تتحول الى حتمية ، الامر الذي لا يمكن تصوره في الواقع الاجتماعي — السياسي المتغير .

ثالثا : ان اسرائيل ، مهما وصلت الى درجة من القوة أو التأييد الخارجي ، لن تستطيع ان تعيش الى ما لا نهاية محاطة بهذا الجو المشحون من العداء والكراهية العربية ضدها ، ازاء استمرارها في التكرار للوجود العربي والحقوق والمصالح العربية .

اننا بهذا الصدد ، لا بد ان نثمن مجهودات بعض القوى السياسية المنظمة الديمقراطية والتقدمية ، الى جانب بعض الرموز الفكرية في اسرائيل ، التي تناوىء السياسة الاسرائيلية في الاتجاهات الثلاثة السابقة ، وتعمل من اجل ايضاح الحق العربي الفلسطيني وذلك على الرغم من اختلافنا مع هؤلاء في التصور الاستراتيجي لحل الصراع العربي — الاسرائيلي ، ولوجود اسرائيل أصلا . ونقتبس في هذا الصدد بعض الأسطر من رسالة مفتوحة وجهها البرونسور الاسرائيلي — جاكوب تالمون — الى اسرائيل غاليلي ، حينما صرح بأنه لا يعترف بوجود شيء اسمه الشعب الفلسطيني .

يقول تالمون : — . . في نظر العالم ، وفي نظري ايضا ، ان مسألة الاعتراف بالعرب الفلسطينيين كمجتمع له حق تقرير المصير ، هي المسألة الجوهرية الان . انها الاختبار الصعب الذي سيحدد فيما اذا كنا مستعدون للتسوية وللتصالح ، أم للتوسع ، وفيما اذا كنا مستعدون لاحترام حقوق الآخرين ، أو تجاهلها . وهذا هو المعيار السليم للحكم على الطبيعة الديمقراطية والصفات الخلقية لدولتنا . (١٧) .

اسرائيل : مجتمع الجنرالات وحلم الإباطرة

من الامور التي تجعل اسرائيل تتميز عن غيرها من المجتمعات الدولية المعاصرة ، هو انها المجتمع الذي يكاد يكون وحيدا الذي قسام على اكتشاف المحاربين — المستوطنين فالجيش الاسرائيلي ، الذي كان مجموعة من تنظيمات ارهابية يهودية قبل عام ١٩٤٨ ، هو الذي خلق الدولة قبل ان تخلقه . ذلك ان ظاهرة العنف أو القوة التي اصطبغت بها الحركة الصهيونية منذ بدايتها

الاستيطان في فلسطين ، تجد جذورها في تهمصها لنفس الظاهرة التي ارتبطت بها الحركتان القوميتان في كل من المتيا وإيطاليا في القرن المنصرم . والتمثل الصهيوني الكامل بهذين الامتوجين في القوة ، كدأة لتحقيق الوحدة القومية في اطار الوطن القومي نجم عن الاعتقاد بأن الصهيونية ، لكي تنجح في خلق الوطن القومي في فلسطين ، فان عليها أن تلجأ للعنف . والحقيقة أن القاريء لكتساب هرزل يستطيع أن يجد أصداء للروح العسكرية الجرمانية التي عبر عنها الجنرال الألماني — فون مولتكه — (١٨) بقوله : — أن السلام الدائم مجرد حلم ، وحتى انه ليس حلما جميلا ، بينما تؤلف الحرب عنصرا جوهريا في تدبير الله للعالم — . أما على الصعيد العملي ، فلما لسنا نجد أجدر من المدرسة العسكرية الاسرائيلية ، التي يعتبر جلوبوتسكي أبهاا الروحي والعملي ، على استشفاف تلك الروح وترجمتها عمليا . لكن هذه المدرسة تفردت على سابقاتها بأمر متميز وخطر . فإذا كانت العسكرية الجرمانية قد وجدت تبريرها — الأيديولوجي في السعي نحو تثبيت الهوية القومية للامة الجرمانية ، بعد احتلال الإمبراطورية ، فإن العسكرية الاسرائيلية لم تكف بالوصول الى تحقيق الوطن القومي بل تريد أن تتعدى ذلك لتكوين الإمبراطورية الاسرائيلية من الفرات الى النيل . ومنذ أن قامت اسرائيل الى الآن ، لعب الجنرالات دورا مهيما في رسم وتسيير شؤون المؤسسة السياسية ، كيف لا وهم الذين قد أوجدوها أصلا ؟ وصحيح أن دول العالم الثالث شهدت في معظمها نماذج عديدة من جنوح العسكريين للتدخل في الحياة السياسية ولم يكن الأمر يتعدى ظاهرة جديدة ، تتمثل في بروز الجيش أحيانا كدأة لمجرد التغيير الاجتماعي في الداخل . ولكن الأمر في اسرائيل يختلف عن ذلك جذريا لان التغيير الذي يبتغيه الجنرالات موجه للخارج ، أي للأقاليم المحتلة من — أريئز — اسرائيل — . ومن الناحية السيكلوجية المحضة فإن — عسكري السياسة — بالكامل في اسرائيل ، وتوجيهها باستمرار خارج الحدود الإقليمية للدولة ، تعطي للجنرالات ذلك الشعور العظيم بالزهو ، الذي نلمسه كثيرا ، وبشهوة مفرطة للتمثل بأحلام الفاتحين الإبلارة . ولربما يكون ذلك هو الذي يجعل للحياة العسكرية بالنسبة للجنرالات في اسرائيل مذاقا خلاصا (٢٠) . كيف لا وهم الذين كانوا أول من يجني ثمار الشهرة في كل الحروب التي قادوها ضد العرب وخرجوا فيها منتصرين ؟ وعندما خيل للبعض أن — الروح العسكرية — الاسرائيلية قد أصيبت بنكسة موجعة اثر حرب تشرين ، وثارت الزوبعة في اسرائيل حول المطالبة بتحديد المسؤولية عن — التقصير — فإن تلك الروح سرعان ما دبّت فيها الحياة لتتمتع في شكل جديد أكثر غطرسة . ذلك أن النصر العربي الجزئي اعتبر ثمرة لاختفاء فنية في القيادة الاسرائيلية . أما عن الضجة حول التقصير

فلم تكن أكثر من عملية — تصفية حسابات — بين الجنرالات — ضمن عملية التنافس الحاد للوصول الى المراكز العسكرية الحساسة . ومما قد يكون له مغزى ان نشبه عودة الروح العسكرية لاسرائيل الى اوجها المعتاد بعد نكستها المحدودة عام ١٩٧٣ ، وتوقيع اتفاقيات فك الارتباط ، بنفس عودة الروح العسكرية العدوانية الى المقتيا بعد هزيمتها في الحرب الكونية الاولى ، واضطارها لتوقيع اتفاقيات الصلح مع الحفء ١٩١٩ . وكما ترافقت عملية ظهور العسكرية الالمقية من جديد بعد الحرب بعملية انزلاق سياسي خطر الى اليمين انتهى بالنزاية ، فان عودة الروح العسكرية من جديد الى اسرائيل بعد حرب تشرين ، قد ترافقت مع انزلاق آخر مثله الى اليمين ، تمثل في وصول الراهبيين من حيروت الى السلطة .

ولا بد لنا أن ننوه في هذا الصدد ، الى حقيقة ان العالم الغربي او الامريكي قد يخطئ كثيرا ان هو اعتقد بان هذا الانتقال في السلطة في اسرائيل الى — الأكثر تطرما — هو نتيجة عادية وطبيعية للديمقراطية البرلمانية في المفهوم الليبرالي الغربي . انها في رأينا شيئا يتعدى ذلك ويختلف عنه . ألم يكن وصول النازيين الى السلطة نتيجة لما ظن انه ديمقراطية برلمانية في المقتيا ؟

يقول البرونسور الاسرائيلي — جلكوب تالمين : — ان البعد التراجيدي لاسرائيل يكمن في حقيقة انها العقيدة الرسولية المنتصرة التي عليها ان تترجم عمليا في الحرب والقدرة ، وان ترى انجازاتها وانتصاراتها كعلامات بارزة لصلابة وتتوق انكارها . والمقاومة التي يبديها خصومها تزيد حبهما للقوة اشتعالا وتجعل من سعيها نحو القوة في حد ذاتها . (٢١) .

والحقيقة ان ما يسميه تالمين بحق — العقيدة الرسولية المنتصرة — تجد سندها المادي في ثلاث مصادر رئيسية :

الاول : القوى الذاتية لشعب ودولة اسرائيل ، ولا سيما في مجال الامكانيات والقدرات العسكرية التي اخذت تتنامى تدريجيا مع تطور صناعة الاسلحة المختلفة محليا ، بما في ذلك القدرة على انتاج السلاح النووي (٢٢) . وليس من شك ان تسريع صناعة الاسلحة المختلفة محليا قد ساعد على خلق طبقة راسمالية صناعية عسكرية تلعب بدورها دورا في دفع الروح العسكرية العدوانية الى الامام ، وكشف اطماع جديدة للقيادة السياسية — العسكرية كلما تنامت تلك القدرات (٢٣) ، انها نفس الطبقة التي تشكلت بشكل بارز في الولايات المتحدة اثناء حرب فيتنام ، وكانت عاملا في تصعيد التدخل الامريكي في الهند الصينية قاطبة .

الثاني : ويتمثل في الدعم العسكري الامريكى الكامل لاسرائيل تحت كل الظروف . ولم يحصل في التاريخ المعاصر للعلاقات الدولية أن حظيت دولة حليفة بدعم عسكري مطلق من الدولة الاكبر كما تحظى اسرائيل الان من جانب الولايات المتحدة . بل ان الامر لا يتوقف عند هذا الحد فحسب . ان ما شهدناه من تدخل اسرائيلي مباشر أو غير مباشر ، عن طريق — اللوبي — الصهيوني في الكونغرس ، لمنع عقد صفقة الطائرات من طراز — اف ١٥ — الى دولة عربية هي السعودية ليمثل نموذجا نميدا على قدرة دولة صغرى لا مجرد تأمين كافة طلباتها من الاسلحة من جانب الدولة العظمى ، بل لمنحها ايضا من بيع اسلحة لطرف ثالث . وقد تزول دهشتنا لو لم تكن السعودية تعتبر من جانب الولايات المتحدة حليفا لا يمكن الاستغناء عنه .

الثالث : ويتمثل بالامكثات المالية الوفيرة لليهودية العالمية ، والتي تمكن اسرائيل من تغطية تكاليف مشترياتها من الاسلحة . واذا كانت تلك هي الدرجة التي وصلت اليها تلك — الروح — وتلك — الطاقات — فلا بد أن تجد متنفسا لتتجرها خارج الحدود الاقليمية لاسرائيل . فلعبة الحرب ليست تسلية غير مكلفة يظن بها العسكريون ، ان لم تكن مرتبطة بطماع ومصالح بعيدة .

ان الفكر السياسي الاستراتيجي الاسرائيلي ، وعبر التجارب القاسية السابقة ، يعطينا الدليل العملي على توجه حقيقي نحو خلق — امبراطورية اسرائيلية — عملية ، وهو توجه نلجم عن القناعة بانه لا يمكن القبول بواقع جغرافي — ديموغرافي ثبت لاسرائيل ، التي تعتبر نفسها التجسيد الحقيقي والكامل للامة اليهودية ، اي انها تعتبر نفسها — المركز — الروحي والثقافي والسياسي لهذه — الامة — . وينجم من ذلك ثلاث نتائج هامة :-

الاول : ان اسرائيل هي — الوطن الام — لمجموع اليهود . ولذا فان يهود الدياسبورا هم مواطنين غير اصلين في البلاد التي يعيشون فيها ، من زاوية ان بقاتهم خارج اسرائيل ، ليس لانهم يرغبون العيش فيها بل لان بقاتهم في الخارج هو بسبب المولد والنشأة وارتباطات العمل . ولكن هذا لن يشغل الحكومات الاسرائيلية عن مواصلة الهدف التاريخي لجمع شتات يهود العالم في دولة كبرى واحدة بقدر المستطاع وبهذا المعنى ، فان الفواصل بين يهود اسرائيل ويهود العالم ، سواء كانت سياسية أو اقليمية ، هي وهمية ، وعلى كل حال ، فان الجسور بين يهود — الداخل — ويهود — الخارج — ،

ان جاز التعبير تكون عبر تسمية الثقافة اليهودية المشتركة بينهم كما يقول نالوم غولدمان . وهكذا فلن حرب ١٩٦٧ مثلا ، لم تكن في حقيقتها لاذناعت أمنية محسب ، بل ومن أجل زيادة تلاحم الدياسبورا — الوطن الام — وتكثيف دعمها له . ولأجل زيادة الهجرة والدعم المالي لاسرائيل فلهذا اعيد تأسيس — الوكالة اليهودية — في حزيران عام ١٩٧١ . وعندما عقد المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين في كانون ثاني ١٩٧٢ ، فلن الوفد الاسرائيلي للمؤتمر تقدم بمشروع قرار يدعو لطرد زعماء المنظمة الصهيونية الذين لا يهاجرون الى اسرائيل في غضون سنتين من تاريخ عقد المؤتمر (١) ومع ان مشروع القرار لم يوافق عليه بسبب احتجاج وفد يهود امريكا — هداسا — عليه ، وخروجهم من قاعة المؤتمر الا أنه يعطينا مؤشرا على توجهات قادة اسرائيل في هذا الشأن .

الثاني : ان اسرائيل لا بد وان تتوسع جغرافيا بضرورة اذا ما اريد لها ان تستوعب عددا كبيرا من يهود العالم . وهذا التوسع يحدث على مراحل ، لان عملية تجميع اليهود هي — عملية تاريخية طويلة كما يقول بن غوريون . وهذا التوسع على اية حال ، ليس عملية غير شرعية تتم على حساب الآخرين ، نظاما لما ليست اكثر من مجرد — استرجاع — لارض ايتزيم اسرائيل المقتصة كما يردد بعض وزمرته باستمرار ويحاولوا اقناع العالم به . ومهما تكن الحقيقة مرة فانه لا بد من الاعتراف بان الحلم الصهيوني الهرتلي بدأ يتحقق : ما هي فلسطين بالكامل ، والجولان وسيناء وجنوب لبنان تصبح تقريبا مزروعة بالمهاجرين والمستوطنات في كل مكان .

الثالث : ان — اورشليم هي ، بهذا المعنى ، العاصمة الامبراطورية لليهود اسرائيل والدياسبورا معا ، وهي المركز الذي تتخذ منه القرارات في كل ما يتعلق بحاضر ومستقبل اليهود — اينما — كانوا . وبما ان اسرائيل هي التجسيد الكامل للمثال الصهيوني ، فانه لا يسمح ولا يعترف بوجود اي مدارس او اتجاهات فكرية او سياسية داخل الحركة الصهيونية ، بخلاف ما تقرره — الحكومة الامبراطورية — . وبهذا المعنى ايضا ، فلن حكومة اسرائيل تتميز وتنفرد على غيرها من حكومات العالم بكونها الحكومة الوحيدة التي تشكل مؤسسة ايدولوجية — سياسية — عسكرية محكمة الاتساق ، التي لها سلطة فرض قوانينها على مواطنين خارج الحدود الاقليمية للدولة ، اي لتشمل بشكل او بآخر يهود العالم مطلوبة .

وبعد ، اذا كتبت هذه هي التوايا وهذه التوجهات والحقائق أو ما يقترب منها على الأقل ، فان التساؤل الهام الذي يجب ان يطرح بالضرورة هو : اين هذه — الحركة الاسرائيلية — من — حركة التاريخ — وإلى أي درجة يمكن ان يحصل التماثل بين الرؤيا والقصء ؟ هذا ما سنعالجه في العنوان التالي .

اسرائيل : اسطورة العظيمة المحالة

عند الحديث عن مستقبل اسرائيل ووجودها في المنطقة . يبرز عادة في العالم العربي اتجاهان : الاتجاه الاول يمكن تسميته بـ — الواقعي — الذي يعبر عن نفسه في الاعتقاد بأن ثمة واقعا سياسيا — اجتماعيا لا بد من الاعتراف به ، بل والتعامل معه ، ويمثل في قيام اسرائيل منذ ثلاثين سنة بالتحديد . ويجد هذا الاتجاه تبريره البراغماتي — الفرائضي في القول بأنه ، شئنا أم أبينا ، فان العالم أجمع ، قد اقر بوجود هذا الواقع ، وهو ليس مستعدا ، من الناحية الادبية ، على الأقل ، للقبول بأزمته . زد على ذلك ، ان تجارب الحروب الاربعة الماضية ، اثبتت عمليا أن ليس بوسع العالم العربي ان يغير عسكريا من هذا الواقع ، او يحدث شرخا جديا فيه . واخيرا فان اسرائيل بقيامها في خلق — الحقائق الجديدة — في الاراضي التي احتلتها منذ حرب حزيران ١٩٦٧ ، تريد من صحة الاعتقاد بأن كيانا من هذا النوع لا يمكن ان يسمح ، الا بمعجزة ، عملية تدميرية . والنتيجة المنطقية لهذه الحقائق ، هو ان يعترف العالم العربي بوجود اسرائيل ، شريطة ان تتخلى عن مطالبها التوسعية . فلك ان استمرار الرغض السلبي العربي لهذا الكيان سيكون نتيجة معروفة سلفا : مزيدا من التوسع والاستيطان اليهودي في الاراضي العربية . وربما يكون المصرب الواقعي تحت الاحتلال مباشرة هم الاكثر تضررا بهذا الاتجاه .

الاتجاه الثاني ، ويمكن تسميته بـ — التاريخي — الذي يعبر عن نفسه في الاعتقاد بأنه من الالتزامية والاستسلام للواقع ان نحكم مستقبل اسرائيل بشير رؤية تاريخية عميقة وشاملة ، تتجاوز المرحلة التاريخية الواحدة .

انني اميل للاخذ بالاتجاه الثاني ، وذلك على الرغم من اعترافي بأن القبول بأحد الاتجاهين هو مر . فالقبول بالاتجاه الاول يعني القضاء على كل طموحاتنا ومطالبنا القومية المشروعة في اراضيها العربية ، ونكران تضحيات أجيالنا ، واحناء هليتنا أمام خوذات الفاتحين . والقبول بالاتجاه الثاني يعني التماهي عن جملة المعاناة اليومية لأولئك الذين يقاتلون الاحتلال أو — ظل — الاحتلال ، والقفز فوق الواقع المعاش . ولكن ما يخفف أكثر من مرارة الموقف الثاني جملة حقائق لا يمكن نكرانها :

اولا : ان القبول بوجود اسرائيل والتعامل معها بأي شكل ، لا يعني ابدأ نهاية المطامع الاسرائيلية والمعاناة العربية . انهما ينتقلان من مجرد شكل لآخر ، ومن مرحلة لآخرى . ومهما تلبست اسرائيل لبوس السلام ، فلسوف يبقى ان السلام الذي تبنيه هو — السلم الروماني — كما يسميه ارنولد توينبي ، أي ذلك السلام الذي يعني بسط سيطرتها الكاملة على المنطقة وعدم القبول بأي اطراف لتقوى فيها .

ثانيا : ان التحولات الاجتماعية الكبرى التي عرفتتها البشرية ودفعتها للامام ، كانت تتم عبر صيرورة تاريخية طويلة ، لا تخلو من الشظف والمعاناة . واذا كنا نعترف بأن ازالة الكيان الصهيوني — الاستيطاني — العنصري من فلسطين يحتاج لطاقت وجهود أكثر من جيل ، يمكن بعدما القول بأن هذا الكيان محكوم بالفناء لانه متطفل على المنطقة . وهذا بنفس الوقت ، لا يجب أن يدفعنا للركون ابدأ لمقولات تبشيرية ، او الاستسلام الكسول لرؤى حتمية ، دون التأكيد على دور العوامل الذاتية الفاعلة ، والتي بدونها يكون اللجوء الى الرؤى التاريخية المجردة ليس الا محاولة للهروب .

ثالثا : ان حركة التاريخ المعاصرة تسير ، ومنذ انتصار حركات التقدم الاجتماعي وحركات التحرر الوطني في العالم ، باتجاه تقدمي . ان عصرنا هو عصر انهيار الاستعمار ، والاستعمار الجديد والعنصرية . ومن هنا ان اسرائيل لا يمكن أن تنجو ، على المدى البعيد ، من حركة التاريخ هذه .

رابعا : ان التاريخ القديم والحديث يقدمان لنا عدة نماذج من الدول التي اتسمت بنزعة عسكريتارية صرفة ، ونماذج امبراطورية متعددة ، وكلنا يعلم ان كل هذه النماذج قد انهارت . لم تكن الدولة الاسبرطية هي أولها ، ولن تكون الامبراطورية القيصريّة هي آخرها . قد يكون الابداع والمحاكاة أمران ملازمان أحيانا ، لكن عملية التمثل الالي لهما من قبل اسرائيل ، في عصر يختلف جذريا عن العصور التي انجبت — مبارطة — أو — روما — أمر محكوم بالسقوط لا محالة .

في نيسان عام ١٩٧٠ ، وفي ظل عمليات — الانتقام الشامل — التي كانت تشنها القوات والطائرات الاسرائيلية ضد الاهداف المدنية والعسكرية المصرية، ابان حرب الاستنزاف ، ظهرت مقالة للزعيم الصهيوني ناحوم فولدمان قال فيها :—

— انه بعد خمسين سنة من النشيط الصهيوني ، بدأت تتولد لديه شكوك حول ما اذا كان اقلية دولة اسرائيل ، كما هي عليه اليوم ، يعتبر التجازر الكامل للفكرة الصهيونية . و اضاف غولدمان — ان اسرائيل قد فشلت على الاخص في الاعتراف بخطورة واهمية المشكلة العربية ، وان نزعتها العسكرية قد زادت من خطورة مستقبل العلاقات الاسرائيلية — اليهودية . ويؤكد غولدمان في نفس المقالة على — ان الانتصارات التي حققتها اسرائيل للآن ، لم تنجح في تقريب اي حل للصراع العربي — الاسرائيلي ، والانتصارات وحدها يكون لها معنى فقط ، اذا أدت الى الاستقرار والسلام . — وفي تحليل نقدي عميق للاتجاهات العدوانية في اسرائيل ، يضيف غولدمان قائلا بأنه : — مع ان النجاح في ارض المارك قد حظي باعجاب العالم ، فان هذا ليس امرا فريدا ، ولا مقصورا على الشعب اليهودي . كما ان شعوبا اخرى وحضارات لم تحظ بالاعجاب ولا بالتفكر في التاريخ نظرا لاتجازاتها العسكرية (٢٤) .

والحقيقة ان صلافة المؤسسة السياسية — العسكرية الاسرائيلية ، وطموحها المكشوف لبناء — اسطورة عظيمة — عصرية ، لم تسترع انتباه زعيم صهيوني بارز مثل غولدمان فحسب ، بل ان رموزا عديدة في الاوساط المتنفذة والجليلة في اسرائيل ، قد حذرت من خطورة هذا الاتجاه ، ليس على الشعوب العربية فحسب ، بل وعلى شعب اسرائيل ودولته ايضا . ها هو المؤرخ الاسرائيلي المعروف جاكوب تالون يحذر من — اسطورة العظمة — تلك بعبارات ، تدل على استقراء حقيقي وموضوعي للتاريخ . يقول تالسون في مقالة كتبها عام ١٩٦٩ : — ان اولئك الذين يمتدحون بأن القوة هي الرد على كل مشكلة ، يعيشون ليومهم فقط ويتجاهلون المستقبل . فبالنسبة لهم ، فان النجاح الكاسح للقوة هو الكلمة الاخيرة في التاريخ . . . انهم يتصفون بـ — انا — تمنعهم من فهم عقلية خصومهم ، او تحسس ما يجول في خاطرهم . . . وهكذا فان القومية المتطرفة تتشكل وهي مشبعة باحتقار عميق للشعوب الاخرى ، وروادها مدفوعون بالاعتقاد بأن القوة ستحل كل مشكلة ، وانهم عقدوا ميثاقا مع القدرة العالية موجه نحو جعلهم لا يتفهمون لبدا واثوية بلا حدود — (٢٥) .

وفي تحليل مسهب للمشاكل الاخلاقية لاسرائيل يقول تالون : — انه رغم حاجة اسرائيل للامن العسكري ، فانه من الخطا الاعتقاد بأن استمرار الحرب هو وسيلة لتحقيق المصالح القومية والتوسع الاقليمي والانتفاذ في انحاء احادي نحو القوة ونحو نزعة المخابرات العسكرية ، التي تهدف للحصول على الحد الاقصى — ، ولا ينسى تالون في هذا الصدد ، ان يذكر المسؤولين الاسرائيليين بـ — ان الذي يعيش بالسيف سيموت به في النهاية — (٢٦) .

وبالفعل فإن — التطور الحاسم — منذ عام ١٩٧٢ في المنطقة ، كما يقول جون كمنشة ، ان اسرائيل قد أصبحت هي العامل العسكري الرئيسي في الشرق الأوسط ، وأنه باستطاعتها ان تضرب وقتها تشاء ، ولا تحتاج في ذلك لأكثر من التأييد الأميركي الضمني ، وأن اسرائيل قادرة على السيطرة على المنطقة للثلاثين أو الأربعين سنة المقبلة . وعن هذه الوضعية من القوة المطلقة ، يقول الجنرال الاحتياطي الاسرائيلي — ماتيتياهو بيليد — المعروف باتجاهه المهادن نحو العرب ، ان الاساطير الثلاثة التي قادت اسرائيل الى شبه كارثة يوم الغفران عام ١٩٧٣ ، هي اسطورة ان العرب جبناء وضعفاء ، ولن يكون باستطاعتهم أبدا القيام بهجوم ، واسطورة أنه في حال قيام العرب بهجوم ، وهو احتمال ضعيف ، فإن التفوق الجوي الاسرائيلي سيضمن لها تحقيق النصر الأكيد . أما الاسطورة الأخيرة ولعلها الأخطر ، فقد كانت تقوم على اعتقاد مزوج بقدر كبير من الفطرسية التي تبثت في كل المجالات ، بأننا نستطيع ان نفرض على الفلسطينيين وعلى العالم أجمع الوضع القائم الاتليسي الى ما لا نهاية . ولكن ، ألم يضطر الجنرال حاييم بارليف الى الاعتراف بفشل هذه السياسة ، حينما قال في مقابلة مع الراديو الاسرائيلي ، ردا على سؤال حول اسباب نشوب الحرب بأن المصريين لم يعد بإمكانهم ان يتحملوا الوضع القائم ؟ وما هي الفطرسية العسكرية تبثت من جديد في جنوب لبنان . فذلك ان الاحداث — الصغيرة — كحرب تشرين ، لا يمكن ان تحدث اي شرح في بناء الاسطورة ولا اي تحويل هام في المسار التاريخي المقدر لها .

وبعد ، فائنا نعترف في هذا الصدد أيضا ، بأن اصواتا جريئة قد ارتفعت في اسرائيل وفي الدياسبورا تحذر من مغبة التملؤل في حلم العظمة هذا ، تماما كما كان الامر في بداية الاستيطان الصهيوني في فلسطين ، سواء كانت هذه الاصوات امتدادا روحيا لحركة الاستئارة اليهودية ، أو صرخة تحذير مبكرة للقادة الاسرائيليين قبل غوات الاوان . ولكن هذه الاصوات ، بما لها من قيمة لا زالت قليلة خافتة ، ولا بد لكفة الرموز والقوى الديمقراطية والتقدمية اليهودية ، في داخل اسرائيل وخارجها ، من ان تضاعف من جهودها لكشف الحقيقة ، والتقدم بانفكار جديدة تصبو لايجاد حل ديمقراطي حقيقي للصراع العربي — الاسرائيلي ، يبنذ الوضع القائم كليا في اسرائيل ، بكل ابعاده العدوانية ، التوسعية العنصرية وبناء عالم جديد يظلو من اساطير العظمة المحالة .

الهوامش

- (١) اميل توما : جفور القضية الفلسطينية نقلا عن « بن طبرن » اليهودي في كتابه فكرة الدولة اليهودية ص ١٨
- (٢) المصدر السابق
- (٣) ثيودور هرتزل « الدولة اليهودية » ص ٧٦
- (٤) Alan Taylor : Zionist Mind. P. L. O. Center of Palestine Studies , Beirut 1977. P. 47.
- (٥) اميل توما : المصدر السابق ص ٧٦
- (٦) ثيودور هرتزل : اليوميات ، الجزء الاول ص ٢٨
- (٧) الدكتور اسعد رزوق : اسرائيل وحقوق الانسان العربي ص ٧٨ مركز الابحث الفلسطيني ، بيروت ١٩٦٨ .
- (٨) Georges Tamarin : The Israeli Dilemma, Essays on a Warfare State. (A) Rotterdam University Press, P. 9. 1973.
- (٩) خالد نشطيني : المصدر السابق . ص ١٦ وما بعدها .
- (١٠) الدكتور نيسل السابر . مسألة الجنس اليهودي — مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ص ١١٩ بغداد .
- (١١) الدكتور نيسل السابر المصدر السابق
- (١٢) صادق جلال العظم ، المصدر السابق ص ١١٨
- (١٣) Hans Kohn : Zion and Jewish National Idea. London, P. 53
- (١٤) Arthur Hertzberg : "Palestine, the Logic Partition Today" Columbia Forum. Fall 1970. P. 17.
- (١٥) الدكتور اسعد رزوق . اسرائيل وحقوق الشعب الفلسطيني — مركز الابحث — منظمة التحرير الفلسطينية — بيروت ١٩٦٨ ص ١٠٣
- (١٦) طارق عبد الحكيم : استراتيجية التسوية الامريكية ، بيروت . ١٩٧٦
- (١٧) Jacob Talmon : Jewish Liberation Journal, New York, November (١٧) December 1969, P. 4.

(١٨) جون مولنكه ، هو قائد الجيوش الالمانية ضد فرنسا اثناء حروب ابراهيم باشا في الاناضول ،
١٨٧٠ - ١٨٧١ .

Alan Taylor. Zionist Mind. Op. Cit., (١٩)

(٢٠) من دور المؤسسة العسكرية في توجيه المسيلات الاسرائيلية انظر :
Amos Per Imutter : Military and Politics in Israel Nation -Building
and Role Expansion. France Cass and Co. LTD. London 1969 and,
Amos Perimutter; Politics and the Military in Israel 1977 France
Cass Co. LTD., London, 1978.

Jacob Talmon : "Is Force Indeed an Answer of Everything?" (٢١)
Dispersion and Unity Jerusalem, No. 17, 18, 1973 P. 15.

(٢٢) من هذا الموضوع انظر نشرة مركز الدراسات الفلسطينية العدد ايار ١٩٧٨

(٢٣) عن صناعة الاسلحة في اسرائيل انظر المصغر السابق ذاته من ص ٢٦٤ الى ص ٢٧٢ .
(٢٤)

Nahom Goldman : "The Future of Israel" Foreign Affairs, April, 1970,
P. 443.

Jacob Talmon : "Is Force an Answer of Everything?" Op. cit. (٢٥)

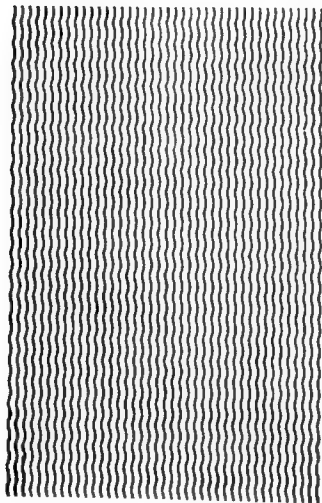
Jacob Talmon : "Is Force Indeed an Answer of Everything?" (٢٦)



اذ تطمح هذه المجلة في أن تكون منبرا بارزا من منابر طلبة وأساتذة العلوم
الاجتماعية ، ترخّب بكل ما يردّها من دراسات وملاحظات واقتراحات عملية .
انها تمنح صفحاتها للانتقاد المادف وتقدّمه على الاطراء غير المادف ، وتدعو
قراءها في الوقت ذاته الى مناقشة ما تتضمنه من أبحاث ومواضيع ومراجعات
وتقارير خاصة بحيث يكون في مقدورها افراد باب جديد خاص بذلك في الأعداد
القادمة .

جميع المراسلات توجه باسم رئيس القصر.

ندوة بعد



ندوة الندوة

في مطلع العام ١٩٧٥ اختطت مجلة العلوم الاجتماعية سياسة ترمي الى تطوير مضمون القضايا التي تطرح على صفحاتها ، وتغيير الاطار العام للمجلة ، بهدف تنمية حقول العلوم الاجتماعية في الوطن العربي .

ولمشيا مع ذلك تلتقي في كل عدد في حوار مفتوح مع عدد من المفكرين لطرح قضية هامة على الصعيد العلمي .

وتتناول ندوتنا في هذا العدد موضوع التفجير الاجتماعي في الوطن العربي ، ويشارك في الندوة كل من : د. سعيد التل عميد كلية التربية ، د. سري ناصر رئيس قسم الاجتماع والدكتور وبهي الحسن مدرس الادارة العامة في كلية الاقتصاد والتجارة ، وجميعهم من الجامعة الاردنية . وقد نظم الندوة وادارها الدكتور كامل ابو جابر عميد كلية الاقتصاد والتجارة في الجامعة الاردنية .

التغير الاجتماعي في الوطن العربي

تنظيم وتحريـر د. كلـيل أبو جابر *

د. كليل : أرحب بكم أيها الأخوة أجمل ترحيب في هذه الندوة حول مفهوم التغير الاجتماعي بشكل عام والتغير الاجتماعي في الوطن العربي بشكل خاص - أهلا وسهلا بكم أيها الأخوة . السؤال الأول الذي أريد في طرحه على الإخوان هو مفهوم التغير * والتطور الاجتماعي - ماذا نقصد بذلك ؟ أرجو أن نتعرض لمفهوم التغير الاجتماعي بشكل عام ثم نتطرق لهذا الموضوع بالنسبة للعالم العربي .

د. سعيد : اعتقد أن نقاشنا عن التغير والتطور الاجتماعي يجب ألا يتركز على مفهوم التغير وأسسـه وأهدافه ونظرياته بصورة عامة ذلك أن مثل هذا الأمر عالجه كتـب ودراسات ومقالات متخصصة ، الذي اعتقده أن نقاشنا يجب أن يتركز حول مفهوم التغير وأسسـه وأهدافه ونظرياته بالنسبة لمجتمعنا العربي .

د. سري : أود أن أبدا بمحاولة لتعريف التغير في رأيي ، فإن أي انحراف عن الماضي يعتبر تغيرا . يتوقف اتجاه التغير هذا على مفهومنا للتقدم الاجتماعي والتأخر الاجتماعي . فالتقدم الاجتماعي هو تغير أو انحراف عن الماضي ولكن تجاه أهداف مجيدة . أما التأخر فهو تغير ولكن تجاه أهداف غير مجيدة .

د. وبهي : أن الصعوبة في إعطاء تعريف دقيق تكمن في تحديد المعيار أو القياس الذي سنستخدمه في تقييم الانحراف عن الماضي . إذ أن بعض التغير (الانحراف عن الماضي) يعتبر بالنسبة للبعض تقدما وبالنسبة للبعض

* عـيد كلية الإقتصاد والتجارة بالجامعة الأردنية .

* روعي في تحرير هذه الندوة النص الأصلي ، بحيث جاءت وثائقها المنشورة هنا مطابقة للنص الأصلي كما ورد في شريط التسجيل الممنوعة في أرشيف الحقبة ، وكان ذلك أحيانا على حساب انسحاب اللغة وسلاستها .

* استعمل « تغير » و « تغيير » في هذه الندوة ليمطينا مدلول واحد على الرغم من التفرع أهم ، فهو يشير إلى أي انحراف عن الماضي ، أما التغير فهو عملية موجهة ومقصودة .

الآخر تأخرا . فما هو هذا المعيار الذي يمكننا استخدامه في تقييم التغيير ومعرفة اتجاهه ؟ .

دكتور كامل : نرجو من الدكتور سري أن يوضح لنا هذا المعيار ضمن التعريف الذي قدمه مسبقا .

د. سري : لكل مجتمع أهداف معينة ، وبالتالي فإن مفهوم التقدم والتأخر يختلف من مجتمع الى آخر ، لكن هناك اتفاق على بعض الخطوط العريضة في كل المجتمعات ، فالتطور يعتبر تقدم ، بمعنى أن يطور الإنسان حياته ويستعمل أساليب جديدة في حل مشاكله . ولكنني اعتقد أن التغيير المخطط المنظم هو جزء من العملية الديمقراطية بحيث يكون هناك اتفاق بين افراد المجتمع حول « ماذا نريد » .

د. رويحي : هنالك جانبان للتغيير : أحدهما يتعلق بالأهداف والآخر يتعلق بالوسائل . والجانب الأعمق والأهم هو جانب الأهداف والغايات لأنه يتعلق بفلسفة المجتمع وطريقته في الحياة ، إذ ليس من السهل تغيير نظرة المجتمع للأمور وأهدافه وتقاليده بينما يسهل نسبيا تغيير الوسائل والأساليب التي تستخدم في تحقيق الأهداف .

د. كامل : ما هو رأي الدكتور سعيد ؟

د. سعيد : التغيير ، كما أوضح الدكتور سري ناصر باختصار ، هو انحراف عن الماضي ، ويعتبر هذا التغيير الاجتماعي تقدما اجتماعيا حقيقيا وليس ظاهريا إذ قام على أسس ومبادئ مدروسة وسمى لتحقيق أهداف محددة . أما التغيير الذي لا يقوم على أسس ومبادئ مدروسة ولا يسمى ، بناء على هذه الأسس والمبادئ ، لتحقيق أهداف محددة فلا يعتبر تقدما اجتماعيا حقيقيا لا بل يمكن اعتباره تشويها لواقع المجتمع . أن قطاعات كبيرة من مجتمعنا العربي قد أصابها مثل هذا التشويه الذي يمتدده البعض أنه تقدما اجتماعيا .

د. سري : نحن نتكلم هنا عن مصادر التغير . منها مصدر طبيعي ، أي أن التغير حاصل تلقائيا سواء أردنا أو لم نرد . ولكن المهم أن نقود هذا التغير ونوجهه . وهناك مصادر أخرى كالتهذيب مثلا فالذي يتعلم يحاول أحداث تغيير في مجتمعه . وكذلك هناك مصدر آخر وهو الاختراع . والاختراع نوعان مادي وفكري ، فالشعبوية مثلا اختراع فكري ، أما الطائرة فهي اختراع مادي .

د. كامل : أريد أن أضيف مصدرا آخرأ هاما للتغيير وهو الاحتكاك مع مجتمعات أو قوى خارجية والذي يؤدي أحيانا الى التقليد .

د. وبيحي : قد يكون من المفيد هنا أن نميز بين نمطين من التغير وهما التغير الطبيعي التلقائي الذي يحدث بطبيعته سواء رغبتا أم لم نرغب وبطلق عليه أحيانا اسم تغير . أما التغير فهو التغير المخطط المنظم الذي نستطيع أن نضبطه ونوجهه — أي أنه تغير مقصود . وهذا هو التغير الذي نحن بصدده في هذه الندوة .

د. كامل : نعم ، فهناك تغير عفوي وتغير مقصود ومدروس .

د. سري : عندما نفهم الاسس والطرق التي يقوم عليها التغير وعندما نقوده فانه يصبح تقدم .

د. سعيد : أرغب أن أعقب على ملاحظة الدكتور وبيحي الحسن حول التغير الاجتماعي المقصود وأقول أن التغير الاجتماعي المقصود هو التغير الذي يقوم على أسس ومبادئ ويسمى بناء على هذه الاسس والمبادئ لتحقيق أهداف معينة . أن الاسس والمبادئ والأهداف هي التي بالتالي تحدد الوسائل والأساليب ، أن بعض الأساليب والوسائل التي يعتقد البعض أنها تحقق الأهداف بكفاءة وسرعة مرفوضة لأنها قد لا تتفق مع مبادئ أخير . فعلى سبيل المثال ، أن استخدام القسر في أحداث التغير الاجتماعي مرفوض لأنه يقوم على أساس غير ديمقراطي ومع أنه يحقق التغير بأسود بسرعة إلا أن نتائجه الاجتماعية غير مرغوب فيها وغير محدودة مراقب .

د. كامل : في إطار المبادئ والاسس والأهداف التي تكلم عنها الدكتور سعيد ، ما هو دور التربية في أحداث التغير في المجتمع العربي ؟

د. سعيد : هنالك وجهتا نظر بالنسبة لدور التربية في التغير الاجتماعي . وجهة النظر الأولى تعتقد أن التربية تساهم مساهمة رئيسية مع المؤسسات الاجتماعية الأخرى في وضع أسس ومبادئ التغير وأهدافه كما تلعب بالإضافة إلى ذلك دورا رئيسيا في تحقيق التغير من خلال وظيفتها التعليمية التعليمية . أما وجهة النظر الأخرى فتعتقد أن دور التربية مقتصر على أنها إحدى الوسائل الرئيسية التي تلعب دورا أساسيا في تحقيق التغير . فإذا ما تحددت أسس التغير ومبادئه وأهدافه فتقوم المؤسسة التربوية بتطوير مناهجها وفقا لإبعاد التغير المرغوبة ومن خلال تفاعل المتعلمين مع هذه المناهج — وهو ما يصطلح عليه بالعملية التعليمية التعليمية — تلعب المؤسسة التربوية دورها في عملية التغير الاجتماعي .

هنا يجب أن أشير إلى الدور التربوي الذي يمكن أن تلعبه وسائل الاتصال كالصحافة والإذاعة والتلفزيون في التغير الاجتماعي فهذه الوسائل

يمكن أن تكون أداة دعم للمدرسة في تحقيق التغيير الاجتماعي المرغوب إذا ما جمعتها خطة عمل واحدة ، ومن جهة أخرى يمكن لهذه الوسائل أن تكون أداة هدم وتشويه لما تقوم به المدرسة إذا لم تجمعها مع المدرسة خطة واحدة . أن أغلب قطاعات مجتمعنا العربي لا يفتقر فقط الى أسس ومبادئ وأهداف للتغيير الاجتماعي الذي تشهده فحسب بل يفتقر أيضا الى سياسة التنسيق بين مؤسساته العاملة للتغيير وفي أغلب الأحيان تهدم بعض المؤسسات ما تبنيه المؤسسات الأخرى .

د. ويحيى : أن التركيز على الجوع والفقر والمرض لا يشكل الا جانبا واحدا فقط من الحاجات الانسانية ، وهي في الواقع أدنى مستوى من الحاجات ولكن هناك حاجات أخرى اسمى وأكثر أهمية كالحاجة الى اعطاء الفرد فرصة ليغير من نفسه ويحقق ذاته .

د. كامل : لا بد أن نتطرق هنا الى فلسفة نظام التعليم وفلسفة النظام السياسي كذلك . وبالتالي لا بد أن نتطرق أيضا الى حدة التغيير أي سرعته واتجاهه .

د. صري : يجب أن لا ننسى عندما نتكلم عن التغيير المخطط أن التغيير هو سنة الحياة ، وأن جانبا كبيرا من التغيير في الوطن العربي هو نتيجة التغيير الطبيعي ، لذلك فأنني أقترح أن نركز على فهم طبيعة عملية التغيير ، وعندما تكون في موقف أفضل لضبطها وتوجيهها نحو أهداف معينة . إذا كنا نريد أن نغير الإنسان العربي ، فيجب أن نسأل أولا ماذا نريد في انساننا العربي ، ما هو نوع الإنسان العربي الذي نريده ؟ ثم بعد ذلك كيف نتوصل الى هذا الهدف .

في رأيي فإن الإنسان العربي حاليا فاشل ، أي أن صناعة الإنسان العربي في القرن العشرين بتحدياته الموجودة صناعة فاشلة وبالتالي يجب أن نعرف أولا ما هو نوع الإنسان الذي نريد صناعته ثم نركز على المؤسسات التي تصنع الإنسان كالأسرة والمؤسسة التعليمية وغيرها . يجب أن نبدا أولا بالإنسان وحاجات الإنسان وكيف كانت تشبع حلجات الإنسان .

د. كامل : أود أن أجيب على الشق الأول من سؤالك ، وهو ماذا نريد من انساننا العربي . نريد أولا أن نعتقه من الجوع والفقر والمرض وهي الحاجات الأساسية ، ثم نريد أن نحقق له كرامة شخصية ، ومن ثم كرامة وطنية .

د. ويحيى : يجب أن ننظر الى التعليم نظرة أوسع تتجاوز تزويد الفرد بالمعلومات وتكسبه خبرات وتجارب تؤدي الى تغيير سلوكه ، وبالتالي تزيد

من قدرته على التأقلم والتكيف وعلى مواجهة متطلبات الحياة والسيطرة على بيئته .

د. سري : انا لا اريد ان اعطي الانسان العربي سمكة ليأكلها هذه الليلة بل اريد ان اعلمه الصيد حتى يأكل طول حياته وليس ليلة واحدة فقط . انا ارى ان الانسان العربي اتكالي ، فهو يتكل - دون ان يبذل جهدا - على الله وعلى ابناء عائلته وعلى الدول في حل مشاكله . وبالتالي يجب ان نستنبط الوسائل التي تساعد على القضاء على الاتكالية وغرس قيم جديدة بعيدة من الاتكالية .

د. كامل : يجب ان نفصح المجال للانسان العربي حتى يحقق انسانيته ويشارك في كافة مؤسسات المجتمع من الاسرة الى المؤسسة التعليمية الى المؤسسات السياسية .

د. سعيد : عند الحديث عن تحقيق التغيير في المجتمع العربي من خلال خطة تغيير ذات اسس ومبادئ واهداف محددة يجب ان تؤكد مرة اخرى ان هذه الاسس والمبادئ والاهداف يجب ان تنبع جلورها من ثقافتنا العربية الاصيلية . بالطبع هذا لا يعني بأية حال من الاحوال عدم استفادتنا من التجربة الانسانية بجميع ابعادها . ان الحضارة العربية الاسلامية التي كانت حضارة العصر في القرون الوسطى تميزت بشخصيتها العربية الاسلامية المتميزة من جهة وباستفادتنا من تجارب الامم المعاصرة لها آنذاك . في الوقت الحاضر نحن نتطلع الى ان نميش في مجتمع عربي تقدمي تتوافر فيه الديمقراطية والحرية والعدالة الاجتماعية ومتحرر من الفقر والجهل والمرض والاستغلال والاحتكار . واحب ان تبرز هنا كلمة مجتمع عربي لان التغيير والتطور الذي ارغب ان يتحقق في مجتمعنا يجب ان يكون في اطار ثقافتنا القومية وراثتنا الحضارية . فانا شخصا لا ارغب ان اعيش في مجتمع تقدمي تتوافر فيه الديمقراطية والحرية والعدالة الاجتماعية ومتحرر من الفقر والجهل والمرض والاحتكار والاستغلال وغير عربي بأية صورة من الصور .

ان مبادئ واسس واهداف التغيير تشتق من فكر المجتمع الوطني واذا صح التعبير فان (مجتمعاتنا) العربية تتبنى حقيقة او ضمنا افكارا بعضها متباين تباينا كبيرا . بعض المجتمعات العربية تتبنى الاسلام كنكر ونظام حياة وفي المقابل تتبنى مجتمعات اخرى الماركسية اللينينية وبين هذه وتلك تقع افكار المجتمعات العربية الاخرى وهذا يعني ان مبادئ واسس واهداف التغيير سوف تكون ، اذا ما وضعت في الوقت الحاضر ، متباينة وهذه بالتالي ، اذا ما طبقت ، سوف تخلق (مجتمعات) عربية . لذلك فاني

أحمل المفكرين العرب في جميع أرجاء الوطن العربي مسؤولية تطوير فكر قومي عربي تتسم بالاصالة والمعاصرة . فهو أصيل إذ ينبع من تراثنا العربي وهو معاصر إذ يستفيد من تجارب جميع الأمم وخبراتها . ان هذا الفكر سوف يكون الضمان الاساسي لاجتثاث التفتت والتطوير المروغوبين في مجتمعنا العربي الواحد باعتبار ما سيكون .

د. ربيحي : حتى يكتب لجهود التغيير في الوطن العربي النجاح يجب ان تكون اصيلة اي منبثقة عن ثقافة المجتمع العربي وضمن اطار بيئته المادية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية . من هنا فان علينا ان نفهم طبيعة مجتمعنا العربي عن طريق دراسة علمية تطبيقية لوضايعه ومختلف جوانب بيئته .

د. كامل : من هنا يتوجب على الدول العربية وعلى المثقفين العرب بشكل خاص ان يعالوا خلق مفاهيم مشتركة بين مختلف الانظمة والمجتمعات العربية .

د. سعيد : غياب فكر وطني عربي واحد لا يعني تعديد التحرك نحو تطوير مبادئ واسس واهداف لتغيير المجتمع العربي وتطويره . فمع التباين في افكار الحكم في الوطن العربي فان هنالك جوانب كثيرة مشتركة . من جهة اخرى ، هنالك تطلعات واحدة مشتركة على اساس هذه الجوانب والتطلعات المشتركة بين (مجتمعاتنا) العربية يمكن ان تبني مبادئ واسس واهداف مشتركة للتغيير والتطوير في المجتمع العربي . فعلى سبيل المثال ان (مجتمعاتنا) العربية بدون استثناء تتطلع لاجتثاث تغيير يؤدي الى توفير الحرية والديمقراطية والكرامة والعدالة للانسان العربي . وجميع (مجتمعاتنا) بدون اي استثناء تتطلع ايضا لاجتثاث تغيير لتحريرها من التسلط والاستغلال والاحتكار والفقر والجهل والمرض . ان الحوار يجب ان يتركز ايضا على السؤال التالي : كيف يمكن جعل هذه التطلعات اهدافا حقيقية لمجتمعاتنا وما هي الاساليب والوسائل لتحقيق هذه الاهداف . ؟

د. سري : ان التغيير الذي حدث من وقت قيام الاسلام الى الان هي تغيرات كبيرة ، وهذا لا يعني انه ليس للدين دور كبير في التغيير ، بل يجب ان نأخذ من تراثنا الاشياء التي تساعدنا على اشباع حاجاتنا وحل مشاكلنا وكذلك الاستماع الى شيء جديد توصلت اليه الانسانية لحل مشاكلنا واشباع حاجاتنا .

د. كامل : هذا يعني انه يجب علينا ان نكون انتقائيين بحيث نختار بعض الامور التي تصلح لنا سواء كانت من ماضينا التاريخي وثقافتنا ام من الافكار والمفاهيم السائدة في الوقت الحاضر .

د. سري : يجب ان لا ننسى اننا عرب ولنا شخصية مميزة : الدين واللفة والمعادن وغيرها . ان تراثنا مليء بالاشياء المفيدة واليجابية . يجب ان نتمسك بمكونات تراثنا ونبنى عليها ونضيف لها ما يتماشى مع واقعنا .

د. كامل : لا بد لنا اذن ان ندرس مجتمعنا وواقعنا وثقافتنا وان نتعرف على جيوب المقاومة التي تقف حائلا دون التغيير المنشود . والسؤال هنا : ما هي مواقف التغيير في الوطن العربي ؟ .

د. سعيد : اصاب مجتمعنا العربي الركود والجمود خلال عصور الانحطاط التي عاشها خلال العهد العثماني . وعندما استيقظ من سباته العميق في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن وجد نفسه متخلفا تخلفا كبيرا عن امم العالم المتقدمة والمتحضرة . وفي لهفة اللحاق بمن سبقوه من امم العالم ، ونتيجة للجهل والتخلف ، اعتقد الانسان العربي ان الفكر الوطني للامم المتقدمة والتي حققت التغيير والتطور قادر على تحقيق مثل هذا التغيير في مجتمعه متصورا ان الفكر الوطني ينقل من مجتمع الى آخر ليطبق كما تنقل الآلة من بلد لتستخدم في بلد اخر . وعلى اساس هذا المبدأ جربت المجتمعات العربية ولا يزال بعضها يجرب افكار الفير لتحقيق التغيير والتطور ناسيا او متناسيا ان الفكر الذي يحقق التغيير لا بد ان يكون فكرا وطنيا نابيا من تراث الامة العربية ومستفيدا من التجربة الانسانية اي فكر يتسم بالاصالة والمعاصرة .

د. سري : فعلا لقد فرض علينا الحكم العثماني سبائلا عميقا ثم استيقظنا . حكمنا من دول غريبة وبلتالي اضطرونا الى النظر الى ثقافتهم والاختلاط بها ، فقد كانت منطقتنا محط اطماع الفزاة . ولكن علينا ان لا نكون سلبيين نتقبل ما يفرض علينا بل يجب ان نأخذ زمام المبادرة بأنفسنا . البحث عما نريد ليس فقط من تراثنا ولكن من واقعنا .

د. كامل : يجب ان نذكر انه كان دوما في المجتمع العربي الاسلامي عنصر التغيير موجودا . المهم هو خلق الاجواء المناسبة وتمهيتها لتدفع هذا التقدم وتسميته . فالآية الكريمة : « لا يغير الله ما يقوم حتى يفرأ ما باتفسهم » تدل على وجود اساس قوية لتقبل التغيير وتشجيعه في الاسلام . فبالنالي يجب ان نتقن من تراثنا ما يتناسب مع متطلبات التغيير دون ان نفرض النظر عن الاشياء المعاصرة المناسبة لمجتمعنا .

د. ويهي : يميز العالم الاجتماعي الشهير كلر ملتهليم بين رشد الغليات ورشد الوسائل . - الاهم هو ان تكون الغايات والاهداف التي ننشدها في العالم العربي رشيدة ومنبثقة من تراثنا وأمانينا - ولكن بالنسبة للوسائل

يمكننا ان نختار الوسائل التي تؤدي الى تحقيق هذه الغايات بكفاية وفعالية سواء كانت وسائل مستحدثة في مجتمعنا العربي او في مجتمعات اجنبية وبشكل خاص التكنولوجيا التي طورها الغرب بشكل متقدم . بعبارة اخرى نختار الوسيلة او الاسلوب الذي يلائم اهداف التغيير في مجتمعنا ويتمشى مع ثقافتنا وبيئتنا . فالمشكلة الرئيسية التي نواجهها الان هي ضياعنا وعدم اتفاقنا حول الاهداف والغايات وليس الوسائل . بعبارة اخرى : اين نريد ان نكون وماذا نريد للانسان العربي ان يصبح ثم بعد ذلك كيف نصل الى هناك وكيف نحقق هذه الاهداف . ١

د. كامل : ان هذا الموضوع هو موضوع الساعة وهو من الواجبات الملقة علينا كبشر وكمثقفين بشكل خاص . السؤال الذي اود طرحه هو : ما هو المطلوب كي يتحقق التغير المقصود ، وما هي اهدافه واتجاهاته ؟

د. سري : هناك حاجات اساسية عند الانسان ، وكذلك حاجات نفسية وحاجات اجتماعية ، وهذه الحاجات غير مشبعة في الوطن العربي . فلو بدانا في تحديد اهدافنا من منطلق الحاجات وهي ان الانسان العربي جائع ، وعنده حاجات للحرية والعدالة الاجتماعية والمشاركة واشباع الافكار الذاتية - هذه كلها حاجات اساسية غير متوفرة للانسان العربي ، لذا فانا اطالب باشباع هذه الحاجات حتى يحقق الانسان العربي انسانيته .

د. ويحي : قد يكون من المفيد هنا ان نحدد الاطار النظري للحاجات كما وضعه العالم مازلو الذي وضع سلما للحاجات ويميز فيه بين خمسة مستويات من الحاجات : المستوى الاول هو الحاجات البدنية الفسيولوجية كالحاجة الى الطعام والشراب والجنس . والمستوى الثاني حاجات الامن والاستقرار اي ان يشعر الانسان انه آمن على نفسه من المخاطر وعنده شعور بالاستقرار . والمستوى الثالث هو حاجات اجتماعية وهي حاجات الانتماء والتقدير الاجتماعي . والمستوى الرابع هو حاجات نفسية وهي الحاجة الى احترام الذات والمركز والشهرة وتقدير الآخرين . اما أعلى مستوى من الحاجات فهو حاجة تحقيق الذات او السمو النفسي اي أن يستغل الانسان مواهبه وطاقاته الى اقصى حد يمكنه الوصول اليه . وهذه الحاجات مرتبة في سلم هرمي بحيث تأتي الحاجات الاساسية (المستوى الاول) في ادنى الهرم ، ولا تبرز الحاجة في أي مستوى بشكل واضح الا اذا اشبعت الحاجات في المستويات الادنى ، فلا يستطيع المرء ان يفكر في حاجاته الاجتماعية او حاجة تقدير الآخرين له ويطنه خاو او عندما يكون واقعا تحت تهديد او خطر .

وبالتالي يجب أن نركز أولاً على إشباع الحاجات الأساسية للإنسان العربي
للطعام والملبس والسكن حتى نستطيع أن نحرره منها ونسحر به إلى
المستوى الاجتماعي والنفسي .

د . سري : يبقى المرء عبداً لحاجة لا يشبعها حتى يشبعها وبالتالي
يتحرر منها ويرتقي إلى حلبة أعلى منها . ولكن هذا لا يعني أن نغفل
اهتمامنا على الحاجات البيولوجية والاقتصادية فقط .

د . سعيد : التغير ، كسنة وكحقيقة ، يمكن أيضاً تعريفه بأنه محاولة
لتطوير وسائل وأساليب أفضل لإشباع حاجات الإنسان الجسمية والنفسية
والاجتماعية التي ذكرها الدكتور ربحي وأكد عليها الدكتور ناصر . أن
المشكلة ليست في تحديد هذه الحاجات ولا في تحديد وسائل أفضل
لإشباعها بل اعتقد أن الحديث يجب أن يتركز حول المبادئ والأسس
والأهداف التي تحكم هذا التغير أي الوسائل والأساليب الأفضل والاكثر
تشبع حاجات الإنسان أن السكن حاجة لكل مواطن وتشبع هذه الحاجة بإيجاد
سكن مناسب له . أن نسبة كبيرة من مهندسينا اعتقد أن السكن الذي يعيشه
الإنسان الأمريكي على سبيل المثال ، يمكن اعتباره سكناً متطوراً لأنساننا
العربي ليعيش فيه بدلاً من سكنه التقليدي ، وعلى هذا الأساس طورت
مساكننا الحديثة . أن المسكن الأمريكي يتلاءم مع الحياة الأمريكية وهو لا يتلاءم
مع الحياة العربية وأصولها وتقاليدها وبالتالي فهو غير ملائم لنا ملائمة تامة
لنميش به . أن السكن العربي يجب أن يبنى على أسس تراثنا المعماري
ليعكس شخصيتنا الحضارية ويجب أن يتفق أيضاً مع تقاليدنا وعاداتنا كما يجب
أن يستفيد من التجربة الحضارية الأمريكية وغير الأمريكية في بناء المساكن .
بعبارة أخرى يجب أن نكون مطورين بلداع لتراثنا مستفيدين من تجربة الآخرين
وخبرتهم . أن هذا المثال يمكن تعميمه على جميع نواحي التغير التي حصلت
في عالمنا العربي .

د . سري : لنا توافق مع الدكتور سعيد أن التراث هو الأساس ، إذ
بدونه تفقد الشخصية العربية مقوماتها الأساسية . ولكنني أود أن أطرح
الفكرة التالية : وهي أننا إذا استسلمنا أن ننسق بين الإنسان والمصادر
والمعرفة فلنأخذنا نستطيع أن نصل إلى نوع من القوة الذاتية في فهم التغير والتراث
وتوجيه التغير بالاتجاه الصحيح . ولكننا فشلنا في أن نضع هذه العناصر
الثلاثة لتعمل سوياً وبانسجام . أن المشكلة الرئيسية الآن هي أن القيادات
السياسية في الوطن العربي أهملت تطوير القطاع السياسي ، برنامج التنمية في
الوطن العربي تخطط للتقدم الاقتصادي ولتنمية التعليم وغير ذلك من القطاعات ،

ولكن المؤسسة السياسية لا تزال متأخرة ، وبالتالي تحدث فجوة بين تطور هذه القطاعات .

د . كامل : يجب أن تكون عملية التغيير عملية متكاملة تنسجم فيها جهود التغيير في كافة القطاعات خوفا من حدوث عدم اتزان في حياة المجتمع ، وبالتالي فأننا يجب أن نتعرض هنا الى أنماط أو أنواع التغيير .

د . رهي : هنالك عدة أنماط وأنواع من التغيير حسب المعيار الذي نستخدمه في تصنيفها . فلو أخذنا درجة شمول التغيير فإن هنالك تغييرا جزئيا يقتصر على قطاع أو عدد من القطاعات فقط وكذلك هناك تغييرا شاملا يغطي كافة القطاعات . والخطورة في التغيير الجزئي هو أنه يخلق نوعا من عدم التوازن حيث تكون بعض القطاعات متطورة والآخرى متخلفة وينجم من ذلك أن القطاعات المتخلفة قد تعيد القطاعات المتطورة الى الوراء . فلو أنشأنا شبكة طرق حديثة دون أن يرافق ذلك قوانين وأنظمة سير متطورة ووعي لدى السائقين وصيانة مستمرة لتدهورت هذه الطرق خلال فترة زمنية بسيطة .

أما إذا أخذنا عمق التغيير كمعيار فيمكن أن نميز بين التغيير السطحي الظاهري الذي يقتصر على القشور والشكليات وبين التغيير العميق الجذري الذي يتجاوز القشور ويصل الى اللب أو الجوهر ، وهو في هذه الحالة أنماط السلوك والعادات والتقاليد التي يقوم عليها المجتمع . ولو أخذنا سرعة التغيير كمعيار لاستطعنا أن نميز بين التغيير السريع والتغيير البطيء . ولو أخذنا موضوع التغيير لاستطعنا أن نميز بين التغيير المادي التكنولوجي والتغيير المعنوي النفسي والاجتماعي . بالإضافة الى ذلك فهناك تقسيم لأنواع التغيير على أساس جغرافي : فبعض أنواع التغيير تصيب مناطق معينة دون غيرها وبشكل خاص المدن في الوطن العربي على حساب الارياف والبادية مما يخلق نوعا من عدم الاتزان ويجعل الناس يقبلون من الريف والبادية الى المدينة بسبب ارتفاع مستوى الحياة في المدن ووجود الخدمات فيها .

د . كلبل : يجب أن نميز أيضا بين أنماط التغير على أساس عقائدي أو أيديولوجي فهناك تغير ماركسي يركز على الدولة والقطاع العام ، وتغير ليبرالي يركز على حرية الفرد والسوق ، وتغير مخطط يجمع بين النقيضين . هذا بالإضافة الى أسلوب التغير - ثورة لم تطور طبيعيا تدريجي .

د . سري : هنالك خطورة في التغير التطوري البعيد عن العنف ، اذ يجب أن يكون التغيير متطورا في كافة القطاعات ، وبشكل خاص في المؤسسة السياسية ، والا فلابد أن يكون هو التغير الثوري .

د . سعيد : انني لا اتفق مع الدكتور سري في هذا الموضوع فالمؤسسة السياسية وغيرها من المؤسسات يجب أن تلتزم بإطار فكري واحد . والتغير المرغوب لمجتمعنا العربي لا يمكن أن يتحقق ما لم يقبل فكر محدد لتوجيه هذا التغير . وفي رأبي فإن الفكر الذي يجب أن يحكم هذا التغير هو الفكر الوطني العربي وهو فكر ، كما ذكر أكثر من مرة ، نابع من تراثنا الحضاري وهو بذلك يتسم بالاصالة ومستفيد من التجربة الإنسانية بجميع أبعادها وهو بذلك يتسم بالمعاصرة . للأسف الشديد لم تبذل حتى الآن أي محاولة جدية في أي بلد عربي لتطوير فكر وطني عربي ولا زلنا في هذه المجالات وفي أغلب الأحيان نعتبد وبصورة رئيسية على الغير وعلى ما يستتبط لمعالجة مشاكلنا وتحديد مواقفنا . ان مثل هذا الفكر الوطني المألوف هو الذي يحدد الأوليات كما يحدد الوسائل والأساليب .

د . سري : نحن الآن نعيش في مجتمع سنطوي فإذا أردنا أن يلعب الفكر دورا هاما في حياتنا ، يجب أن يتوفر له الحرية للتعبير عنه ، ولكن لا يوجد حرية في مؤسساتنا في الوطن العربي ، سواء كانت مؤسسات سياسية أو اجتماعية .

د . كامل : منذ أن بدأتنا نستيقظ من سباتنا ، نجد أن هناك بعض التطور الفكري والتطور المادي الملموس . وقد حدث هذا التطور في بعض مؤسسات المجتمع ولكن ليس في المؤسسة السياسية . وهنا فإني اتفق مع الدكتور سعيد في ضرورة وجود فكر وطني عربي أصيل ومعاصر والتعامل مع مشاكل حياتنا بطريقة منطقية عقلانية وعلمية .

د . سري : ان المتطلب الاساسي لمثل هذا الفكر وجود حرية سياسية وحصانة تساعد على نمو هذا الفكر وتشجعه .

د . كامل : اذا نظرنا الى مؤسساتنا السياسية ، نجد أنه حصل تأخر ، في العشرينات والثلاثينات كانت هناك محاولات لإشراك الناس في الحكم وافساح المجال لهم للتعبير عن أنفسهم ، ولكن في الأربعينات والخمسينات والستينات فهناك سلسلة من التأخر السياسي والتزعة الدكتاتورية في الحكم .

د . سعيد : ان الواقع السياسي وما يوفره من حرية رأي عامل مهم في تطوير الفكر الوطني العربي ولكن السبب في عدم تطوير هذا الفكر ليس فقط في التسلطية وغياب الحرية بل في عدم اهتمام المفكرين العرب لسبب لا أستطيع تحديده في تطوير فكر وطني عربي . أعطى سبيل المثال أن التسلطية وغياب الحرية لم تمنح بعض المفكرين العرب الذين التزموا بفكر اعترضته السلطات فكرا مقترنا في أغلب الاقطار العربية من الدعوة لأفكارهم مع ما يترتب على هذه الدعوة من مخاطر ومشاكل .

د . ريحي : بالإضافة الى الفكر العربي الاصيل ، فان عملية التغيير تحتاج الى حوافز ورغبة حقيقية في التغيير . وهذه تنبثق عن اتجاهات الافراد وقيم المجتمع والتي تلعب المؤسسة التربوية والعائلة دورا أساسيا في تطويرها . ولكن نظام التربية والتعليم في عالمنا العربي لا يزال يقوم على التلقين والحفظ أكثر من تنمية قدرة المتعلمين على التفكير المستقل والتحليل والمنطق . كذلك فان العائلة العربية عائلة سلطوية تربي في ابنائها الخنوع والخضوع بدلا من الاستقلال والاعتماد على النفس .

د . سري : لا يزال مفهوم الراعي والفنم هو المفهوم السائد في مجتمعنا العربي بكافة مؤسساته وبشكل خاص في المؤسسة السياسية وبالتالي فان علينا أن نبحث عن وسائل وأساليب لتنمية حرية الفرد واعطائه فرصة للتعبير عن نفسه . ويجب أنؤكد هنا على الحرية المسؤولة وليس الحرية الفوضوية .

د . كلبل : اننا نتكلم هنا عن معوقات التغيير أو الحواجز التي تحول دون عملية التغيير أو تعيقها أو تحولها عن مسارها الصحيح . ما هي هذه المعوقات في العالم العربي ؟

د . سعيد : من ناحية نظرية هنالك بعدان لمعوقات التغيير : الاول بعد نفسي ، فالإنسان بطبيعته وبشكل عام يحاول المحافظة على الأوضاع التي تعود عليها والتغيير بالنسبة له يعني البعد عن ما ألفه وهذا يتطلب منه تعلما واعادة تأقلم . اما البعد الثاني لمعوقات التغيير فهو عدم وضوح أسسه ومبادئه وأهدافه . ان وضوح الاسس والمبادئ والأهداف يخفف من اثار العائق النفسي ويقلل من آثاره . ان سلبية بعض قطاعات المجتمع العربي للتغيير ومقاومة بعض هذه القطاعات لهذا التغيير كانت بصورة رئيسية بسبب عدم اتساق هذا التغيير مع تراثهم الحضاري وعدم وضوح مبادئه وأسس وأهدافه .

د . ريحي : أنا اتفق مع الدكتور سعيد على عدم وضوح الرؤيا كمعوق للتغيير . ولكن هنالك معوقات أخرى ، منها : عدم توفر المعلومات الدقيقة المنبثقة عن دراسات علمية موضوعية لأوضاعنا ، وكذلك عدم توفر الإمكانيات سواء كانت مادية أو تكنولوجية أو قوى بشرية ، بالإضافة الى عدم وجود اتجاهات ايجابية تؤمن بالتغيير وتوجهه في الطريق الصحيح . فمن الناحية الاولى (عدم توفر المعلومات) كان الفرد يقول : لا أعلم ، ومن الناحية الثانية (عدم توفر الإمكانيات) يقول : لا أستطيع . أما من الناحية الثالثة (الاتجاهات) ، فالفرد هنا لا يرغب في التغيير لانه غير مؤمن به وغير مقتنع

بجدواه . لذا فان البحث العلمي والتربية الصحيحة تساعدان بشكل كبير في دفع عجلة التغيير خاصة مع توافر الامكانيات الهائلة في الوطن العربي .

د . سري : أريد أن أضيف علما آخر ، وهو عدم وضوح دور الفرد في المجتمع ، أي الالتباس في معرفة حقوق ومسؤوليات الفرد في المجتمع ، وهذا ناجم عن تقصير في تدريبه وتنشئته الاجتماعية . ما هو دور الفرد في الأسرة وفي المجتمع ؟ نلاحظ كثيرا أن الفرد العربي يلعب عدة أدوار دون أن يعرف ما هو دوره الحقيقي . فالعمل الجماعي والتعاون من ، وهو شبيه بالممارسة الجراحية التي يتعاون فيها الجراح مع الممرضة ومع المساعدين الآخرين . نحن لا نفهم أدوارنا في العمل الجماعي بشكل دقيق . وهذا في رأيي عائق كبير جدا لمبادرات التغيير والتطوير .

د . سعيد : إن كل النقاط التي ذكرت هامة ولكن في اعتقادي يبقى الموق الاساسي للتغيير في الوطن العربي هو غياب الفكر الوطني العربي الموجه والمنظم لهذا التغيير وهناك دلائل واقعية تثبت هذا الرأي . أن بعض البلدان التي طورت فكريا وطنيا أصيلا منقطعا وموجها لها وللتغيير فيها حققت تقدما ما يفوق كثيرا التقدم الذي حققته البلدان المناظرة لهذه البلدان من حيث الامكانيات والتي لم تستطع لسبب من الاسباب تطوير فكر وطني أصيل خاص بها .

د . كامل : من أين ينبثق هذا الفكر ؟

د . سعيد : بصورة عامة أعتقد أن جميع المواطنين مسؤولون عن تطوير الفكر الوطني . بالطبع من ناحية عملية هذا الأمر غير ممكن ، لهذا يجب أن تناط مسؤوليته بلجنة خاصة من المفكرين والمختصين والسياسيين لوضع مشروع الفكر الوطني لي طرح بعد وضعه على المواطنين بوسائل الاعلام المختلفة لمناقشته ، ثم يطرح بعد ذلك على التصويت العام لاقتراره ليصبح وثيقة شرعية معترفا بها .

د . سري : ولكن المتطلب الاساسي لذلك هو السماح للمواطن بالتعبير عن نفسه بحرية عن طريق كافة وسائل الاعلام كالصحف والتلفزيون والراديو .

د . كامل : ان التخلف السياسي موجود في مجتمعا العربي ، ولكن حيرة المثقف نفسه زادت من هذا التخلف . يضاف الى ذلك عدم وضوح الرؤيا أمام القيادة السياسية . وبالتالي فان الجو بشكل عام غير ملائم لظهور مثل هذا الفكر .

د . سعيد : ولكن يجب الان نفي أن الكثيرين من المفكرين العرب لايزالون يقدمون افكارا غير عربية لمعالجة قضايا ومشاكل مجتمعا العربي . ومثل هذه

الإنكار لا تعالج معالجة حاسمة مثل هذه التفضيل والمساكن . ان المشكلة الرئيسية في زراعة الاعضاء البديلة في جسم الانسان ليست عملية الزراعة نفسها بل عملية جعل جسم الانسان يقبل العضو المزروع ليقوم بوظيفته . ان الامكار التي تقدم لخدمة تغيير المجتمع وتطويره لا يمكن ان تقوم بوظيفتها اذا كانت غريبة عن ثقافة المجتمع .

د . ربحي : ان المدخل البيئي من المداخل السليمة المقبولة في عمليات التغيير الاجتماعي — ففي المجال الاداري مثلا لا نستطيع ان نستورد أنظمة ادارية من بلدان غريبة عنا وتختلف بيئتها عن بيئتنا . فالنظام الغريب قد يكون سليما ومقبولا في البيئة التي نشأ فيها واستخدم فيها ولكنه لا ينجح بالضرورة في بلادنا . وبالتالي يجب تطويره وتكييفه ليتماشى مع ثقافتنا وبيئتنا .

د . كامل : ان هذا الموضوع هلم جدا ، وهنا فالتني اتسائل هل يجب ان نستورد ما يتماشى مع بيئتنا وثقافتنا فقط ؟ . انا اعتقد انه يجب ان نخلق أنظمة عربية أصيلة من تراثنا وان نطوع ما نستورده ، ولكن يجب ان نحاول تغيير بعض قيمنا وعاداتنا اذا كانت لا تتماشى مع متطلبات التقدم والتطور .

د . مري : يتطلب النمو ان تتفاعل مع الثقافات الأخرى دائما ، لا يجوز ان نغلق الباب على أنفسنا ونرفض كل ما يأتي من الخارج دون تمييز .

د . كامل : يبقى سؤال أساسي وهو : ما هي استراتيجيات التغيير ؟ بمباراة أخرى ، ما هي الطرق والاساليب التي يمكننا ان نستخدمها في احوال التغيير وتبنيه ؟

د . ربحي : هنالك ثلاث استراتيجيات للتغيير ، وهي : اولا ، الاستراتيجية العلمية المنطقية (Empirical - Rational) وهي تقوم على اساس الحقائق الموضوعية المجردة والمنطق العقلاني الرشيد . وهي تفترض ان العدو الرئيسي للتغيير هو الجهل والخرافات ، وبالتالي فان التغيير يقوم على اساس الدراسات العلمية والحقائق الموضوعية . ثانيا ، الاستراتيجية الموجهة المتفعة (Normative - Re - educative) وهي تقوم على اساس توعية الأفراد وتثقيفهم وتغيير اتجاهاتهم بحيث تكون ايجابية وتقبل التغيير وتؤمن به وتدعمه . وهناك أيضا استراتيجية ثالثة تقوم على العنف والقسر (Power - Coercive) وهي تقوم على اساس القوة والتغيير باستخدام كافة الاساليب سواء كانت مقبولة من قبل الناس أم لا ، أي ان التغيير يفرض على الناس وينفذ بالقوة ويقضي على كل اشكال المقاومة . وفي رأيي فان هذه الاستراتيجية الثالثة غير مقبولة لانها لا تضمن ولائ الناس ودعمهم للتغيير .

والأفضل هو المزج بين الاستراتيجية الأولى (العلم) والثانية (التوعية) .

د . سري : ترتبط هذه الاستراتيجيات بفرضية رئيسية وهي . ما هو الحق ؟ . في بعض المجتمعات الحق للدين وما ذكره الله على لسان الأنبياء . وفي مجتمعات أخرى فإن الحق موجود ويجب علينا أن نبحث عنه ، وبالتالي يجب أن يكون عندنا حرية فكر وحصانة حتى نتوصل للحق . وفي مجتمع ثالث فإن الحق يكون ما كتبه كارل ماركس كالاتحاد السوفياتي .

د . كامل : ما رأي الدكتور سعيد ؟

د . سعيد : اعتقد أن الاستراتيجية المناسبة لأحداث التغيير في مجتمعنا العربي يجب أن تكون محصلة للاستراتيجيات الثلاثة التي ذكرها الدكتور ربحي الحسن وهي استخدام العقل والمنطق واستخدام التوجيه والإرشاد واستخدام السلطة على أن يكون استخدام كل جانب من هذه الجوانب في إطار مبادئ وأسس وأهداف التغيير . فعلى سبيل المثال ، إذا أراد المجتمع أن يطور الخدمات الطبية ووجد أن من المصلحة تأميم هذه الخدمات فإن الاستراتيجية التي تنبع والتي هي محصلة الاستراتيجيات الثلاثة المذكورة تترجم على الصورة التالية من ناحية عملية :

أولاً : يوضح من خلال المنطق والعقل أهمية تأميم الخدمات الطبية وضرورتها من أجل تحسين الخدمات الطبية في المجتمع ورفع كفاءتها ومنع الاستغلال والاحتكار واللااخلاقية فيها .

ثانياً : يدعى الناس ويوجهوا من خلال وسائل الإعلام المختلفة إلى مزايها وفوائد تأميم الخدمات الطبية .

ثالثاً : توضع التشريعات المناسبة التي تمنع المعارضين لهذا الرأي من التغيير ولأولئك الذين يحاولون تفشيله لأغراض مختلفة .

د . سري : من الصعب قبول الاستراتيجيات الثلاث معاً ، فالمعتلانية تدخل تضارباً بين الناس ، ما يقبله البعض يرفضه الآخرون ، وبالتالي فإنه لا يوجد اتفاق عام على ما هو منطقي وعقلاني بين الناس .

د . سعيد : أنني أتكلم عن عقلانية الجماعة التي تتولد نتيجة النقاش والحوار .

د . سري : الديمقراطية تعني أن رأي الأغلبية يسود ولكن مع الحفاظ على حق الأقلية في المعارضة . وبالتالي قد لا يوجد إجماع حول التغيير .

د . كامل : سوف الخص بعض الخطوط الرئيسية ، ومنها : ان يكون التغيير شاملا لكافة القطاعات كي لا يحدث عدم اتزان بينها ، وكذلك الحاجة الى تطوير فكر وطني عربي يجمع بين الاصالة والمعاصرة ، والنقطة الثالثة تركيز على أهمية دور المثقف في تطوير مثل هذا الفكر وعلى دور الدولة في دفع عجلة التغيير ، كذلك ان هناك تركيزا على الدراسة العلمية الدقيقة لوضعنا واستخدام المنطق والعلم في التخطيط الموجود ، واخيرا لا بد من مساندة المؤسسات التربوية والتعليمية والاعلامية لتلمب دورها في تثقيف الناس وتوعيتهم وجعلهم يقبلون التغيير ويدعمونه .

وفي الختام اشكركم ايها السادة واشكر مجلة العلوم الاجتماعية التي اتاحت لنا هذا اللقاء .

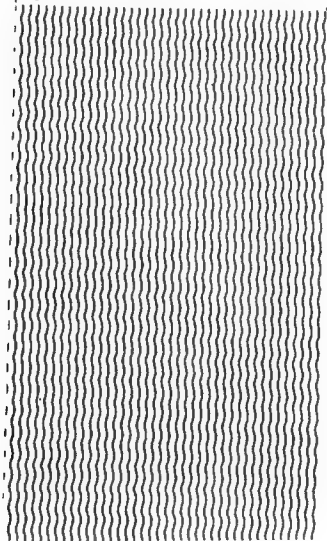


مجلة العلوم الاجتماعية

تصدر عن جامعة الكويت

- مجلة اكاڤيمية فصلية مختصة بالشئون النظرية والتطبيقية في كافة حقول العلوم الاجتماعية ، وتشر مادتها بالعربية والانجليزية .
- تربطها صلات اكاڤيمية باساتذة ومختصين في كل ارجاء الوطن العربي ، ويساهم في مادتها ويقتنيها اساتذة وقراء في كل من : اندونيسيا — باكستان — الهند — اليونان — تركيا — انجلترا — امريكا — كندا — الاتحاد السوفياتي — اليابان — ايطاليا — المانيا — فرنسا — الدانمارك — السويد — استراليا .

مراجعات بالعبرية



د . توميق فرح وميصل السالم ، مقدمة في طرق البحث في العلوم الاجتماعية (الكويت : المطبعة المصرية ، ١٩٧٧) ، ١٩٥ صفحة .

د . عبد الله أبو عياش *

هذا الكتاب كما يصفه المؤلفان محاولة لمد ثغرة في مناهج البحث في العلوم الاجتماعية . يتكون الكتاب من عشرة فصول بالاضافة الى الملاحق . ويمكن استعراض محتويات فصول الكتاب ليتسنى لنا تكوين فكرة عامة عن محتوياته .

نالفصل الاول عبارة عن موضوعات عامة عولجت بشكل سريع ومختصر . ويتضمن الفصل موضوعات عن المعرفة والعلم وطرق الحصول عليهما . ويشير المؤلفان الى ثلاث طرق للحصول على المعرفة . المعرفة عن طريق الحس المشترك . والمعرفة من المراجع المتخصصة ، والمعرفة الفلسفية . من النقاط الاخرى التي عالجها الفصل تعريف لمعنى البحث العلمي وكيفية تكوين النظريات والقوانين ، واهداف استخدام الابحث سواء كانت اجنبية او اقتصادية او سياسية ، وسواء كانت من اجل مصالح عامة او مصالح شخصية .

اما الفصول الاربعة التالية وهي الفصل الثاني والثالث والرابع والخامس فقد خصصت لموضوعات تتعلق بخطوات البحث العلمي . نالفصل الثاني يتبدى بمناقشة مشكلة البحث وكيفية اختيارها وتحديدها . ويعالج الفصل اربعة موضوعات رئيسية وهي اختيار مشكلة البحث ، والامكانات المتوفرة ، لاستقصاء عناصر المشكلة ، وكيفية معالجة المشكلة ، ثم علاقة المشكلة بما كتب ونشر عما يماثلها في الابحث والدراسات المنشورة .

ولهذا يتضمن الفصل ارشادات لمجموعة من المصادر التي تحتوي على ابحاث منشورة يمكن أن يكون لها علاقة بالمشكلة المطروقة .

ويبحث الفصل الثالث موضوعات تتعلق بتصميم تجربة البحث ووضع الفرضيات والتعريفات الإجرائية . كما يتضمن هذا الفصل المقاييس المختلفة

* استاذ الجغرافيا بكلية الآداب في جامعة الكويت .

المستخدمة في أبحاث العلوم السياسية . وخصص الفصل الرابع لمناقشة موضوع العينات وكيفية اختيارها . ويركز الفصل على خطوات اختيار العينات بالطريقة العشوائية التي تعني اعطاء الفرصة لكل مفردة من مفردات المجتمع الاحصائي ان يقع عليه الاختيار بنفس الاحتمال الذي يعطى لبقية الافراد . ويشير الفصل في هذا المجال الى العينة العشوائية الطبقية والعينة المساحية . ومن الموضوعات الاخرى التي عولجت في هذا الفصل نظرية الاحتمالات واهميتها في انتقاء العينات واستخدام مستويات الدلالة ومستويات الثقة الاحتمالية لاختبار الفرضيات .

ويتضمن الفصل الخامس خطوات البحث العلمي المتعلقة بجميع البيانات عن طريق الاستبيان والمقابلة . ويوضح المؤلفان طريقة اعداد الاستبيان وخاصة فيما يتعلق بكيفية صياغة الاسئلة ، ثم اختبار مبدئي للاسئلة قبل المباشرة بعملية الاستبيان الشاملة . كما يعالج المؤلفان مشاكل الاستبيان ، ومنها تردد الاشخاص في الاجابة اما لاسباب شخصية او اسباب اخرى اجتماعية او سياسية . بالاضافة الى ذلك يشير الفصل الى نوعين من الملاحظة العلمية : الملاحظة بالمشاركة والملاحظة بدون مشاركة . من الموضوعات التي اثير اليها ايضا تحليل المحتوى واختيار عينات الوحدات .

وبعد ان ينتهي المؤلفان من خطوات البحث العلمي ينتقلان الى مناقشة الاساليب الاحصائية في الثلاثة فصول التالية . فالفصل السادس خصص للاساليب الاحصائية المتعلقة بمتغير واحد . وهذه الاساليب هي التوزيعات التكرارية ومقاييس النزعة المركزية ومقاييس التشتت . ومقاييس النزعة المركزية التي اثير اليها في هذا الفصل هي المتوسط والوسيط . اما مقاييس التشتت فتركزت على المدى والتباين والانحراف المعياري .

اما الفصل السابع فقد خصص للاساليب الاحصائية المتعلقة بوصف العلاقة بين متغيرين . والاسلوب الرئيسي الذي عولج في هذا الفصل هو الارتباط . وعلى الرغم من ان هناك طرق مختلفة لقياس معاملات الارتباط ، الا ان الاهتمام الوحيد لهذا الفصل كان على اسلوب ارتباط الرتب . كما ان هناك اشارات سريعة الى الارتباط الجزئي والى اسلوب الاتحاد .

ويتضمن الفصل الثامن النوع الثالث من الاساليب الاحصائية وهما تحليل العامل وتحليل السلاسل الزمنية . والموضوعات الرئيسية المعالجة في هذا الفصل عبارة عن تعريفات عامة للمعادلة الرئيسية في تحليل العامل ، والعوامل المشتركة والمنفردة والتدوير المتعاود للعوامل ، ثم اتجاهات التفيرات في السلاسل الزمنية .

ويعني الفصل التاسع بأهمية الكمبيوتر في ابحاث العلوم السياسية . ويعطي أمثلة للغات المستخدمة في التعامل مع الكمبيوتر . كما يبين أهمية البرامج الجاهزة التي لا يحتاج استعمالها معرفة بأي لغة من لغات الكمبيوتر . ويذكر المؤلفان أن أوسع البرامج استخداما في العلوم السياسية هي ما يطلق عليها (SPSS) .

لما الفصل الأخير فهو عبارة عن إرشادات عامة عن خطوات كتابة البحث . وتتضمن هذه الخطوات مشكلة البحث ، والفرضيات الرئيسية والتعريفات الإجرائية . كما يتضمن العينة والنتائج وتفسيرها .

تقييم ونقد

ليس من شك في أن المكتبة العربية بحاجة إلى المزيد من الكتب المنهجية الخاصة بالبحث العلمي . وليس من شك في أن مستوى البحث في الجامعات العربية ما زال دون التطلعات الأكاديمية المطلوبة بكثير . وهذا الكتاب ليس إلا محاولة لأعطاء طلبة العلوم السياسية طريق البحث العلمي الصحيح . وقد قدم الكتاب موضوعات مهمة في مجال البحث العلمي . ومن المؤكد أن مثل هذه الموضوعات مفيدة بل وضرورية لتوجيه الطلبة في محاولاتهم لكتابة الأبحاث المطلوبة .

وأعتقد — حسب رأيي الشخصي — أن الكتاب عبارة عن محاضرات تم تجميعها بشكل سريع . ويبدو أن عامل الزمن ورغبة المؤلفان في إخراج الكتاب بأسرع وقت ممكن ليكون في متناول الطلبة كنا مسؤولين عن تسرعهما في طبع هذا الكتاب . ولهذا ظهرت في الكتاب نواقص ، وحدث في بعض الأحيان الأخطاء خلط بين المواضيع . فعلى سبيل المثال ، يتوقف المؤلفان في خطوات البحث العلمي عند المقابلة والاستبيان ، ولا يشران إلى الخطوات الأخرى المهمة والمكملة للبحث العلمي وهي تفرغ البيانات وتنظيمها بعد الاستبيان ، ثم تحليلها بالأساليب الإحصائية المختلفة ، ثم تفسير نتائج التحليل . وعلى الرغم من أن المؤلفان أعطيا ثلاثة فصول للأساليب الإحصائية التي هي أساس عملية التحليل العلمي الحديث ، إلا أنهما أغفلا الخطوات المشار إليها .

كما أن هناك خلط في بعض الفصول كما هو في الفصل الرابع حيث يناقش المؤلفان العينات ، ثم يقفز إلى مقاييس الثقة التي هي في الحقيقة اختبارات مستويات الدلالة أو المعنوية (Tests of Significance) كما هي مستخدمة في كتاب الإحصاء .

كما أن هناك إشارة إلى مربع كاي (Chi - Square) بدون أدنى محاولة لتوضيح المقصود من هذا (ص ٦٢) .

أما في معالجة الأساليب الاحصائية فاعتقد أن المؤلفان إما حولا تبسيط الموضوعات فلم يذكرا إلا القليل ، أو أن الموضوعات أكبر من قدرتيهما ، وفي كلتا الحالتين وضعا هذه الفصول في ملزق . وبالإضافة إلى إهمال بعض الأساليب كالنوال في مقاييس النزعة المركزية والانحراف الربيعي في حالة مقاييس التشتت ، فإن بقية الموضوعات لم تكن واضحة بما فيه الكفاية . كما أنها تفتقر إلى الأمثلة التوضيحية .

ويتضح المزيد من الخلط في الفصل السابع حيث تعالج أساليب الارتباط . والأسلوب الوحيد من أساليب الارتباط المستخدمة هو ارتباط الرتب . ويذكر المؤلفان أن هذه الطريقة هي أهم الطرق المستخدمة ، على الرغم من أن هناك أساليب أخرى مستخدمة بشكل أوسع مما هو في حالة الرتب . وحتى ارتباط الرتب فإن طريقة استخدامه غير واضحة (ص ٩٨ — ١٠٠) . ثم يناقشان الارتباط الجزئي والانحدار ، والحقيقة أن الارتباط الجزئي هو موضوع آخر يرتبط بأسلوب الانحدار وهو يختلف تماما عن فكرة معامل الارتباط .

وعندما يتحدث المؤلفان عن الانحدار والارتباط فانهما يخلطان بين الأسلوبين رغم وجود تشابه بينهما . يقول المؤلفان : « يستعمل حساب الانحدار للانحدار من الارتباط في التنبؤ . وحساب الانحدار لا يختلف كثيرا عن حساب الارتباط البسيط إلا في احتوائه على عدد من المتغيرات . إلا أن معادلة الانحدار المتعدد قد أساء استعمالها في العلوم السياسية ... » (ص ١٠٨) . والحقيقة أن الانحدار لا يستفيد من الارتباط في التنبؤ ، لأن علاقة التنبؤ Prediction في حالة معادلات الانحدار هي علاقة دالية . وهي ليست كذلك في حالة الارتباط . كذلك فإن الارتباط يمكن أن يحتوي على عدة متغيرات في آن واحد كما هو الحال في الانحدار .

أما بالنسبة لتحليل العامل ، فكل ما ذكر عنه لا يكفي لتكوين فكرة عامة عن ماهية أو أهداف هذا الأسلوب الاحصائي .

أن مثل هذه الإشارات العابرة والسرعة في تجميع محتويات الكتاب أربكتنا موضوعاته وسببتا مثل هذه النواقص . ولا بد أن يعير المؤلفان الاهتمام إلى مثل هذه الملاحظات في طبعات الكتاب القادمة .

وعلى الرغم من هذه الانتقادات التي يمكن أن توجه لكثير من الكتب العملية ، فإن أحدا لا يستطيع أن يغفل الجهد المبذول في هذا الكتاب . كما أن أحدا لا يستطيع أنكار أهمية الموضوعات التي عالجها والحاجة الماسة إليها في البحث العلمي في الجامعات العربية .

د . محمد عزيز شكري ، **الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية** (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٧٨) وعدد الصفحات ٢٥٠ .

مراجعة د . محمد يوسف علوان ❊

صدر أخيراً عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت كتاب بعنوان « **الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية** » من تأليف الدكتور محمد عزيز شكري أستاذ القانون الدولي العام في جامعتي دمشق والكويت . والمؤلف معروف في الأوساط العلمية العربية بمؤلفاته وبحوثه في القانون والتنظيم الدوليين . ولذا فإن عنايتنا تنصب في هذه المراجعة على إبراز قيمة الجهد العلمي الأخير الذي ضمنه المؤلف كتابه في موضوع الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية .

يقع الكتاب في مائتين وخمسين صفحة ويحدد المؤلف قبل كل شيء إطار البحث الذي يعده فيتناول اشكال التعاون بين الدول . غير أنه يقصر دراسته على التكتلات والأحلاف الدولية . ويمكن الفرق بينهما في أن الحلف عادة هو تجمع ذو أغراض عسكرية سياسية بالدرجة الأولى ، في حين أن التكتل كتعاقد يستهدف التعاون في الشؤون السياسية والاقتصادية . ومن ناحية أخرى فإن التحالف كتعاقد لا بد أن يستند إلى معاهدة دولية بالمعنى الدقيق ولا بد أن يكون له هيئات تسهر على حسن تنفيذ بنود هذه المعاهدة بعكس التكتل الذي لا يشترط فيه بالضرورة مثل ذلك . ومعنى ذلك أن الحلف لا بد أن ينشأ عنه منظمة دولية بالمعنى الدقيق وذلك على خلاف التكتل . ولعل الذي جعل المؤلف يتبنى هذا المفهوم هو كلفة عدم الانحياز التي لم ينشأ عنها منظمة دولية بالمعنى الدقيق للاصطلاح .

ويدور محور الدراسة حول الأحلاف أما التكتلات فلا يعرض لها المؤلف إلا على سبيل المقارنة لاستكمال صورة التجمعات الدولية القائمة . وهنا لا بد أن نلاحظ أنه يفهم من عنوان الكتاب أنه يتناول الأحلاف والتكتلات الدولية بنفس القدر ودونها تمييز ، في حين أن دراسة الأحلاف هي الهدف الرئيسي للمؤلف . وحجذاً لو كان عنوان الكتاب معبراً عن هذه الحقيقة .

❊ أستاذ القانون الدولي العام المساعد في الجامعة الأردنية .

لما بالنسبة لاسلوب البحث فقد أراد الكاتب مؤلفه ان يكون دراسة تحليلية مقارنة لا تفصيلية وصفية . وهو يحاول من خلال هذا الاسلوب ان يتوصل الى نظرية عامة للأحلاف يمكن تطبيقها على الحالات التفصيلية . ولهذا الغرض يتناول الكاتب في فصل تهديدي نظرية الاحلاف الدولية . ثم يقسم الدراسة بعد ذلك الى ثلاثة ابواب هي على التوالي : الاحلاف العسكرية الدولية والتكتلات الدولية وأخيرا الاحلاف والتكتلات في السياسة العالمية .

وفي الفصل التمهيدي يورد الكاتب عدة تعريفات للأحلاف يخلص منها الى ان الاحلاف قديمة قدم انشطار العالم الى كيانات سياسية تصطارع على القوة والنفوذ . كما ان اختيار دولة ما لطريق الاحلاف ليس مسألة مبدأ وانما مسألة ملامة . فالتحالف يتطلب وجود مجموعة مصالح مشتركة لقيامه . ولكن هذه المصالح المشتركة ليست دائمة او مطلقة . اذ هناك عدد من الاحلاف التي يلقى طرف واحد منها حصة الأسد من المنافع في حين يتحمل الأطراف الآخرون ثقل الامباء . وليس غريبا والامر كذلك ان يحذر سياسي مثل ميكائيلي الدول الضعيفة من الانخراط في الاحلاف مع دول كبرى الا بدافع الضرورة الملحة . ولكن ليس معنى ذلك ان الدولة الضعيفة في الحلف ليس امامها دائما الا الخضوع للدولة الاقوى . والاحلاف العامة عادة مؤقتة ومعظمها يسود وقت الحرب وبمجرد انتهاء المعارك يفسح المجال للمصالح الفردية المتعارضة للدول الحليفة سابقا . وكلما تحددت المصالح المشتركة لأعضاء الحلف وضاق نطاقها كلما كانت فرص استمرار التحالف أكبر . والاحلاف على هذا الاساس فعالة او غير فعالة وناجحة او فاشلة . فكثير منها بقي مجرد حبر على ورق ومن بينها الحلف العربي المعروف بمعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي لعام ١٩٥٠ . وتظهر فعالية التحالف عندما يوضع موضوع التحدي الحقيقي في التصدي للعدو الذي أقيم ضده .

ولا تنشأ الاحلاف من فراغ . فالدول كما يقول ادواردز « تشكل حلفا عندما تواجه تغييرا جديدا ومهددا في الوضع العسكري . وتحاول الدولة السيطرة فيها طرقا جديدة لتدعيم مركز قوتها في مواجهة الخصم ومركز نفوذها على حلفائها اذا تعرض احد المركزين للخطر . بعد ذلك يعرض المؤلف لتطور الاحلاف او لدورة حياة الاحلاف فيقول ان الدولة المسيطرة في الحلف ستسعى لزيادة عدد الدول الداخلة فيه . كما انه عبر الزمن تطرا تغييرات هامة على الاحلاف اذا لم تكن في الشكل الرسمي للعضوية ففي درجة التزام الاعضاء بدعمها على الاقل . ويعرض المؤلف بعد ذلك لاهم آثار الاحلاف .

نفسابق التسلح بين الدول في غياب الاحلاف قد ينقلب الى تسابق للتسلح بين الاحلاف نفسها . وليس ادل على ذلك من سبق التسلح بين حلفي الاطلسي ووارسو .

وقبل أن يختم الفصل التمهيدي يتناول مسألة انتضاء الاحلاف التي تأخذ عدة أشكال رسمية وواقعية . وبعد هذه المقدمة في نظرية الاحلاف يدخل المؤلف في جوهر موضوع الكتاب وهو الاحلاف والتكتلات الدولية في واقعها العملي . ويتعرض الباب الاول من الكتاب والمعنون « **الاحلاف العسكرية الدولية** » تباعا الاحلاف العسكرية الغربية والاحلاف العسكرية الشرقية وأخيرا الحلف العربي . والحق أن الباب الاول من الكتاب عبارة عن دراسة وصفية للاحلاف والتكتلات لا تخرج عما هو مألوف في دراسات القانونيين للمنظمات الدولية . أما الاحلاف العسكرية الغربية التي يعرض لها الكتاب فهي حلف شمال الاطلسي وحلف جنوب شرق آسيا وحلف المعاهدة المركزية .

ويعتبر **حلف وارسو** او معاهدة المساعدة المتبادلة بين الدول الامريكية لعام ١٩٤٧ أقدم حلف عسكري في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . واستهدفت أمريكا من وراء انشائه بسط نفوذها على دول القارة الامريكية واطلاق يدها في التدخل في الشؤون الداخلية فيها كما حدث في الدومنيكان عام ١٩٦٥ وقبلها في غواتيمالا . ويلاحظ أنه ليس لهذا الحلف قيادة عسكرية او قوات خاصة تحت تصرفه كما هي الحال بالنسبة لبعض الاحلاف الاخرى . وحيث أن جيش الولايات المتحدة الامريكية هو المؤهل أكثر من غيره للقيام بهذا الدور فإنه يمكن القول أن الحلف ليس الا وسيلة لتمكين هذه الدولة من بسط نفوذها على القارة بشطريها والدفاع عن أنظمة دول القارة العميلة لها . وبعد ذلك ينتقل المؤلف الى **حلف معاهدة شمال الاطلسي** لعام ١٩٤٩ . وعن الخلفية التاريخية للحلف يثير مسألة التراث المشترك بين أوروبا وأمريكا واشتداد الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي وازدياد النفوذ السوفييتي في أوروبا . أما الدول الاعضاء في حلف الاطلسي فهي على خلاف ما يوحي بها اسمه يطل بعضها على الاطلسي وبعضها لا يطل .

ويستعرض المؤلف أهداف الحلف من خلال معاهدة حلف الاطلسي التي اكدت المادة الخامسة منها على أن أي عدوان مسلح يقع على دولة من دول حلف الاطلسي يعتبر عدوانا ضد كل الدول المتحالفة . وتطبيقا لهذا النص كانت الجزائر أثناء حرب التحرير هدفا لعدوان الحلف . وحول استراتيجية الحلف وتطوراتها يذكر المؤلف أن الحلف لم يحقق التكامل الذي يمتنّده البعض . فالإشراف على القوات الوطنية التابعة لدول الحلف لا يزال تحت السيادة

الوطنية للدول الاعضاء كما ان استخدام الاراضي في اقاليم دول الحلف ما زال يحتاج لموافقة الدول المعنية . وتخضع الاسلحة النووية لرقابة الولايات المتحدة الأمريكية دون غيرها من دول الحلف . ولعل ذلك هو الذي حدى بالجنرال ديغول الى الانسحاب من القيادة العسكرية للحلف عام ١٩٦٦ . ويؤكد المؤلف ان اسلحة حلف شمال الاطلسي لم تستخدم عمليا الا في تدعيم الاستعمار وقمع الحركات الثورية .

اما الحلف الغربي الثالث فهو حلف جنوب شرق آسيا او حلف ماتيلان لعام ١٩٥٤ . وتبدأ الخلفية التاريخية له مع ظهور الصين الشعبية كقوة متنامية وخوف امريكا من المد الشيوعي في منطقة جنوب شرق آسيا . وهدف الحلف كما هو الحال في غيره من الاحلاف اعتبار الاعتداء المسلح على احدى الدول الاعضاء في المعاهدة وكنهه موجه الى كل دول الحلف .

هذا ولم تعد امريكا تطلق على الحلف اهمية كبرى بعد ازدياد التفاهم بينها وبين الصين الشعبية . والحلف الرابع من الاحلاف الغربية التي يعالجها المؤلف هو حلف المعاهدة المركزية او حلف بغداد سابقا (١٩٥٥) . وقد وجد هذا الحلف كغيره من الاحلاف الغربية لمواجهة ما يسمى بالخطر الشيوعي في منطقة الشرق الاوسط . والدول الاعضاء فيه هي ايران وباكستان وتركيا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة بشكل او آخر . اما العراق فقد انسحبت منه في اعتاب ثورة عام ١٩٥٨ . وقد فشلت كل المحاولات لضم مصر وسوريا وغيرها من الدول العربية الى الحلف . والفرض من الحلف هو الدفاع عن امن وسلامة الاطراف المتعاقدة . ولكن حلف بغداد كغيره من الاحلاف الغربية باستثناء الحلف الاطلسي قد تحول من حلف عسكري الى أداة للتنسيق والتشاور السياسي بين الدول الاطراف فيه . وبذلك يخلص المؤلف من دراسة الاحلاف العسكرية الغربية الجماعية وينتقل الى احلاف الكتلة الشرقية .

ويلاحظ المؤلف بادئ ذي بدء ان الحلف العسكري الجماعي الوحيد الذي انشأته الدول الاشتراكية هو حلف وارسو وذلك على خلاف الامر بالنسبة للاحلاف العسكرية الغربية . وظهر الحلف الى حيز الوجود عام ١٩٥٠ اي بعد انشاء حلف الاطلسي بست سنوات . والدول الشيوعية التي لا تقع في أوروبا لم تنضم الى الحلف . ولحلف وارسو كما هو الحال بالنسبة للحلف الاطلسي توات خاصة به نقل المؤلف تقديرا لها كما جاء في احصائية لمعهد الدراسات الاستراتيجية ومجلة تليم وصحيفة لورو الفرنسية . والواقع ان هذه

الاحصائيات الغربية المتطرف بعضها في يمينته (لورور) لا يمكن الاعتماد عليها
تماما . ومع ذلك فان المؤلف يقول ان هناك من الالة المتوفرة من مصادر
متعددة ما يؤكد تقدم اسلحة وعتاد حلف وارسو في اية حرب تقليدية .

واخيرا فان حلف وارسو كحلف الاطلسي لم يستخدم حتى الان في عمليات
عسكرية من النوع الذي اتشئء من اجله . واقتصر دورهما على تدخل
الدولتين الاعظم في الشئون الداخلية للدول الاعضاء . ويتناول المؤلف في نهاية
باب الاخلاف ما يسميه بالحلف العربي الذي لا يعدو كونه اتفاقية الدفاع
المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة العربية التي أبرمت عام ١٩٥٠
في أعقاب هزيمة الدول العربية عام ١٩٤٨ في فلسطين . ووفقا للاتفاقية فان كل
اعتداء مسلح يقع على اية دولة او اكثر من الدول المتعاقدة على قواتها يعتبر
اعتداء عليها جميعا .

وفي تقويم هذا الحلف يمكن ان نقرر مع المؤلف انه ظل على هامش
الاحداث منذ انشائه حتى الان وذلك على الرغم من الاحداث والحروب التي
جرت في المنطقة . فقد بقي الحلف عبارة عن حبر على ورق وبقيت فكرة الدفاع
الجماعي العسكري عن الاقطار العربية في ذهن كل عربي دون ان ترجمها
الانظمة العربية الى واقع عملي ملموس . كما ان اتفاقات الدفاع المشترك
العربية الثنائية لم تكن اكثر حظا من اتفاقية الدفاع المشترك العربية الجماعية
السابقة .

وفي الباب الثاني المعنون « التكتلات الدولية » يعالج المؤلف التجمعات
والتكتلات الدولية التي تامت في رايه كردة فعل لتلك الاخلاف . وينقسم هذا
الباب الى فصلين يعالج المؤلف في الاول منهما كتلة عدم الانحياز في حين يخصص
الفصل الثاني لمنظمة المؤتمر الاسلامي وفي دراسته لكتلة عدم الانحياز يعالج
المؤلف الخلفية التاريخية للكتلة . ويشير في هذا الصدد الى اختلاف الكتاب حول
تاريخ الحياذ الايجلي او ما اسمى فيما بعد ذلك بفكرة عدم الانحياز . فعلى
حين يرجع بعض الكتاب ذلك الى مؤتمر باتدونغ (١٩٥٥) يرجعها آخرون الى
تصريحات سبقت المؤتمر وصدرت عن نهرو وغيره من السياسيين .

هذا ومنذ ظهور سياسة عدم الانحياز اتخفت الكتلتان العملاقتان موقف
المعارضة والاستفكار لها . فعلى حين وجد فيها دالاس نوعا من اللااخلاقية
وجد فيها السوفيات تبعية جديدة للاستعمار . غير ان حملة الكتلتين الشرقية
والغربية على كتلة عدم الانحياز قد خفت فيما بعد بل انها اختفت في الوقت
الحاضر .

وتقوم سياسة عدم الانحياز على عدة مبادئ تصدّدت في المؤتمر التحضيري لقمة بلغراد الذي انعقد في القاهرة عام ١٩٦١ وأهمها عدم الانضواء في حلف عسكري جماعي تم في نطق الدول الكبرى ، وعدم إبرام اتفاقيات ثنائية مع الدول الكبرى . ويذكر المؤلف أن هذا المبدأ فقد كثيرا من أهميته وخاصة حين أبرمت ثلاث دول غير منحازة هي مصر والهند والعراق اتفاقيات ثنائية مع دولة كبرى هي الاتحاد السوفياتي . وقد كان يجدر بالمؤلف أن يحدد نوع الاتصالات الدولية التي تبرمها دول عدم الانحياز مع الدول الكبرى والتي من شأنها المساس بعدم انحيازها . فمن الواضح أن هناك اتفاقيات لا تنس من قريب أو بعيد بسياسة عدم الانحياز . ويلاحظ أنه لم ينشأ عن كتلة عدم الانحياز منظمة دولية بالمعنى الدقيق للاصطلاح ، وهو ما كانت تدعو اليه يوغسلافيا ورفضته أغلبية الدول غير المنحازة .

ويعرض المؤلف لتطور الكتلة من خلال مؤتمراتها في القاهرة عام ١٩٦٤ ولوسلكا عام ١٩٧٠ والجزائر عام ١٩٧٢ وكولومبو عام ١٩٧٦ . وفي مستقبل كتلة عدم الانحياز يشير المؤلف الى أن عددا من دول اسيا وأفريقيا لم تستطع أن تنأى بنفسها عن صراعات القوى التي تمارسها التكتلات العملاقة ومنها الاحلاف . كما أن بعض هذه الدول قد أقدمت على الاستعانة بالقوى الكبرى لدعم مواقفها من صراعات اقليمية ومحلية . ومن الملفت للنظر أن المؤلف يسوق كأمثلة على ذلك اعتماد مصر في ظل الرئيس الراحل عبد الناصر على الاقتصاد السوفياتي في حين أنه لا يشير من قريب أو بعيد الى علاقتها الحالية بالولايات المتحدة الأمريكية .

ويلاحظ أنه في الوقت الذي يتم فيه الآن اعداد المؤتمر جديد للكتلة فإن أغلب الظن أن الخلافات بين اعضاءها ستتضاعف وخاصة في مسألة تطلق عليها مصر وغيرها من الدول العربية التي تسمى نفسها غير منحازة الوجود السوفياتي في القارة الافريقية . وبعد ذلك ينتقل الكاتب الى الكتلة الاسلامية ويورد احصائيات بعدد المسلمين في العالم وفي عدد من الدول يستدل منها على أن الاسلام يشكّل الديقة المساوية الثانية بعد المسيحية بكل مذاهبها مجتمعة . ويبرز المؤلف النزعة العالمية للشريعة الاسلامية واتجاهها الى أن تكون مجتمع انساني واحد . ويعرض لاهم محاولات التجمع الاسلامية في القرن العشرين وهي المؤتمر العالمي الاسلامي والمؤتمر الاسلامي والمؤتمر الاسلامي العام ورابطة العالم الاسلامي والاتحاد الاسلامي العالمي والمنظمة الاسلامية الدولية . والواقع أن هذه الهيئات — خلافا لما ذكره الكاتب — لا تعتبر منظمات دولية . بل أن الكاتب عاد وقال في موضع لاحق انها منظمات خاصة او شبه رسمية .

ويعرض المؤلف فيما بعد لمنظمة المؤتمر الاسلامي وهي المنظمة الاسلامية الوحيدة التي قامت على مستوى الدول والحكومات والتي كانت السعودية من اوائل الداعين لها . وقد تم اقرار ميثاق هذه المنظمة من قبل مؤتمر ملوك ورؤساء الدول الاسلامية المتعقد في جدة عام ١٩٧٢ .

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن بصدد العضوية في المؤتمر الاسلامي هو متى تعتبر الدولة اسلامية ؟ والواقع انه لا يوجد معيار حاسم في هذا الصدد . والمسألة ذات طبيعة سياسية محضة . فقد رفضت عضوية جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية لمدة طويلة وذلك بسبب اختلافها مع السعودية في حين أن دستورها صريح في النص على أن دين الدولة هو الاسلام .

وأخيرا فإن نجاح المنظمة في رأينا يعتمد الى حد كبير على الدول الغنية الاعضاء فيها وهي أساسا الدول العربية المصدرة للنفط . فإذا لم تقم هذه الدول بمسئوليتها في مساعدة الدول الاعضاء الاخرى فإن أي حديث عن التضامن بين الدول الاسلامية غنيها وفقرها يصبح ضربا من ضروب الخيال .

وفي الباب الثالث والاخير من الكتاب والمعنون « الاحلاف والتكتلات في السياسة العالمية » — وهو العنوان الذي اختاره المؤلف للكتاب ذاته — يبحث المؤلف أولا في موضوع **الاحلاف والتكتلات في نظر القانون الدولي** ومسدى مشروعية الاحلاف العسكرية القائمة الان في ضوء احكام ميثاق الامم المتحدة الذي يتناول بنص خاص (م/٥١) مسألة الدفاع الشرعي الفردي والجماعي . وحول المسألة الاخرى يقول المؤلف أنه لا خلاف على مشروعية الاحلاف القائمة في نظر القانون الدولي . غير أن بعض هذه الاحلاف اساء استخدام نص المادة السابقة من الميثاق . ويضيف أن المتتبع لنشاطات بعض الاحلاف وبالذات حلف وارسو يدرك مدى استخدام هذا النص في القيام بأعمال عسكرية معينة باسم التحالف . ومن الغريب أن يفرد المؤلف حلف وارسو دون حلف الاطلسي بهذا الحكم . كما أن اشارته لتدخل حلف وارسو في الجسر عام ١٩٥٦ ونسي شيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ لا تكفي في رأينا لتبرير الحكم السابق . ومع أننا لسنا مع مثل هذه التدخلات الا أنه كان يجدر ذكر المبررات القانونية التي قبلت في تدخل حلف وارسو في الحالتين والتي تستند بشكل خاص الى نصوص المعاهدة المنشئة للحلف ذاته .

لما بالنسبة للتكتلات الدولية غير ذات الطابع العسكري فمن المعروف أن الفصل الثامن من الميثاق يسمح بقيام هذه التكتلات الاقليمية بل ويشجع على ذلك . كما أن الميثاق نظم العلاقات بين هذه التكتلات الاقليمية وبين منظمة الامم

المتحدة في مجال حفظ السلم والامن الدوليين . وينتقل المؤلف بعد ذلك للبحث في الاخلاف والتكتلات بين فكرتي توازن القوى والامن الجماعي ويقول ان الاخلاف وجدت قبل فكرة الامن الجماعي الذي كتبت وسيلته الاولى عصبة الامم ثم حلت محلها الامم المتحدة . وعلى هذا فان ثمة علاقة وشيجة بين فكرة القوة في العلاقات الدولية وسياسة التوازن في القوى العالمية (التي تعتبر الاخلاف احدى ادواتها الرئيسية) وسياسة الامن الجماعي (التي تعتبر المنظمة الدولية ادارتها الرئيسية) . ولتوضيح ذلك يبين المؤلف دور القوة في السياسة المالية . وللتخفيف من سلبيات ظاهرة القوة ظهرت سياسة توازن القوى في العلاقات الدولية التي استمرت قرابة ثلاثة قرون تبدأ مع صلح وستاليا عام ١٦٤٨ . وجاءت عصبة الامم لتبتدع نظام الامن الجماعي الذي لم يستطع في واقع الامر ان يكون بديلا لتوازن القوى بل تعليق معها وان ظلت السيطرة لهذه السياسة الاخيرة .

ويخصص المؤلف دراسة خاصة لتنظيم الامن الجماعي في العلاقات الدولية الذي يقوم على فكرة جوهرية هي ان الهجوم على اية دولة لا بد وان يقابل بالقوة الجماعية المتكاملة للمجتمع الدولي كله . ويترجم الفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة نظرية الامن الجماعي كما رسمتها الدول المنتصرة . ويمقتضاه يتولى مجلس الامن الدولي تقرير ما اذا كان قد وقع تهديد للسلم او اخلال به او كان ما وقع يشكل عملا من أعمال العدوان . ومن ثم يقرر ما يجب اتخاذه من تدابير القمع التي قد لا تصل الى حد استعمال العنف او تتخذ شكل التدابير العسكرية . ولكن فكرة الامن الجماعي قد لاقى صعوبات في التطبيق اصبحت اهمها انها تستند على اتفاق الدول الخمس الكبرى وهو امر صعب المنال نتيجة للحق الذي كمله الميثاق لهذه الدول في النقض او الفيتو والامتياز لمجلس الامن الى شرطة دولية او جيش دولي .

ولذا فان فكرة الامن الجماعي كما رسمها ميثاق الامم المتحدة في الفصل السابع منه لم تطبق حتى الان وحل محلها دبلوماسية الردع عن طريق ما يعرف باسم قوات الطوارئ الدولية التي وجدت اول تطبيق لها في حرب السويس عام ١٩٥٦ . والواقع ان كافة التفاصيل التي اوردها المؤلف بخصوص فكرة الامن الجماعي تجد مكنتها المعتمد في مؤلفات القانون الدولي العام لا في مؤلف خاص بالاخلاف . والمسألة الثالثة التي يعالجها المؤلف في الباب الثالث « الاخلاف والتكتلات في السياسة العالمية » هي مسألة « دور الاخلاف والتكتلات في السياسة العالمية » . ومن الواضح ان المؤلف قد استخدم هذا العنوان لمؤلفه والبلد الثالث منه وللنصل الثالث من هذا الباب الاخير وهو امر كان

يحسن تجنبه . وعلى كل حال فإن المؤلف يعالج تحت هذا العنوان تطور العلاقات بين المعسكرين الغربي والشرقي منذ الحرب العالمية الثانية التي يقول فيها — كما قال الدكتور اسماعيل صبري مقلد — أنها مرت بمراحل أربع هي مرحلة الحرب الباردة ومرحلة الانتقال ومرحلة الانفراج ومرحلة الوفاق . ويستعرض المؤلف تباعا هذه المراحل . فالحرب الباردة استمرت بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٥٤ بعد انهيار التحالف الذي ضم العملاقين وحلفاءهما في صراعهما المشترك ضد القوى الفاشية والنازية واليابانية . وتأتي المرحلة الثانية « مرحلة الانتقال » أو بداية انكسار حدة المواجهة التي استمرت بين عامي ١٩٥٥ و ١٩٦٢ . وتجيء المرحلة الثالثة « مرحلة الانفراج » التي امتدت منذ عام ١٩٦٣ إلى عام ١٩٦٨ لتخلق انفراجا سياسيا في علاقات المعسكرين العملاقين من جهة وفي علاقات شطري أوروبا من جهة أخرى .

أما المرحلة الرابعة في العلاقات بين العملاقين فهي مرحلة الوفاق المستمر منذ عام ١٩٦٩ . وقد أسهمت عدة عوامل في الاعداد لهذه المرحلة وأهمها استمرار وتعاظم قوة التطور التقني الامر الذي دفع الدولتين الاعظم الى إبرام معاهدة الحد من الاسلحة الاستراتيجية في موسكو عام ١٩٧٢ ودفع الاتحاد السوفياتي الى الدعوة الى عقد مؤتمر عام للامن والتعاون الاوروبي عام ١٩٧٤ وإلى عقد عدة مؤتمرات قمة بين الزعماء الامريكيين والسوفيات ، اتفق خلالها على أنه لا بديل في العصر النووي للتعايش السلمي وتجنب المواجهات العسكرية وتحديد التسلح وتنمية التعاون بين الدولتين . كما أن التقارب الذي كان يحدث في العلاقات الامريكية الصينية كان يدعم الى حد بعيد سياسات الوفاق الدولي . وأخيرا أسهم التحول الكبير الذي طرأ على نظام القطبية الثنائية والذي انتهى الى ما يكاد يطلق عليه القطبية المتعددة الاطراف بدوره في بروز سياسة الوفاق . وأهم النتائج التي توصلت اليها سياسة الوفاق هذه احتواء عدد من الحروب المحلية التي كان ممكنا أن تتحول الى حروب عالمية مدمرة وأهمها الحرب الفيتنامية والحرب الهندية الباكستانية وحرب رمضان (اكتوبر) عام ١٩٧٣ .

ويستخلص المؤلف من دراسة هذه المراحل الأربع أن الاحلاف العسكرية ومثيلاتها من تكتلات كانت أداة مهمة من أدوات توازن القوى في ظل مرحلة الحرب الباردة وأن « هوس الاحلاف الذي عاصر تلك الفترة توقف مع انتقال العلاقات الى مرحلة انكسار المواجهة الحادة ثم مرحلة الانفراج بل انه مع دخول مرحلة الوفاق غدت الاحلاف أكثر انفتاحا على بعضها حتى أمكن جمع الشئتين في مؤتمر القمة الاوروبي » .

ولكن ليس معنى الوفاق أن الاحلاف العسكرية الكبرى المتضادة قد زالت من الوجود بل هي لازالت باقية . كما ان توتها لم تنقص بحال بل هي في ازدياد مضطرد . وفي خاتمة كتبه يعيد المؤلف الى الازهان خلاصة النتائج التي توصلت اليها الدراسة . ويهمننا ان ننقل بشكل خاص دعوة المؤلف للعرب للتحالف مع انفسهم اولاً ثم مع من تربطهم مصالح يحسن تقديرها ثانياً والا فلن يكون لهم — كما يقول — مكان في هذه المعمورة .

وأخيراً فلن نكتب « الاحلاف والتكتلات في السياسة العالمية » لمؤلفه الدكتور محمد عزيز شكري استاذ القانون الدولي العام في جامعة دمشق كتاب لا غنى عنه لجميع المهتمين بالحياة الدولية والعلاقات الخارجية للدول وطلاب القانون الدولي العام والعلوم السياسية . وحسبنا في هذا العرض ان نكون قد اوفينا المؤلف والكتاب حقهما وأبرزنا أهمية الموضوع الذي عالجه المؤلف بشكل واف بحيث ندفع القاريء المتخصص وغير المتخصص الى الاطلاع على هذا البحث العلمي الثمين .



د. هشام شرابي ، الجبر والرماد : أفكار مثقف عربي (بيروت : دار
الطلیعة ، ١٩٧٨) عدد الصفحات ٢٤٠ .

عرض وتحليل د. محمد رجب النجار *

(١)

« لا يعيش الفرد حياته الشخصية محسب ، بل حياة عصره وحياة جيله
ايضا » بهذه العبارة الدالة لتوماس مان يبدأ الكاتب — الدكتور هشام شرابي
— ترجمته الذاتية الموسومة بعنوان راي كذا ، هو « الجبر والرماد » فتكون
— هذه العبارة — هي الضوء الكاشف الذي نجوب معه أو نجول من خلاله
في عالمه الخاص بين دفتي كتابه ، الذي شاء له أن يأتي وثيقة فنية وتاريخية
شاهدة على حياة جيل بأكمله ، ومن هنا تكمن أهمية مثل هذا الكتاب . وإذا
كان الحديث عن الذات هو المحور الرئيسي لكتاب هدفه الترجمة الذاتية لصاحبه ،
فإن هذا لا يعني أنه قد تمحور حول هذه الدائرة « الشخصية » بل تجاوزها بعيدا
إلى دوائر « موضوعية » كثيرة ، دوائر حضارية واجتماعية وتربوية .. مثلما
تجاوز التعبير عن تجربته السياسية الفردية إلى تجربة جيله الوطنية والقومية .
في كل لا يتجزأ ، بل يصعب معه الفصل عمليا بين الذات والموضوع ، حيث
تتداخل الحلقات والدوائر تداخلا كاملا ، بدءا بالمنظور الفردي القومي ،
وانتهاء بالمنظور الإنساني العام .. ولقد وفق الكاتب — وقليل أولئك الذين
يحالفهم التوفيق — في تعمق عالمه الخاص ، وتأمل قضيته الذاتية ، دون أن يفقد
التوازن بين طموحاته ومعاتنه وأحزانه الذاتية والقومية ، بعبارة أخرى ،
استطاع الدكتور شرابي أن يتعمق تجربته الفردية متمتزة بتجربة وطنه وأمه
معا ، وغاص فيها إلى الدرجة التي جعلته يكشف في تجربته الخاصة ، ومن
خلالها ، تجربة جيل بأكمله . شأنه في ذلك شأن كل من عظيم ، نتوصل فيه من
خلال الخاص إلى العام .

ولعل أول ما يثير الانتباه في هذا الكتاب هو عنوانه نفسه « الجبر
والرماد » ، ذلك العنوان الدرامي الدال على قطبي الصراع بين « الرؤيا » التي
يحلم بها دائما كل مثقف عربي ، و « الواقع » الذي يفرض نفسه علينا ،
شأننا أم لم نشأ .. بين الطموح الفردي ، والإجباط القومي ، في منعطف
تاريخي وحضاري يشكل بالنسبة لكل مثقف عربي جاد حقبة من أخطر الحقب
في تاريخنا الحديث . ولهذا لا غرو أن يحمل الكتاب عنوانا فرعيا آخر هو

* الاستدلال بكلية الآداب في جامعة الكويت .

« نكريات مثقف عربي » . ولكن اي نكريات تلك التي تبقى لنا بين « الرماد » بعد أن احترق « الجبر » كل الجبر ، في محراب الذات العلمية — واحترق معه ، وبه صاحب هذه النكريات ؟

هذا هو السؤال الذي يلح عليك طوال قراءة هذا العمل الفني الجاد . ولكن ما بلاننا نستيق الاحداث ونستصدر الاحكام او ما يشبه الاحكام قبل أن نعرض مضمون الكتاب واسلوبه على القارئ !!

(٢)

في عام ١٩٧٤ ، قرر الدكتور هشام شرابي — استاذ التاريخ الحديث والعلوم السياسية في جامعة جورجتون بواشنطن — أن يعود نهائيا الى أرض الوطن العربي ، ليقم في بيروت ، بعد غياب ، أو بالأحرى ، اقتراب دام طويلا في أميركا ، ليواصل عمله عن كتيب رئيسا لتحرير مجلة الدراسات الفلسطينية التي تصدر باللغة الانجليزية عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية وجامعة الكويت (وكان قد تولى رئاسة تحريرها منذ سنة ١٩٧٢ الى جانب عمله في الجامعة) ولكنه ما كاد يصل بيروت ، او يحط عصا الترحال بعد أن شطت به غربة النوى كما يقولون ، حتى قامت في وجهه عقبات كنود ، منها على سبيل المثال — وهو أمر بالغ الدلالة لوأحد مثله — فشله في الحصول على « تصريح اقامة » في لبنان ، له ولزوجته وابنتيه ، لسبب بسيط ، أن « الاوامر هكذا جاءت من فوق ... » !! ولنا أن نقصور مدى ما يمكن أن يتركه مثل هذا الموقف في نفسه وفي نفس عائلته ، يقول : « قد غمرني حزن عميق ، أبعد كل هذا لا أستطيع الحصول على اذن اقامة في لبنان ؟ أمن أجل هذا تركت العيش الآمن والمركز الثابت ورضيت بالمستقبل الغامض والحياة القلقة ؟ لقد عدت لكي أعمل من أجل هذا الوطن ومن أجل هذا الشعب واكتشفت ، كما يفعل كل مثقف ملئ لخدمة وطنه ، أن هذا الشعب والوطن لا يلبهان به وبأحلامه ، وأن الواقع يناقض الرؤيا ... » ص ٨ . وكان عليه أن يتحليل على تلك الاوامر « الفوقية » ، وأخيرا نجح في الحصول على اقامة لمدة سنة .. ومن ثم قفل عائدا لتقديم استقالته من جامعة جورجتون ، وما يتبع ذلك من اجراءات ، وبينما هو يستعد للعودة الى بيروت تكون الاوضاع السياسية والعسكرية قد ساءت الى الحد الذي دفعه مرارا الى تأجيل سفره ، غير أنه لم يجد بدا من العودة في ديسمبر ١٩٧٥ للاطلاع بنفسه على الاحوال في بيروت ، وعن كتيب ، فذهب اليها عن طريق عمان ، وهناك وجد المدينة تمج بالننازحين عن بيروت ، ولم يبق بيت أو شقة أو غرفة لم تؤجر ، (وهو موقف مماثل تماما لوقائع نكبة فلسطين كما سنرى) ، وفي اليوم الذي قرر فيه السفر الى بيروت

وقعت أحداث « السبت الأسود » حيث قتل العشرات من المدنيين الإبرياء في بيروت « على الهوية » .. حينئذ ، وحينئذ فقط ، طفت أحلامه بتبخر ، وآماله تنهار « تعدت الى واشنطن كالجندي المهزوم » ومن ثم عدل عن استقلاته ، وعاد لجدد مقده مع جلمعة جورجتاون ، وقد شعر أن آماله وطموحاته الذاتية والقومية قد وئدت جميعا — في لحظة يأس مبرورة — قربنا خرافيا في مذابح لبنان الأسطورية .. ويفهرني احساس في هذه اللحظة أن الفرصة قد فانتني ، وأنتي لن أعود أبدا الى وطني ، بل سأضي ما تبقى لي من العمر هنا في هذه البلاد الخريبة ، ولتي سلبت فيها ... »

(٤)

يؤكد الدكتور هشام شرابي ، أن كتابه هذا جاء تسجيلا لوقائع هذه الفترة الطلقة والحاسمة التي أراد أن يعود فيها الى وطنه ، فمعجز عن تحقيق ذلك ، وهي الفترة التي ظن أنها نهاية مرحلة ، وبداية مرحلة من حياته .. وبين غفوة الحلم ، وفردوس الرؤيا المفقود ، وبين بشاعة اللحظة الآتية وجحيم الواقع السائد شرع الكاتب يللم بعضا من وقائع حياته — الذاتية والقومية — الامر الذي يؤكد أن اختيار هذه الفترة لتكوين مذكراته ، أو بالأحرى ذكرياته ، واعدادها للنشر ، لم يتم مصادفة . فتصويره للوقائع وانتخابه للأحداث أمر يفكرنا — حريا — ولا شك بأمرين أحدهما حين ترك وطنه فلسطين سنة ١٩٤٧ ، والآخر حين لجبر على مغادرة لبنان سنة ١٩٤٩ ، الى أميركا، يومها كان يقول لنفسه : « لقد نبذتني يا وطني .. لن أرجع اليك .. لن أرجع أبدا .. » ص ٢٢٨ . ولكن — ومهما كثرت الأسباب — فالانتماء الى الأرض والوطن فوق كل مورات الغضب ، وبراكين اليأس « فشعبي هو جزء من حياتي ، لم أتركه يوما ، وطني أحمله في قلبي ، لا أقدر أن أتخلى عنه ، سأعود يوما ... » . اختيار هذه الفترة إذن لم يكن مصادفة ، ونشر الكتاب في بيروت نفسها لأمر بالغ الدلالة .. حيث مأساة لبنان حية .. وحيث « الجمر » فيها يلتهم الأخضر واليابس ، ليذروه « رمادا » يفكرنا بالمسير المحتوم .. وكأني به يقول : ما أشبه الليلة بالبارحة ، بالأمس فقدت وطني فلسطين ، واليوم اكاد أعتقد وطني الكبير ، دون أن يكون لنا من واقع الحياة ، لحظة التاريخ وعبرة التجربة .

وفي ضوء هذا المنطلق ومن منظور قومي (تاريخي وحضاري) يكاد القاري يضع يده على سر انتخاب أو اختيار الكاتب لوقائع وحوادث بعينها ، (ذاتية وقومية) تشكل في النهاية عماد هذا العمل الفني (الجمر والرماد) ،

مهما اختلفت المناسبات أو تعددت .. ومن ثم لا غرو أن تكون رؤيته للمأساة اللبنانية ، في ضوء ماضي لبنان (والعودة الى الماضي هنا ليست نزعة رمانسية أو هروبية ، يظفها مجد تلبد غابر ، حيث العصر الذهبي دائما ، وانما هي مقارنة واقعية في اطار التاريخ لحال لبنان بين الامس واليوم ، انه الجزء الذي يبنى عن الكل ، وهنا تنفجر الجراح القومية بغير حدود) ، حيث كان اللبنانيون في الماضي « يعملون يدا واحدة ، ولمصلحة واحدة ، علت فوق جميع المصالح الفنية والطائفية » ص ٢٠ . اما اليوم فالعكس صحيح ، وهذا سر هزيمة لبنان ، او بالاحرى الوطن العربي (من الخارج) ، اما سر هزيمة المثقف العربي (من الداخل) فتكمن في مركبات النقص الحضاري ، وفقدان الهوية المميزة او الذاتية الواضحة ، وبخاصة في نظينا القريبية حيث « كان قادتنا ومعلمونا يكرهون الغربي ويعشقونه في الوقت نفسه ، كان الغرب بالنسبة اليهم مصدر كل ما تشتهيه أنفسهم ، في الوقت ذاته مصدر ذلهم وتعاستهم . هكذا غرسوا فينا مركب النقص من الغربي وعقده وتقديسه معا ، وغدت مفهوماتنا القومية تعصبية بعيدة البعد كله عن المفهومات الاجتماعية والتاريخية الصحيحة .. » ص ١٩ .

(٤)

في الفصل الاول من الكتاب يضع الدكتور شرابي ايدينا — من خلال تجربته الذاتية — على واحد من اهم اسباب تقاعس جيل المثقفين ، من أن يلعبوا دورهم الوطني والقومي ، كما ينبغي أن يكون ، ومن ثم ، أسباب فشلهم في قيادة امتهم (بدلا من هذا الانفصال القائم) ذلك أن القضية — المشكلة — التي لا تزال تؤرق الكتائب حتى اليوم، هي : كيف غادر فلسطين ، بلاده ، سنة ١٩٤٧ ، على الرغم من كونه « على درجة كبيرة من الوعي الاجتماعي آنذاك » كما يقول بينما كانت « الحرب قائمة فيها واليهود يستعدون لابتلاعها » ، مهما كان القصد نبيلاً (طلب العلم في أمريكا) ، يقول الدكتور شرابي مفسرا هذا السلوك السلبي : « ومع ذلك فقد غادرنا بلادنا في وقت محنتها ، دون أي تردد أو شعور بالذنب . كان الامر طبيعيا لا يدعو الى تأمل أو إعادة نظر . في محاولتي الآن لتفسير هذا السلوك — لا تبريره — أجدني عاجزا كل العجز . ربما كوننا مثقفين ساعد على ذر الرماد في أعيننا ، فصرنا نرى الاشياء من زاوية الفكر المجرد وحده ، وهكذا بدأت الدنيا لنا موضوعا لكلامنا وفكرنا ، لا مجالا لتحقيق انمالنا واعمالنا . كتبنا يكفي أن نحب وطننا بقلوبنا كلها ، وأن نحلم بمستقبل عظيم لامتنا دون أن يلزمنا ذلك بشيء سوى صدق العاطفة » ص ١٤ . وكان صراع الفكر والبندقية لا يجتمعا في واحد !!

في الفصل الثاني — لطول فصول الكتاب — وعن طريق أسلوب التداخي
 — في المعاني — واسلوب التداخل أو التزامن في الاحداث ، وطريقة الارتداد الى
 الماضي ، يشرع الكاتب في توجيه الاضواء الكاشفة على تجربته الذاتية ،
 والعوامل المؤثرة في نموه النفسي وتفكيره العقلي وتكوينه الاجتماعي ، من خلال
 الكشف عن الجذور الاجتماعية والثقافية والتربوية التي صاغت أو شكلت
 « المتقف العربي » بعامة ، وهو واحد منهم بطبيعة الحال — وانتهت به —
 وبهم — الى هذا السلوك السلبي من احدث ايمته ووطنه وشعبه ، ففراه من
 خلال عرضه — أو بالأحرى تعريفه — للطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليها ،
 وما تتمسك به من قيم ومقولات ومعان ، يضع ايدينا على « اتانية وانهزامية »
 هذه المفاهيم قومية أم اجتماعية (الكتاب ص ١٧ — ١٩) .. ومن خلال حديثه
 عن فترة التحصيل العلمي في بيروت (١٩٤٢ — ١٩٤٧) ، وهي الفترة التي
 شهدت — كذلك — بدء ممارسته للتجربة السليسية — نراه يصب جام غضبه
 وسخطه على مناهج البحث وطرق التدريس والفلسفة التربوية السائدة عربيا
 ويراها لا تشكل مأساة تعليمية يترعرع عليها ما ندعوه بالمتقف العربي ، بل
 هي مأساة حضارية قبل كل شيء ، تكمن وراءها الاسباب الحقيقية في هزيمة
 الذات العلمية نفسها ، في مواجهة القوى الحضارية المسيطرة ، دون ان نكون
 جادين في مواجهتها واتعيا أو عمليا حتى اليوم (غالاستجابة هنا ليست بمستوى
 التحدي اطلاقا) ... وتبرز هذه النزعة النقدية « الإصلاحية » أكثر ما تكون ،
 عندما كان يتحدث الكاتب عن الجو الفكري السائد في الجامعة الاميركية في
 بيروت — حيث تلقى تعليمه فيها — ذلك الجو الذي كان مهيمنًا في الطبقات
 المتوسطة والعليا ، أي جو « المتعلمين » و « المتقنين » (فالجامعة — كما يقول
 — قد أصبحت جزءا من هذا الجو ، تمثل في تكوينها القوى المسيطرة فيه ، وتخدم
 مصالحه وقيمه) ، ويكون أول ما يقف عنده الكاتب هو المنهج العلمي والحرية
 الفكرية ، وكلاهما وثيق الصلة بالآخر في هذا الجو الأكاديمي ، وتكون حصيلة
 هذه المرحلة من ممر الكاتب ، وعمر المتقف العربي بوجه عام أمرين : احدهما
 هامشية معالجة المنهج العلمي ، والآخر ، ان الحرية « التي مارسناها في
 الجامعة الاميركية أقل بكثير مما كان يعتقد الناس ، فقد خضعت حياتنا في
 الجامعة لسلطتين كان لا تدرنا لنا على مخالفتها : سلطة الادارة وسلطة
 الاستاذ كانت سلطة الادارة بالنسبة اليها كسلطة الدولة بالنسبة الى المواطن ،
 شاملة متكاملة لا تعرف أين تبدأ وأين تنتهي ، أما سلطة الاستاذ ، فكانت
 كسلطة الاب بالنسبة الى ابنائه ، تفرض من فوق ، ولا تقبسل النقض أو

المعارضة ، لا أفكر أن استاذاً من أساتذتي في الجامعة اعترف مرة أنه كان على خطأ أو أقر بجهل أو عبر عن شك ، فامتنع عن اتخاذ موقف حاسم أو آثر التروي ومراجعة الفكر ، كان أساتذتي جميعاً مصادر ثقة ، لا يعرف الشك مدخلاً إلى قلوبهم ، كانوا يدخلون قاعة الدرس بثقة الضابط عندما يدخل الثكنة .. كانت تلك القاعة ثكنتهم ، هنا سلطتهم مطلقة ، وكلمتهم نهائية ، وكانوا يعتقدون أن حسن سلوكنا قبول بسلطتهم واستسلام لها ، وأن سكوتنا دليل تقدير للمحاضرات كان جميع أساتذتي تقريباً يتبعون أسلوب الوصف والخطبة والوعظ كانوا ينظرون إلى الأمور من وجهة نظرهم الخاصة ، ولا يجدون حرجاً في تقديم أفكارهم الذاتية ولكنها حقائق موضوعية ثابتة . وكانوا إذا طرحنا عليهم أسئلة تتضمن بعض النقد أو الإحراج ، يتخذون موقفاً دفاعياً ، ويجيبون عن أسئلتنا بروح عدائية تدفعنا إلى الصمت فالتراجع . لا أفكر أن استاذاً عربياً كان يهدف في محاضراته إلى مساعدتنا على الفهم والتفكير المستقل كانوا يعتبرون أي اختلاف مع وجهة نظرهم اهانة شخصية لهم ، فتعلمنا ألا نخالفهم بالرأي وأن نقبل ما يقولونه برضوخ . هكذا كان الهدف الأساسي لعملية تثقيفنا في الجامعة ، كما كان في العائلة والمدرسة ، يقوم على تطويعنا وأخضاعنا نفسياً . فلا عجب إذا بقيت مقدرتنا النقدية والتحليلية ضمنية كان حصيلة دراستنا الجامعية أن خضعنا لسلطة الكلمة المطبوعة كما خضعنا لسلطة الكلمة المسبوبة ، فاصبحنا مشلولي الفكر تجاه ما نقرأ ، وبخاصة إذا كان مصدره اجنبياً » ص ٢٧-٢٨ .

هذا الجو الفكري كان بطبيعة الحال واحداً من أهم أسباب أزمة الثقافة العربية وضياع المثقف العربي .. وإخاله لا يزال قائماً على نحو أو آخر في أغلب جامعاتنا العربية ...

ويأخذ الكاتب في سرد أمثلة كثيرة على ذلك ، وهو يتحدث عن أساتذته وطرائق تدريسيهم وأساليب تفكيرهم ، وكيف انعكس ذلك على نمط تفكيره ، وفي المعاداة الذهنية التي اكتسبها في ذلك الحين ولازمته زمناً طويلاً بعد ذلك ، « نأذاً هم يتكلمون بالمطلقات ، ويتعلمون طائفة نهائية ، لا تعرف الظن أو الترجيح ، وكان الأمر مرتبطاً بالفكر وأسلوب التعبير ، وليس اللغة وحدها ، فالفكرة إما صحيحة وإما خاطئة ، وحيث هم دائماً على صواب ، وأن الآخرين دائماً على خطأ ومن ثم كان التهمك « هو السلاح الفكري والأشد فتكاً في أيدي أساتذتنا ، وكانوا لا يتورعون عن استعماله في كل المناسبات وما أسهل أن يحطم الأستاذ في قاعة الدرس كل ما يتعارض مع معتقداته ومبوله » ص ٣٤ .

وينتهي الامر بالدكتور شرابي الى طرح هذا التصور « لو ان اساتذتي ، ومن أسهم في تثقيفي كانوا اقل سطوة في معاملتهم لي ، واثقل خوفا على مراكزهم ومصادر عيشهم ومكانتهم الاجتماعية ، فهل كانت حياتي وشخصيتي على ما هما عليه الآن ؟ » ص ٢٥ .

ان الكاتب هنا يفجر قضية أخرى من اخطر قضايا ، ليس على المستوى التربوي او الثقافي فحسب بل على المستوى الاخلاقي والحضاري كذلك .. ويمكن ان نرى بعض آثارها في اللقطة التالية : « كنت أراقب عن كثب سلوك زملائي العرب واقارنه بسلوك زملائي الاميركيين ، وكان اول ما لفت نظري في السلوك الاميركي روح الالتزام والشعور بالمسؤولية . كانت الدراسة والمطالعة والتحضير (على سبيل المثال) بالنسبة للطلاب الاميركي مهمة اساسية تخضع لها كل الاعتبارات الاخرى . فكان عندما يتفرد في غرفته او في زاوية من المكتبة ، لا يثنيه عن الدرس والمطالعة شيء آخر ، فلا يسمح لنفسه بالراحة او الترفيه الا بعد ان ينهي ما يتوجب عليه . وكان سلوك الطالب العربي على عكس ذلك تماما . كان دائما على استعداد لان يضع كتبه جانبا اذا سحنت له الفرصة لتناول منجان قهوة مع فتاة . كان حسه بالمسؤولية مرتبطا دائما بما هو خارج عنه ، بسلطة تقف فوق راسه ، لا بدافع داخلي يلزمه ذاتيا ، فلذا غلبت عنه السلطة الخارجية (سلطة الاب او الاستاذ) حلت محلها نزعة موضوعية تدفع به الى التهرب من المسؤولية والسعي نحو اللذة . واذا وجد نفسه حرا عجز عن استعمال حريته » ص ١٢٦ .

ويمكن ان نلمح آثار تلك النشأة او التربية ، في موقف آخر ، او بالاحرى في ظاهرة نفسية واجتماعية ، يتسم بها الطلاب العرب في الخارج ، ويمكن ملاحظتها بسهولة كما يقول الكاتب ، وتنتهي بهم عادة الى ما يشبه الضياع وانقسام الشخصية ، وهي ظاهرة الـ « **الرياء** » فالطلاب العربي يوه ويخادع حتى زملاءه العرب ، كان يفعل ذلك تلقائيا ، عن لا وعي . كان اذا سأل الاميركي عن نفسه او عن اهله او عن مولده ، او عن اي امر آخر ، خادع وكاذب في اجابته و « **التظاهر** بغير حقيقته » و « فقدان الشعور بماهية ذاتية واضحة » و « لا ثقة له بنفسه ، يحتقر نفسه عن وعي وغير وعي » « فالفرد العربي محاط منذ مولده بالمراد لا يعرفون ذواتهم ، يعيشون في عالم يقوم على الكذب وخداع النفس والآخرين دون شعور بالذنب » ص ١٢٩ .

يوصل الكاتب الحديث بعد ذلك عن تجربته السياسية والقومية والروافد والمؤثرات التي انتهت بانضمامه — عضواً عاملاً — للحزب السوري القومي الاجتماعي ، كما يتحدث عن علاقته الوطيدة بزعيم هذا الحزب ، انطون سمادة حتى اعدائه في سنة ١٩٤٩ . وان كانت السياسة الحزبية لم تعد اليوم تشغل بال الدكتور هشام شرابي فكل « ما يهمني اليوم هو حياة هذا الشعب المعذب ، ومصير هذه الجماهير المستغلة المستعبدة ، جميع الافكار والقيم والاهداف التي لا تدور حول حياة الشعب ومصير الجماهير لم تعد تمنى أو تعني لي شيئاً » ص ٧٢ . وتلك هي قمة النضج السياسي والقومي .

ومما هو جدير بالذكر ان الكاتب وهو يقص تجربته السياسية ، يؤرخ للحزب السوري القومي الاجتماعي ، ولاهدافه ومبادئه وعن دوره النضالي ، بصورة تجعلنا نعيد النظر من جديد — في ضوء هذه الرؤية — في موقفنا من هذا الحزب وفي مفاهيمنا عنه ، ولم تكن تلك الرؤية عارضة بل سوف يفرده الكاتب بعد ذلك الفصلين الرابع والخامس باكملهما للحديث عن هذا الحزب من خلال الحديث عن تجربته السياسية بين صفوف هذا الحزب .

طبيعي أن يقوده الخديث عن الحزب الى الحديث عن موقف هذا الحزب من القضية الفلسطينية نفسها . . . وطبيعي أيضاً أن تقوده القضية الفلسطينية الى الحديث عنها من خلال أثرها عليه وعلى أسرته بوجه خاص ، ومن ثم يتحدث عن طفولته — التي لم يتحدث عنها للآن — منذ التحق وهو في السابعة من عمره بمدرسة الفرنز في رام الله ، ثم يتحدث بعد ذلك من ذكريات طفولته في بيت جده في عكا « التي كانت وما تزال أجمل مدينة في العالم ، فيها أمضيت القسم الأكبر من طفولتي وأجمل أيام صباي » حيث كان يقضي اجازاته الصيفيّة والمدرسية في كف جدته التي كانت تحبه كثيراً ، وينتقي الكاتب بعض المواقف ، يصوغها في لوحات معبرة تستمد أطرافها ومضمونها من الموروثات والمعتقدات الشعبية السائدة والتي كانت تمارسها معه جدته في ايمان منقطع النظر ، من جانبها وحدها (الامر الذي أضفى على التجربة الذاتية أبعاداً اجتماعية وإنسانية أخرى ، ولم يكن ذلك تحقيقاً لعنصر الخصوصية ، أو توفيراً لطابع الصدق في التعبير فحسب) . ومن خلال هذه العلاقة العاطفية النامية بينه وبين بيت جده وجدته ، يجد القاريء نفسه نجاة في صميم المأساة الفلسطينية ،

دون أننى افتعال أو وعظ .. وذلك من خلال موقف شخصي — بمثابة اللقطة
المكبرة — وعبر تجربة ذاتية بحة (لها بعدها الإنساني بالتأكيد) حدثت مع
جدي . هذه التجربة الواقعية — في رأينا — تجسدت من خلالها أبعاد المسألة
ال فلسطينية (سياسيا وقوميا) كما لم تجسدها عشرات الأفلام والمنابر ، وتبدأ
منذ كانت جدته تحلم بامتلاك بيت مستقل لها ، الأمر الذي حققه لها الجد في
منتصف الثلاثينات حيث ابنتى لها بيتا جميلا خاصا بها ، وفيه أمضت الجدة مع
الجد أسعد أيام حياتهما ، وتنتهي التجربة بانتهاء هذا الحلم إبان النكبة سنة
١٩٤٨ يوم أجبرا على النزوح منه ، مع بقية العرب ، حين احتل اليهود عكا ..
فكانت « أقدس تجربة مرت بهما في حياتهما » ومن ثم كانت السنوات الأخيرة من
حياتهما مملأ بالحزن والياس والضياع . ففقدت جدتي مرحها وحيويتها ، وفقد
جدي رشده ، ولم يعد يتعرف الى الذين حوله . في بيروت أتما مع خالتي
ووالدتي وأخي الأصغر في بيت مؤلف من حجرتين تملكه سيدة تقرب جدتي قرابة
بعيدة . توفى جدي سنة ١٩٥٠ . **قبيل وفاته كان يحاول بين آن وآخر التسلل**
من البيت في غلة من اهله ليرجع الى عكا ، وكان عندما يسكون به في الشارع
يقول :

— أنا بس راجع لبيتي .. أنا بيتي في عكا .. ليش ما بتخلوني ارجع
لبيتي ؟

ويأخذ مفتاحا من جيبه ويقول :

— ما بتصدقوني .. هذا مفتاح بيتي !!

وعندما يعودون به الى البيت يجلس سامتا والدموع تسيل من عينيه ،
وتبذل لحيته التي لم تعد جدتي تتصمها له كما كانت تعمل في عكا ، ويرفض الكلام
زمننا طويلا ... « ٩٧ » .

وهذه التجربة الواقعية — دراميا وفنيا ورمزيا — في غير حاجة الى تعليق
.. فقط من حقى أن أقول أن هذه التجربة — التي يمكن أن تحدث لى ولك ،
ولكل انسان — قد هزنتى من الأعماق كما لم يهزنى شيء آخر ، بعيدا عن أي
وعظ أو أرشاد .. ناهيك بدروس الوطنية التي نقتات — نظريا وصحافيا
وأدبيا — عليها كل يوم ، وفي كل حديث . وهي دروس تقاس فيها قدراتنا
« النضالية » — للأسف — بمقدرتنا على الصنعة « اللغوية والبلاغية » التي
تستنفد طاقاتنا الثمورية الوطنية والقومية فيما يشبه « المخدر » أو « سحر »
الكلمة ... ومن ثم لا غرو أن نفتقد الفعل والحركة ... وبذلك نقسح في
« المحذور » الذي أشار اليه الكاتب نفسه من قبل . بل يصبح « النضال »
حينئذ نضالا « مخفيا » في المناسبات الوطنية والقومية ، وكفى الله المرب
والعروبة شر النضال والتحرر .

مما لا شك فيه أن وطن الكاتب ، منذ غادره لآخر مرة سنة ١٩٤٧ لم يقب لحظة واحدة عن عقله وقلبه ووجدانه ، فهو يراه مثلاً أمامه في كل شيء في أمريكا .. وكثيراً ما يجد الكاتب نفسه مدفوعاً الى المقارنة بين المجتمع العربي والمجتمع الغربي ، بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون ، لسبب بسيط ، أن المواجهة بين المجتمعين هي في صميمها مواجهة حضارية قبل كل شيء . وهذا لا يعني أن الكاتب قد تملكته عقدة تمجيد الغرب — التي تصيب أغلب مثقفينا — أو يعني أنه رافض العودة الى بلاده أو العيش فيها ، بل أن العكس هو الصحيح ، فالوطن — كما نلمح دائماً بين الكلمات — ليس أرضاً جغرافياً أو موروثاً ثقافياً وتاريخياً نحسب بل هو انتماء شعوري أيضاً ، لا يمكن لمخلص أن ينساه أو يتناساه . صحيح أن المقارنة في أغلب الأحيان تكون لصالح الحضارة الغربية الزاحفة ، ولكن على مستويات محددة ، في مناهج التفكير وطرائق البحث وأساليب التربية وجلياتها ، مما لا يمكن لقارئ منصف أن يختلف معه . نلمح هذا كله من خلال الحديث عن حياته في أمريكا — في الفصل الثالث — حيث يترجم فيه عن فترة تحصيله العالي (الماجستير والدكتوراه من جامعة شيكاغو) وهي فترة يمكن اعتبارها امتداداً للفترة السابقة ، فترة

التكوين العلمي والتوجيه الفكري والنمو النفسي للكاتب ، فيحدثنا عن مكتبة الجامعة ودورها الحيوي في إثراء الدراسات الجامعية الجادة ، وعن المسودات الدراسية ، وعن مناهج البحث وطرق التدريس ، ويسهب في الحديث عن بعض أساتذته الاعلام الذين تركوا بصماتهم جلية في حياته العلمية والعملية ، ويخص بالذكر « آرنولد برجسترسر » الألماني ، أستاذ التاريخ الألماني ورئيس لجنة تاريخ الحضارة ، الذي يعود اليه الفضل في تحول الكاتب من دراسة الفلسفة الى دراسة فلسفة التاريخ والحضارة الأوروبية (لمجموعة من العوامل الفكرية والدوافع النفسية بينهما) ، فله يدين الكاتب باتجاهه الفكري الجديد الذي أخرجه من عالم الفكر المثالي الغيبي ، وكان يراه بالنسبة له بمثابة « المنقذ النفسي والمعنوي في هذه الفترة » ، يقول الدكتور شرابي ملحقاً على تلك الفترة : « في تلك المرحلة تكسرت القوالب النفسية المتيقنة التي زعمتها ثقافتنا الاجتماعية التي جلبتها معي ... فتخلصت من النظرة الفلسفية التجريدية التي ترعرعت عليها ، وبالتالي من مصر الفيلسوف المحترف ، وتفتحت أمامي آفاق وطرق جديدة أدت الى اكتشاف العلوم الاجتماعية واسمها الحسية العلمية التي حجبتها عني الفلسفة الوجودية المثالية المتعالية عن كل ما هو علمي ومحسوس .. » ص ١٢٠/١٢١ .

لقد مضت على اقامة الكتيب في الولايات المتحدة — عند كتابة هذه الذكريات — ما يقارب الثلاثين عاما ، ومع ذلك لم تقم — كما يقول — بينه وبين المواطن الاميركي اية علاقة صداقة بالمعنى الذي نفهمه في المجتمع العربي لاسباب لا مجال لذكرها هنا ، ثم يتحدث بعد ذلك (في نطاق الدوافع النفسية والعاطفية ايضا) عن الحب ، وينقل منه فجأة — في الظاهر — الى الحديث عن الموت ، موت الفرد (من الزملاء والاصدقاء والارباب) وما أكثر هؤلاء الذين اختطفهم الموت في غير اوان — ان كان للموت اوان — حتى اضحت الحياة نفسها او بالأحرى نهاية الحياة — في رايه « لم تعد تثير في نفسي شعورا مفاجئا » . ثم تتزامن الاحداث والوقائع والتجارب الذاتية والقومية ، فيتحدث عن موت كثير من افراد أسرته غريبا ، وموت وطنه نفسه سنة ١٩٤٩ (اعلان الهدنة كان بمثابة شهادة الوفاة) ، فيومها « اقتلعت جذورنا ، وفقدنا الارض التي تنغرس فيها حياتنا » (ص ١٣٧ — ١٦٨) ، ويقوده الحديث عن الوطن الموعود الى الحديث عن الحزب السياسي من جديد الذي كان ينتمي اليه ، والى الحديث عما كان منعقدا عليه من آمال ، وندت بدورها حين اغتيل اطمون سعادة وتشقت الحزب نهائيا سنة ١٩٤٩ ، ليحتل هذا الحديث بعد ذلك الفصلين الرابع والخامس ، الامر الذي يجعل من الكتاب في جزء كبير منه تاريخا للحزب السوري القومي الاجتماعي .

ليس مصادفة ان يبدأ الدكتور هشام شرابي كتابه بالحديث عن حياته من خلال مأساة لبنان الطائفية ، وأن ينتهي ترجمته بالحديث عن ذاته من خلال مأساة فلسطين القومية .. وقد كتب عليه في الحالين أن يظل يدفع الثمن غاليا — ما دامت الوشائج والنتائج واحدة في الحالين — وأن يعيش مفتريا في خط مأساوي متواصل حتى « تحولت حياتي الى حياة صمت في المنفى » ص ١٦٧ ، وكم من أمثاله يعيش اليوم — داخل الوطن العربي — حياة الصمت ، فهل هذا قدر المثقف العربي الجاد ، منذ استطاعت نظمنا السياسية المتناحرة ، وقيمنا التربوية المتخلفة في « تهر الفرد في صفرة » ، ومن ثم تكبيله فكريا ونفسيا في الكبر « على حد تعبير المؤلف ؟ . وهل صحيح أن بين مأسينا القومية والطائفية ، أو بمعنى أدق ، بين غيبيات العصور الوسطى المسيطرة علينا ، وتحديات العصر الحديث وروح الحضارة العالمية الزاحفة ، هل صحيح أن « الجبر »

قد انطلقا ، ولم يعد ثمة الا « الرماد » ؟ ان كان الامر كذلك — وأرجو الا يكون كذلك — فذلك هي خروعة الهزيمة النفسية للأفراد وللشعوب على السواء ؟ أظن — وأرجو أن أكون حسن الظن — أن « الجمر » لا زال كامنا تحت « الرماد » ينتظر من « ينفخ » فيه ، وهذا هو دور المثقف العربي المسؤول الذي ينبغي أن يتجاوز موقفه السلبي الى الرؤيا الثورية الايجابية ، بدلا من استمرار الشكوى ، واحتقار الذات — كما يقول — وقد وصلت بنا الى نوع من السادية القاتلة . . .

(١١)

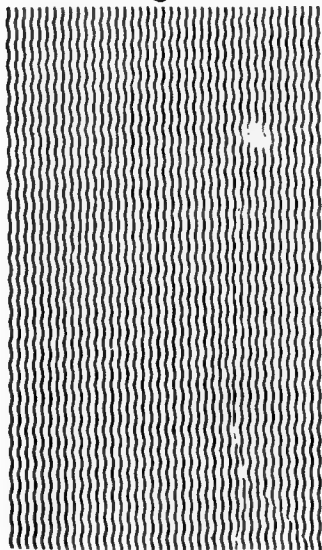
ومما هو جدير بالذكر أن الكاتب يقدم ترجمة حياته ، أو بالأحرى ، يصوغ تجربة حياته العاطفية والفكرية — طالبا واستاذًا — بعيدا عن روح الادعاء . ادعاء العبقرية أو الذكاء الخارق ، بل أن الكاتب صراحة يجرد نفسه من القدرة الفطرية على « الخلق والابداع » ، وأما النبوغ عنده يتوقف على إخضاع النفس واتباع نظم معين والمناورة في العمل برغم كل شيء . . هذا النظام وما يترتب عليه من سيطرة ذاتية تشكل في رايه أسس النبوغ وحدوده ، متمثلا في ذلك مقولة شارلز ديكنز « ليس النبوغ الا المقدرة على تحمل الجهد المستمر » . الكاتب إذن يصوغ تجربة حياته النفسية والعقلية من غير أن يرتدي مسوح الرهبان أو يتخذ سميت الكهان ومدعي الثقافة ، بل يصوغ تجربته — قولاً ومفعلاً — كما هي بخيرها وشرها ، فنأى بنفسه وبنا عن المبالغة وخداع النفس ، كما نأى بنفسه وبنا عن هذه الترجسية الفردية والقبلية التي تتملك الكثير من المثقفين العرب عند الكتابة عن ذواتهم ، فيتفنون بالايجابيات ، ويخفون السلبيات ، بل يكاد البعض منهم يجعل من نفسه « شهيد » « شهداء العصر » ، وكأن كل قوى الكون والطبيعة قد تأمرت ضده وضد « نوابه » الحسنة . . في نزعة ميلودرامية عنيفة وغريبة حقا . وهنا تكمن عظمة مثل هذا الكتاب ومؤلفه معا ، وأكبر الظن عندي أن المؤلف لم يقل كلمته الاخيرة — كاملة — بعد . بل سوف نلمح في ثنايا الكتاب ووراء السطور ، أن في جعبة الدكتور شرابي الكثير من الفكريات الهامة ، ربما لم يحن الوقت بعد لاداعتها ونشرها ، ولكننا في انتظار المزيد مما لم يبع به صاحب هذه التجربة الثرة العريضة ، ذاتيا وقوميا . ولهذا فسوف يبقى هذا الكتاب شاهد صدق على مرحلة هامة من حياة صاحبه ، مثلما يبقى شاهد صدق على مرحلة أساسية من حياة هذا الجيل .

في عبارة أدبية أسرة ، بالغة البساطة ، متناهية الصدق ، شديدة الإيحاء ، عميقة الدلالة ، جاء أسلوب هذا الكتاب « بسيطا لا تكلف فيه » كما أراد له صاحبه أن يكون . بعيدا عن السرد التقليدي أو التسلسل التاريخي في تراجم الحياة ، معتمدا على أسلوب الذكريات ، لا المذكرات .. وهو أسلوب يقوم على تدوين بعض الأحداث كما تتطبع في صفحة ذهنه ، وكما تأخذ طريقها في منطقة وعيه ، دون ترتيب زمني أو موضوعي سابق ، ذلك أن الذكريات بطبيعتها تتداعى الى الذهن تداعيا حرا ، متاخلا أو متزامنا مع وقائع وتجارب آنية .. الأمر الذي يتجاوز الزمن التاريخي الى الزمن النفسي — فنيا — الأمر الذي يسمح لصاحبه بالجمع بين الماضي والحاضر في رؤية واحدة ما دام ذلك يرمي الى أحداث التأثير المطلوب في مثل هذه القضايا الحساسة التي أثارها هذا الكتاب ، الذي أراه — بحق — يشكل إضافة نوعية جادة الى كتب هذا الفن الأدبي (فن الترجمة الذاتية) حتى لنرى واحدا مثل أدونيس يقول عقب قراءته : « نادرا ما قرأت نثجا عربيا حديثا هزني ، فتمنيت لو أنني كتبت صاحبه ، هذه الامنية استبدت بي حين قرأت مخطوطة هذا الكتاب .. انه كتاب أسر . »

حقا انه كتاب أسر ، جدير بالقراءة والتأمل .



مؤتمرات



ندوة السكان والتنمية في منطقة غربي آسيا

د . يحيى فايز الحداد *

عقدت في الفترة الواقعة بين ١٨-٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٨ في عمان ندوة اقليمية حول السكان والتنمية ، قام بتنظيمها والدعوة لها اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا التابعة للأمم المتحدة (اكوأ ECWA) وذلك بالتعاون مع دائرة الاحصاءات العامة (الاردن) والجامعة الاردنية .

والهدف من اقامة هذه الندوة استعراض النظريات الخاصة بالملاقاة المتبادلة بين السكان والتنمية وتطبيقاتها في منطقة غربي آسيا ومناقشتها على أعلى المستويات الفنية .

المشترون في الندوة :

شارك في هذه الندوة ممثلو اثنتي عشر دولة عربية في غربي آسيا على مستوى كبار الخبراء في شؤون التخطيط بالإضافة الى منظمة التحرير الفلسطينية . كما حضرها ممثلون عن عدد من منظمات الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة بالإضافة الى بعض المنظمات غير الحكومية والمنظمات الاقليمية العربية . كما شارك في الندوة ايضا بعض الاساتذة الذين يمثلون عددا من الجامعات في المنطقة — الجامعة الاردنية ، جامعة اليرموك بالاردن ، جامعة الكويت ، الجامعة الامريكية ببيروت ، جامعة العين في دولة الامارات العربية ، جامعة الرياض ومعهد البحث الاجتماعي بدمشق — .

الابحاث والدراسات :

تناول جدول أعمال الندوة عددا من الموضوعات اهمها : الهجرة الخارجية وخاصة هجرة العاملين العرب ما بين الدول العربية وهجرة الكفاءات العربية الى خارج المنطقة . وقدمت الى الندوة دراسات حول هذه الموضوعات وحول السياسات الكفيلة بحل المشاكل المتعلقة بهذه التحركات السكانية ، منها دراسة عن قوانين الهجرة والتجنس الخاصة ببعض دول المنطقة المصدرة والمستوردة للقوى العاملة .

* استاذ الاجتماع بكلية الآداب في جامعة الكويت .

كما بحث الندوة ثلاث دراسات أعدها البنك الدولي ومنظمة العمل الدولية وشعبة السكان في اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا ، وتتضمن هذه الدراسات التقديرات الأولية للكميات الفعلية من القوى العاملة العربية الموجودة في كل بلد واتجاهات التحركات العمالية خلال السنوات الماضية .

وقد بحثت الندوة أيضا في تحركات السكان الداخلية وخاصة الهجرة من الريف الى المدن وبالتالي هيمنة المدن الكبرى على بقية مدن ومناطق البلاد بحيث انها تحتوي على القسم الاكبر من الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية للدولة ، مما ينجم عنه حرمان مناطق واسعة من هذه الفعاليات ، حيث يكون لذلك تأثير كبير على مستويات المعيشة في هذه المناطق .

وتم ايضا مناقشة دراسات تتضمن تحليلا للمشاكل الناجمة عن التحركات السكانية ، وخاصة فيما يتعلق بقوة استيعاب المدن الكبرى وامكانية خلق البديل لها من خلال تنمية مدن أخرى وتنمية المناطق الريفية .

كما جرى خلال الندوة نقد وتقييم للتنمية العربية ونتائج النمو السكاني ونماذج تخطيط الاقتصاد الشامل ، والأمراض والوفيات والتنمية ، والانجاب والتنمية ، وتحولات الخصوبة مع اشارة خاصة لمنطقة غربي آسيا ، وتطور العائلة في المجتمع الاسلامي ، والتغيرات في دور المرأة العربية وتكوين الاسرة ، والبداءة والتوطين وتخطيط المدن العربية .

الوثائق الخلفية المقدمة الى الندوة :

- انتقال الخصوبة مع اشارة خاصة الى منطقة اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا ، اعداد جون س . كالديويل وبلت كالديويل .
- مظاهر وعوامل استقرار قوة العمل الوافدة الى دولة الكويت ، الجزء الاول : مظاهر الاستقرار ، اعداد صفوح الاخرس .
- نماذج تخطيط الاقتصاد الشامل : أفكار حول التجربة العربية ، اعداد هنري عزام .
- التحضر في العالم ، نظرة في النشأة والتطور ، اعداد مفتي أبو عيطة .
- قوانين الهجرة والتجنس الخاصة بجمهورية مصر العربية ولبنان وسوريا والمملكة الاردنية الهاشمية والكويت والإمارات العربية المتحدة ، اعداد جـورج ديمب .

- تطور العائلة المسلمة في الشرق العربي ، اعداد ادوين ت . بروثر ولطفي ن . ديلب .
- الدور المتغير للمرأة العربية ، اعداد هدى زريق .
- الوفاة والمرض والتنمية ، اعداد سامويل ه . بريسطن .
- الخصوبة والتنمية : النظرة الاسترلينية ، اعداد ريتشارد استرلين .
- العامل الديموغرافي في أنظمة المستقبل ، اعداد ليون تابا .
- تخطيط المدن العربية ، دراسة خاصة لمدينة بيروت ، اعداد مروان محسن .
- الونيات واختلافاتها في دول منطقة غربي آسيا ، اعداد شمعة السكان مي اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا .
- هل العالم العربي مكتظ سكانيا ؟؟ نظرة على واقع خمس من الدول العربية الأقل نمواً ، اعداد بول شو .
- تقييم ونقد للتنمية الاقتصادية العربية ، اعداد يوسف صايغ .
- المدن الكبرى (المهيمنة) في الوطن العربي ، اعداد فتحي أبو عيانة .
- الهجرة الدولية في العالم العربي ، اعداد و.ر. بونينغ .
- الهجرة الدولية في العالم العربي ، اعداد س . بيركس وك.ا. سنكلير .
- هجرة العمال في الشرق الاوسط : الأبعاد الاقتصادية ، اعداد ظانصر انشاقيت .

النتائج التي توصلت اليها الندوة :

اجمعت مناقشات اعضاء الندوة على أن التجربة الإنمائية التي تمر بها البلاد العربية في الوقت الحاضر هي تجربة فريدة من نوعها لانها تتسم بغائض رؤوس الاموال وقلة اليد العاملة ولربما الارض . ولجميع اعضاء الندوة على ضرورة توطين واقلمة النظريات الاقتصادية والاجتماعية الخاصة بالتنمية وعدم استيرادها كما هي ، وضرورة الانتباه الى التوزيع السكاني داخل البلد ، وانه وان كانت الهجرة من الريف الى المدن ومن البلدية الى الحضر ليست مسألة سلبية بشكل عام الا ان تنظيمها قد أصبح أمراً ضروريا في التنمية العربية .

وقد حضر الأمير حسن ولي عهد الأردن اللقاء الأخير للندوة وترأس الجلسة الختامية التي طرحت فيها خلاصة المناقشات التي توصلت إليها الندوة في المجالات التالية :

أ - جمع البيانات ونشر البحوث

ب - السكان والتنمية

ج - السياسات السكانية

د - المرأة والأسرة والصحة

هـ - قوانين الهجرة والتجنس

وأما أهم الاستنتاجات التي عرضتها الندوة فهي كالتالي :

أ - جمع البيانات ونشر البحوث :

+ وضع برامج متكاملة لجمع بيانات الموارد البشرية وتطويرها ونشرها بما يتناسب وأهداف التخطيط الاقتصادي والاجتماعي ومراعاة توحيد المصطلحات والمفاهيم والتصنيفات ، وتدريب العاملين عليها .

+ انشاء بنك للمعلومات الخاصة بالسكان والتنمية لدول عربي آسيا والاهتمام بتوثيق ونشر البحوث المتعلقة بالسكان والتنمية .

ب - السكان والتنمية :

+ اعتبار المنطقة العربية لا تشكو من النمو المتسارع للسكان بل من سوء توزيعهم .

+ ادخال العامل السكاني في خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية .
+ التوصل الى استراتيجية تنمية عربية موحدة ، والاهتمام بالتخطيط بعيد المدى .

+ مراعاة التنسيق والتكامل على الصعيد العربي في مجال استخدام الفوائد المالية والفوائد البشرية .

+ دراسة المتغيرات الديمغرافية والاقتصادية والاجتماعية التي تؤدي الى النزوح من الريف الى الحضر ، وتباعد الهجرتين الداخلية والخارجية ، والتركيز على ظاهرة التحضر واعطاء اهتمام اكثر لتخطيط المناطق الحضرية .

٦ أحداث التوازن بين عمليات نقل التكنولوجيا وبناء القابليات التكنولوجية في الوطن العربي بهدف تطوير القدرات الذاتية فيه .

ج - السياسات السكانية :

٦ مراعاة التكامل بين السياسات السكانية والسياسات الاقتصادية والاجتماعية .

٦ تقليص الفوارق بين الريف والمدينة والتأكيد على أهمية انعاش الريف ، وتوفير الحد الملائم من المرافق والخدمات وفرص العمل للسكان الريفيين بغية زيادة ارتباطهم بالريف وتخفيف الهجرة الى المدن .

٦ توفير الشروط الموضوعية التي تحفز العقول المهاجرة الى الدول الاجنبية للعودة الى الوطن العربي والتي تضمن أيضا الاحتفاظ بالكفاءات المحلية داخل الوطن . واعتبار الهجرة داخل المنطقة العربية ظاهرة ايجابية .

٦ اعطاء التسهيلات اللازمة لتتقل الفلسطينيين بين البلدان العربية ، وتوفير فرص العمل لهم ومشاركتهم في التنمية العربية .

٦ تأكيد حق الشعب العربي الفلسطيني بالعودة الى وطنه ، واعتبار التهجير الاجباري للفلسطينيين من ارضهم المحتلة مشكلة سكانية خطيرة يتوجب دراستها .

٦ توسيع القاعدة التعليمية ، ومحو الامية ، مع التطوير النوعي للعملية التربوية ، وزيادة الاهتمام بالتأهيل والتدريب ، لما لذلك من اثر فعال على بنية المجتمع وتنميته .

د - المرأة والاسرة والصحة :

٦ دعم مراكز الطفولة والامومة ، والتوسع بانشائها ، والاهتمام بصحة الاسرة ، مع التركيز على فئات السكان الأكثر حاجة ، وتطبيق نظام الضمان الصحي والتوسع فيه ، والعمل على استصدار التشريعات اللازمة في هذا المجال .

٦ اعتبار تخطيط الاسرة حقا من حقوق الانسان تمارسه الاسرة بحرية وبرعاية الدولة .

+ زيادة مشاركة المرأة في قوة العمل ، وتوفير شروط عمل أفضل لها ،
وزيادة فرص التعليم أمامها ، وتأمين التدريب اللازم لها ، مع التأكيد
على قيمة الرعاية الحقة للطفل وقيمة الروابط الأسرية القوية في نمو
وتطور الأطفال الذين هم قاعدة المجتمع المقبل .

هـ - قوانين الهجرة والتجنس :

+ تعديل أسلوب اخراج المهاجر من أراضي الدولة المضيئة بأسلوب
إداري بسيط إلى أسلوب إحالته على القضاء وصدر حكم قضائي
يثبت التهمة الموجهة إليه .

+ ضمان حق المهاجر في اصطحاب أسرته إلى المهجر صونا لوحدة العائلة
ولحقتها في العيش المشترك .

+ استثناء أسرة المهاجر من تشريعات سحب الجنسية بالتبعية .

هذا ومن أبرز النقاط التي طرحها الأمير حسن والتي يتبناها على
الصميين العربي والعالمي مسألة تعويض الدول النامية المصدرة للقوى
العاملة المتخصصة وغير المهنية بالإضافة إلى الكفاءات في الميادين المختلفة من
قبل الدول المتقدمة والدول الأخرى التي تستورد الطاقات البشرية .



المؤتمر الدولي الثاني حول سوء معاملة الأطفال وإهمالهم
(المت عقد في لندن في الفترة الواقعة ما بين ١٢-١٥ ايلول ١٩٧٨)

د. محي الدين توي *

عقد المؤتمر الدولي الثاني حول سوء معاملة الاطفال وإهمالهم Child Abuse and Neglect في الكلية الملكية للعلوم والتكنولوجيا بلندن تحت رعاية سمو الاميرة مارجريت لبحث الامور المتعلقة باساءة معاملة الاطفال وإهمالهم باشتراك مندوبين عن تسع وعشرين (٢٩) دولة لم يمثل فيها من الدول العربية سوى الاردن وقد مثله عضو من الجامعة الاردنية وآخر من رجال القضاء وثالث من العاملين في الخدمة الاجتماعية ، وقد بلغ عدد المشتركين في هذا المؤتمر حوالي ١٢٠٠ مشترك من الاطباء وعلماء النفس والاجتماع والتربية والتمريض والامن والخدمة الاجتماعية ورجال القانون والقضاء .

لقد كان الموضوع الاساسي الذي قام عليه المؤتمر هو بحث موضوع « سوء معاملة الطفل في العائلة والمجتمع » وقد خصص المؤتمر بحثا واحدا لكل يوم من ايام المؤتمر كما يلي :—

- (١) مسؤولية المجتمع المحلي نحو العائلة والطفل المستقل .
 - (٢) المشاكل والصعوبات التي تواجهها العائلة .
 - (٣) الطفل المستقل ، تطوره واحتياجاته .
- وقد كان للمؤتمر غليات اربع هي : —
- (١) خلق جو يتمكن فيه العاملون المحترفون وغير المحترفين ، بنتيجة تبادل الاراء والخبرات من توسيع افقهم وتقوية قدراتهم على وضع حد لاستغلال الاطفال وإهمالهم ، وكذلك مساعدة العائلة التي تعيش في محنة .

- (٢) بحث الاهتمام لدى المختصين في كافة الحقول والمتطوعين والاداريين للاستفادة من وسائل الخدمات التي تهدف الى حماية الطفل .

* رئيس قسم علم النفس بالجامعة الاردنية .

٢) إبراز ما حققته البرامج المستحدثة في مختلف الاقطار .

٤) تشجيع الجماعات المحلية ومساعدتها على تنمية البرامج الخاصة بالجماعات التي تعيش فيها تلك الجماعات .

لقد درج المؤتمر على عقد جلسة عامة في صباح كل يوم من أيام المؤتمر يتوزع بعدها المشاركون على قاعات خصصت كل منها لبحث موضوع من المواضيع المطروحة . وفيما يلي ملخص لأبرز النقاط التي ركر عليها المؤتمر :-

١) في المجال القانوني

١) أن زيادة ملحوظة قد حصلت في السنوات الأخيرة في العالم كما كشفت عنها الإحصاءات ، في مجالات استغلال الأطفال خاصة من الناحية الجنسية بحيث أصبح من الضروري الاهتمام بوضع تشريعات جديدة تعالج مثل هذه الأمور .

٢) أن للطفل حقا في الحصول على الحماية من الاقوياء الذين يسيئون معاملته ويمتدون عليه مما يوجب سن القوانين التي تفرض العقوبات على من يعتدي على حق الطفل هذا .

ان الحرص على حماية الطفل من الاعتداء قد افرز بعض الآراء التي تقول بأنه يجب أن تعطى الحرية للطفل مهما بلغ سنه في اتخاذ الإجراءات القانونية ضد من يعتدي عليه ولو كان الاعتداء جنسيا ، للطفل أن يقرر السير في تلك الإجراءات أم لا اذا كان الفعل قد تم برضاه وموافقته .

لا شك أن الرضى حالة مرهونة بالسن ، فالمن الذي يقرر الاهلية كما نصت عليه قوانيننا يختلف عما ذهب اليه الباحثون في هذا الموضوع .

٣) لقد اتى هذا البحث أيضا على جرائم السفاح غروي أن تعالج هذه الجرائم بصورة عقلانية وتجنبنا لمضاعفات قد تؤدي اليها مثل هذه الجرائم فقد رأى أن تنحصر معالجة مثل هذه الجرائم ، أن كان لا بد من معالجتها قضائيا ، في محكمة تسمى محكمة العائلة Family Court

ان اقتراحا كهذا لا شك أن له فوائد كبيرة في مجتمعنا العربي فانشاء محكمة كالشار اليها ينطوي على خطوة كبيرة في تطوير المجتمع خصوصا اذا ما كان لقضاة مثل هذه المحكمة الحق في دراسة الأوضاع

الاجتماعية التي تسود العائلة التي وقع فيها مثل ذلك الحادث كما هو الحال بالنسبة لمحلكم العائلة في البلدان الاخرى .

٤) لقد كان انتشار الانحراف الخلقي والاباحية بين الاولاد ظاهرة استشرت في المجتمعات الصناعية الكبيرة بحيث عجزت القوانين الحالية عن معالجة هذا الانحراف او وضع حد له لذا اصبح لازما على المجتمع ان يلجأ الى وسائل التوعية والتوجيه في محاولة للقضاء على مثل هذه الاباحية .

٥) تطوير الوسائل التقنية لمعرفة عدد ونوع الحالات التي يتم فيها استغلال الاولاد والسفاح وتحسبا من المضاعفات القانونية فقد طرح البحث حول اجراء المقابلات الشخصية الناجمة التي تكشف تلك الحالات ووضع الوسائل التي تعيد للطفل ثقته بنفسه واشعاره بانه فرد له قيمته في المجتمع .

٦) الطفل المستكن (الطفل قبل ولادته) لقد تركز البحث على حالة المرأة الحامل واستعمالها للمخدرات التي بطبيعتها لها تأثير سيء على الطفل . لقد عالج القانون الاميركي مثل هذه الحالات ووضع قواعد لحماية الطفل قبل ولادته اذ اعتبر القانون الاميركي لبعض الغايات المستكن طفلا خصوصا اذا دخل الحمل في الاشهر الثلاثة الاخيرة .

هنالك انجاء على اعتبار تجريد العائلة من الطفل عندها تعجز او تفشل في تقديم الضروريات له او تعرض حياته للخطر واخذ الطفل منها ووضعها في مراكز خاصة بالرعاية عملا قانونيا بموجب تشاريح وضعت لهذه الغاية .

٧) دور الشرطة في التحقيقات المتعلقة بالاطفال . اذ ان الانظمة القانونية عامة تشترط ان تجري التحقيقات في الجرائم من قبل رجال الشرطة وقد نتج عن ذلك ان لحق ضرر بمصلحة الطفل بحيث حالت تلك التحقيقات دون تكوين الباحث الاجتماعي من تادية دوره الهادف لمصلحة الطفل ورؤي ان يتولى ذلك اخصائيو اجتماعيون .

ب) في مجال نمو الطفل المستغل وحاجاته

١) تؤكد احدى النظريات السيكولوجية في هذا المجال ان عوامل الحمر والضغط التي يتعرض لها الابوان وخاصة في المجتمعات سريعة التغير والنمو لها علاقة بحالات استغلال الاطفال .

٢) بينما تؤكد بعض النظريات الأخرى إلى أن التعلم الخلويء لاساليب مجابهة الإحباطات اثناء فترة الحياة هو الذي يؤدي إلى خلق استعداد لدى الابوين لامكانية استغلال الطفل والحق الاذي به . ومن الملاحظ أن هاتين النظريتين ليستا متعارضتين بالضرورة .

٣) تختلف الآراء في هذه المرحلة من تطور الإبحث في هذا المجال فيما إذا كان استغلال الأطفال وإهمالهم يعتبر بحد ذاته عرضاً مرضياً (نفسياً) أم أنه نتيجة لتوترات واضطرابات نفسية عند الابوين ، ولو أن البحث يميل الآن إلى تأكيد الاتجاه الثاني .

لقد كشفت الدراسات عن أعراض سيكولوجية مرضية متعددة عند الابوين المستغلين لأطفالهم .

٤) تظهر الدراسات بشكل متزايد أن للطفل المستغل والمتأذى وبخاصة جنسياً — مظاهر نمائية لا سوية بالمقارنة مع الأطفال العاديين وبخاصة فيما يتعلق بتكيفه الشخصي — أي علاقته مع ذاته — وبتكيفه الاجتماعي ، أي علاقته مع الآخرين .

٥) تشير كثير من الدراسات إلى وجود علاقة ارتباطية قوية بين استغلال الأطفال ومظاهر القصور في نهم اللغوي والحركي والعقلي ، كما تشير إلى وجود علاقة واضحة ما بين الاستغلال ومظاهر التخلف العقلي والجنوح والعدوان عند الطفل المستغل .

٦) هناك الكثير من الأساليب التدخل Intervention ومنع حدوث الظاهرة Prevention ولكن لا يبدو بأن البحث في هذا المجال قد تطور بما فيه الكفاية حيث أن معظم ما عرض من دراسات تشير إلى حالات خاصة من نوع دراسة الحالة Case History كما يبدو بأن استراتيجية التدخل تعتمد إلى حد كبير على نوع الحالة وطبيعة العائلة ونظراً لأهمية هذا الموضوع فقد خصص المؤتمر الدولي الثالث الذي سيعقد في هولندا لبحث موضوعي التدخل والمنع .

٧) تتركز بعض الدراسات الآن حول تحديد خصائص العائلة التي يمكن أن تستغل الطفل وذلك من أجل التنبؤ سلفاً بإمكانية حدوث الاستغلال ووضع الخطط والأساليب الوقائية وتجدر الإشارة هنا إلى أن الفوارق الحضارية والثقافية بين المجتمعات لا تسمح بتعميم نتائج الدراسات على مجتمعات غير المجتمع الأصلي الذي أجري عليه الدراسة ، ولذا فلا بد للدارسين في كل مجتمع من تحديد ملامح الأسر التي يمكن أن تستغل أطفالها .

ج) في مجال الرعاية والخدمات

١) الرعاية المؤسسية ، ويقصد بذلك الرعاية داخل المؤسسات وقد دلت الدراسات على ان الاطفال الذين ينزلون في هذه المؤسسات يتعرضون لمعاملة موحدة ، بغض النظر عن احتياجاتهم الفردية ، تسلبهم ذاتيتهم الفردية وتضعف عندهم الشعور الاسري ، غالبا ما تساء معاملة الاطفال في هذه المؤسسات .

٢) التبنّي كبديل للرعاية المؤسسية وهو اجراء يتضمن دفع نفقات خاصة لبعض الاسر ذات التاريخ الاجتماعي الحسن لاخذ طفل مستغل لفترة زمنية يتفق عليها .

٣) الاسر البديلة ، وهو انتزاع الطفل من أسرته اذا ثبت استغلاله من قبل الابوين ووضعه في اسرة بديلة فيها مقومات الاسرة السليمة ، ومن الممكن دفع تعويض لهذه الاسر ولكنها غالبا ما تكون متطوعة . ومن الجدير بالذكر ان في الاردن الان ما يزيد على الالف اسرة بديلة .

٤) ركز المؤتمر على دور المجتمع المحلي في محاربة استغلال الاطفال هذا الدور الذي لا يحل سوى مكنة بسيطة في المجتمعات الصناعية بالمقارنة مع المجتمعات التقليدية ، ان الاجتماعية الرسمية السائدة في المجتمعات الصناعية لا تستطيع ان تقوم بكل الدور في مواجهة المشكلات التي افرزتها التنظيمات الحديثة لهذه المجتمعات . فالاسرة الممتدة على سبيل المثال تقدم خدمات جلى في المجتمعات التقليدية مما يوفر على الدولة جهدا كبيرا وتكلفة باهظة . ولذا فان من واجب الدول الصناعية مساعدة الدول النامية في تحديث اساليبها وتقديم التوجيه والارشاد من خلال مؤسسات متخصصة وليس طرح بدائل عن الخدمات الحالية .

٥) ركز المؤتمر على اهمية التوعية للاسر في المجتمعات المكتظة لتقديم العناية والرعاية الكافية لابنائهم وعدم اهمالهم لكي لا يقعوا فريسة للمنحرفين والمستغلين ، ذلك ان الكثير من الانحراف والاستغلال يحدث في المجتمعات والاحياء المكتظة بالسكان .

٦) ركز المؤتمر على اهمية التخطيط الاسري ذلك ان الدراسات تشير بشكل واضح الى ان الكثير من الاستغلال يحدث ضمن الاسر كثيرة العدد نظرا لتوافر الاسباب النفسية والضغوط الاقتصادية والاجتماعية في مثل تلك الاسر .

لقد كان المؤتمر مناسبة جيدة لان يتبادل فيها المشتركون الاراء والخبرات في مختلف الحقول التي طرحت للبحث خصوصا ما يطبق منها في البلدان النامية على اختيار ما يتلاءم وظروف مجتمعاتهم وبيئاتهم .

تقدم في هذا المؤتمر حوالي (٢٠٠) بحث وتقرير جاءت معظمها من الدول المتقدمة وبشكل خاص من الولايات المتحدة ودول غرب أوروبا ، ولقد اظهرت بعض الاوراق حقائق مذهلة عن حجم مشكلة اساءة معاملة الطفل الجسدية والنفسية .نمها مثلا ان طفلين يموتان يوميا في الولايات المتحدة ويكون السبب في موتهما احد ابويهما . ولذا فقد ركز المؤتمر على اساليب كشف حالات سوء المعاملة والاجراءات الوقائية والعلاجية . ونظرا لاستشراء هذه الحالات وتزايدها السريع فقد تقرر ان يكون موضوع المؤتمر الدولي الثالث الذي سيعقد في امستردام سنة ١٩٨٠ متركزا حول سبل منع ظاهرة الاساءة وطرق التدخل عندما تقع المشكلة .

وكلل المؤتمرات المتعلقة بالمشاكل الاجتماعية فقد غابت التقارير والابحاث عن الدول النامية ولعل ذلك يعطي انطباعا خاطئا بان مشكلة اساءة معاملة الطفل واهماله ظاهرة ترتبط مع المجتمعات الصناعية المتقدمة . ان دول العالم الثالث بامس الحاجة لاجراء دراسات ميدانية للتعرف على حجم واثماط مشكلة اساءة معاملة الاطفال ، ذلك ان هناك اثماطا من الاساءة قد تكون خاصة بالدول النامية يسهل البحث على الكشف عنها .

وفي ختام المؤتمر ركز الدكتور هنري كمبي رئيس الجمعية الدولية لمنع اساءة معاملة الطفل واهماله على أهمية زيادة المشتركين من دول العالم الثالث واكد على أن الجمعية ستخصص مبالغ من المال لاستقدام وعود من هذه الدول . ولعل هذا التقرير ينبه العاملين في المجالات الاجتماعية في الوطن العربي الى أهمية الموضوع ووجوب المشاركة في بحثه ودراسته اعدادا للمؤتمر الدولي الثالث .



صدر المجلد السنوي الرابع عشر



كبرى المجلات
المتخصصة
في الوطن
العربي

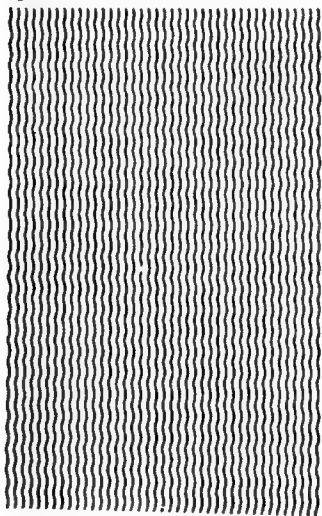
- مرجع عالمي للعاملين في المجال السياسي والدبلوماسي والإعلامي .
- تصدر عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأنكهرام
- المجلد مزود بغير من تحليلي وفهرس للمعاهدات والاتفاقات الدولية .
- ١٠٠٠ صفحة ... الثمن ٢٠٠ قرش
- يطلب من قسم الاشتراكات بمؤسسة الأنكهرام تساع المجلد
- القاهرة - جمهورية مصر العربية .

■ يضم الأعداد (٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤) الصادرة خلال عام ١٩٧٨

رئيس التحرير

د. بطرس بطرس غالي

تفاریق



الخبرة الأجنبية في التدريس الإعلامي للعالم العربي

د. نبيل دجاني *

مقدمة :

موضوع الخبرة الأجنبية في بلادنا العربية قديم ومؤلم . قديم قدم تراجعنا الحضاري نتيجة لمصور الاستعمار المظلمة التي مررنا بها ومؤلم لانه يمثل حاليا أمرا واقعا يفرضه علينا تخلفنا وليس أمرا نسعى اليه من موقع الامة المتطور التي تبني تلقيح خبرتها بالجديد من الخبرات الأجنبية .

فالخبرات الأجنبية التي نحصل عليها غالبا ما تفرضها علينا ظروفنا السياسية أو الاقتصادية أو كلاهما معا ، وهي عادة تأتينا لان حصولنا عليها يناسب الدول الصناعية المتقدمة التي ترسلها لنا ، أو لانها فشلت في هذه الدول فسمعت الينا لعدم تمكنها من العمل في بلادها .

لن اتعرض هنا لبحث خلفية الخبرة الأجنبية في العالم العربي فهذا البحث متشعب ويلزمه الكثير من التفاصيل التي ليست لدي حاليا . ما أود ان اتعرض له هو وضعنا الحالي في تدريس الاعلام ودور الخبرات الأجنبية في هذا الوضع وسأعرض بصورة سريعة تطلعي للدور الممكن والأفضل لدور الخبرات الأجنبية في تدريس الاعلام العربي ، آملا في مناقشتكم لهذا التطلع والانتهاه من هذه المناقشة برؤية أوضح وراي أصوب .

وضع تدريس الاعلام في العالم العربي :

الصورة العامة التي يكونها الباحث في مناهج الاعلام في العالم العربي ، والتي تؤكدتها التقارير التي بين أيدينا من الدكتور أحمد حسين والاستاذ حمدي قنديل تشير بوضوح الى أن الوسائل الموجودة لدى معاهدنا الاعلامية تقتصر دون الغايات التي نسعى اليها . فهناك أولا نقص كبير في هيئات التعليم والتدريب ، نقص نوعي ونقص كمي ، وهناك ايضا نقص في أجهزة التدريب العملي ونقص في المؤلفات والمراجع العلمية في الدراسات الاعلامية .

والنقص النوعي في هيئات التعليم والتدريب هو أخطر ما نعانيه . فمعظم اساتذة الاعلام في معاهدنا غير متخصص علميا في حقل الاعلام بل هم على الأرجح إما ممن مارس مهنة الصحافة ، مكتوبة كانت أم مسموعة ، أو ممن

* استاذ الاعلام بكلية الآداب والعلوم في الجامعة الأمريكية ببيروت .

يمكن من لفحة كتابة أو خطبة . وهذا يعود الى أن مجتمعنا لا يزال حتى اليوم يتأثر بالعقائبة العثمانية القديمة فكل من أجاد الخطابة والكتابة فهو « اعلامي » يحق له أن يمارس الاعلام ، بل أن يحاضر فيه .

ونتيجة لهذه النوعية في هيئتنا التعليمية كانت لنا مناهج ضعيفة وغير مدروسة بل أن معظمها مستعار من مناهج معاهد أخرى . وكذلك المواد التي نقررها لطلابنا مواد غير مترابطة مع بعضها البعض . فالمواد التي لها علاقة بمجتمعنا « ترقع » مع المواد المستوردة . وغالبية هذه المواد ليست أساسية في أعداد رجال اعلام بالمعنى الصحيح . وفي الوقت نفسه نرى غالبية المواد التي يجب أن تكون أساسية لأعداد رجال اعلام المستقبل مهمل كالخطيب الاعلامي ، ووسائل الاعلام التقليدية ، ودور الاعلام في التنمية الوطنية ، وغيرها . حتى تاريخ الصحافة العربية بهتوا الصحيح ، مهمل وغير مقرر . وبالإضافة الى ذلك فليس لهذه النوعية من الاساندة امكانية انتاج الأبحاث أو الكتب الجامعية التي نحن في أمس الحاجة اليها في هذه المرحلة .

ونظرة سريعة الى الكتب العربية في حقل الاعلام ترىنا أن معظمها إما تراجع أو مؤلفات ركيكة أغلبها لا يحتوي على جديد بل ما هو الأفكار الأجنبية مستعارة . وفي كثير من الأحيان حتى هذه الأفكار الأجنبية المستعارة تكون مشوهة وغير دقيقة في نصها العربي .

إما أبحاث أساتذتنا فهي نادرة ندرة المطر في صحرائنا . وندرته لا تعود الى نوعية هيئتنا التعليمية فقط إذ أن بعض أساتذتنا العرب من نوعية جيدة ، بل ممتازة ، ويمكنها أن تقوم بأبحاث على مستوى عالمي . غير أن هذه النخبة من الاساندة لا تتوفر لها الإمكانيات المادية لإجراء أبحاثها . وكذلك لا تتوفر لها الحوافز التي تتوفر لامثالها في الدول الصناعية المتقدمة كاعفائها مثلا من تدريس إحدى المواد التي تدرسها كي تخصص وقتا أكبر لبحثها . ويساهم أيضا في ندرة أبحاثنا الاعلامية النص الكمي للمتخصصين في الاعلام إذ أن الكثير من الأبحاث المتقدمة تستلزم فريقا من العلماء وهذا ما لا يتوفر في أغلب معاهدنا .

وسبب آخر لتقصير وسائلنا التدريسية يكمن في الاهمية الثانوية التي تعطىها دول العالم العربي للعمل الاعلامي . فهذه الدول تخصص جزءا يسيرا جدا ، وغير كاف ، من ميزانياتها للقطاع الاعلامي . أضف الى ذلك أن مؤسساتنا الحكومية والخاصة تشدد على الانتاج الاعلامي على حساب أعمال اعلامية أساسية كالبحث والتقييم والتدريب والتوزيع الصحيح ، أي أنها لا تنظر الى العملية الاعلامية ككل وبالتالي فهي لا تقبل فكرة الاعلام كعلم

له دوره الهام في التنمية الوطنية فلا تساهم هذه المؤسسات في تمويل الابحاث الاعلامية أو حتى في مسح الامكثات الاعلامية في مجتمعنا كي تستفيد من هذه الامكثات .

وضع تدريس الاعلام الذي نحن فيه فتح المجال واسعا امام الخبرات الاجنبية كما فتح المجال امام « الاعلامية » والصحافيين الممارسين . ووجود الخبراء الاجانب « والاعلامية » والصحافيين الممارسين في هيئات تدريس الاعلام ليس بالضرورة سيء في حد ذاته . ما يجعله سيئا هو أن هذه الفئات هي اساس هذه الهيئات . وكما اشرت في مقدمتي لهذا البحث فالسيء في استخدام الخبرات الاجنبية والصحافيين الممارسين « والاعلامية » هو في كون هذه الفئات هي التي تختارنا ولسنا نحن الذين نختارها .

الاستاذة الاجانب الذين يأتون الينا اختارونا اما لاجراء ابحاث نههم أو لعدم وجود وظائف مناسبة لهم في بلادهم . ومعظمهم لا يعرفون حضارتنا ولا توغر لديهم المعلومات الكافية عن وسائل الاعلام واجهزته في العالم العربي ، وبالتالي فما يدرسونه لطلابنا لا علاقة له بمجتمعنا . فالخبر أو الاستاذ الاجنبي ليس مطلع عادة على خصائص بلادنا وميزاتها وبالتالي فهو لا يدرك ما وراء المشاكل الاعلامية أو التقنية . والعامل الحضاري هو من العوامل الاساسية التي يجب اعتبارها في جميع مجالات التدريس والتدريب الاعلامي . فتدريس مادة دور الاعلام في المجتمع الحديث ، مثلا ، يتطلب معرفة المجتمع العربي وتفاعله مع وسائل الاعلام العربية ، وتدريس مادة دور الاعلام في التنمية الوطنية يتطلب ، فيما يتطلب ، معرفة مشاكل التنمية في المجتمعات العربية . حتى تدريس مادة متخصصة كالهندسة الاذاعية يستلزم معرفة المجتمع لربط تقنية الاذاعة بحاجات المجتمع . فالتكنولوجيا يجب أن تكون خادمة للانسان في حقل بناء وتطوير وسائل الاعلام وليس العكس . والصعوبة الحقيقية هي في اندماج التكنولوجيا مع البنية الاجتماعية . فاعتماد التكنولوجيا يتسبب بنمط جديد في العمل وبأسلوب جديد أيضا في الانتاج وحتى بمحتوى جديد . ومن هنا يتوجب على استاذة المواد التقنية في الاعلام اقتراح اساليب لتكييف التكنولوجيا المستوردة مع حاجات المنطقة وأوضاعها .

وحتى عندما لا يكون للعاملين السياسي والاقتصادي اثر في اختيارنا للخبراء الاجانب يكون هذا الاختيار ، في كثير من الاحيان ، متأثر بشعورنا بالتخلف وبالرغبة في القفز الى تبني التقنية الحديثة ، ايا كانت ، والتماهي في التخلي عن مؤسساتنا القديمة . وقد يكون كذلك متأثرا بعقيدة « كل فرنجي برنجي » أي أن كل اجنبي يكون بالضرورة من نوعية جيدة وبالتالي فكل امكانية محلية تكون بالضرورة أيضا من نوعية رديئة .

وشعورنا بالتخلف يقودنا في اغلب الاحيان الى محاولة الدخول الى ميادين حديثة قبل ان يكون لدينا الاستعداد الكافي لدخول مثل هذه الميادين . فمثلا ، ترانا اليوم نسارع الى انشاء معاهد او فروع لتدريس الاعلام في جامعاتنا قبل توفر الاساتذة لتدريس هذا الموضوع ، وحتى قبل توفر الحاجة الى مثل هذا الموضوع من ناحية وجود طلاب بعدد كاف يبرر انشاء مثل هذه المعاهد او الفروع . وعندما نخطط لمناهج هذه المعاهد والفروع ترانا نلتفت الى مواضيع حديثة كالتلفزيون الملون والاتمار الاصطناعية ونهمل مواضيع اكثر اهمية ، ولكنها تقليدية ، كالغنون الشعبية والصحف الريفية او وسائل الاعلام الشعبية . واذا جاز لي ان استعمل هنا تعبير شعبي لبناني « فنحن نقبل على اكل الهامبرغر لانها اكلة اجنبية ونخجل من اكل الفلافل (او الطعمية) لانها بلدية » .

وعندما يتم اختيار الخبرات الاجنبية وفق خطة صحيحة ، تبرز مشكلة اللغة الاجنبية كعامل يؤثر في فعالية عمل الخبير الاجنبي . فاللغة الاجنبية عند غالبية طلاب العالم العربي ضعيفة . والطلاب العربي اجمالا لا يستطيع استيعاب كل ما يمد به الاستاذ الاجنبي من معلومات بسبب ضعف لفته الاجنبية . وهو كذلك لا يستطيع ان يستوعب معلومات الكتب او غيرها من المراجع الاجنبية .

ما عرضته حتى الان هو تصوري للمشاكل التي تواجه استيراد الخبرات الاجنبية . وارى ايضا ان هناك محاذير في سمي الطلاب العرب نحو هذه الخبرات في الخارج . فبالاضافة الى خطر كون الاساتذة في الخارج ليسوا على اطلاع على حضارتنا فان انصباب اهتمامهم هو على مشاكل وحاجات البلدان التي يدرسون فيها . وهذا قد يؤدي الى ان يحصل طلابنا في الخارج على معلومات لا علاقة لها بحاجتنا ، وقد يؤدي ايضا الى تقبلهم لقيم جديدة قد لا تكون نافعة لمجتمعنا العربي . وكذلك نرى ان العديد ممن نرسلهم للتخصص في الخارج لا يرجعون الينا بعد ان يتعرضوا لآغراءات مادية ومهنية ، اضعف اليها الآغراءات الحياتية المتوفرة في البلدان المتقدمة . فالمعاشات التي ندفعها في العالم العربي للمتخصصين في حقل الاعلام قليلة بالنسبة لما يحصله مثل هؤلاء المتخصصين في الخارج . وبالإضافة الى ذلك فان المتخصص بالاعلام في العالم العربي لا تتوفر له فرص النمو المهني كالذي يعيش في الخارج . كما ان انتقال طلابنا الى الخارج يتطلب منهم التأقلم بعادات المكان الجديد الذي ينتقلون اليه وبعد فترة تصبح هذه العادات الاجنبية متأصلة فيهم ويصعب عليهم التخلي عنها عند عودتهم الى مجتمعاتهم ومن ثم يتعرضون لمشاكل نفسية وحضارية قد تؤثر في انتاجهم .

الدور المرتجى للخبرات الأجنبية :

بعد هذا العرض السريع لوضعنا الحالي في تدريس الاعلام اود ان اشدد على أن عرضي لمحاذير استعمال الخبرات الأجنبية لا يعني ولا يقصد به اطلاقا الدعوة الى عدم الاستمرار في الاستعانة بالخبرات الأجنبية بل على العكس فان ما ادعو اليه هو الزيادة من الاستفادة من هذه الخبرات شرط اصلاح الوضع الحالي فنحدد نحن ما نحتاجه من خبرة لا ما يقررونه هم ، ونتخلص من سيطرة الاجانب على المناهج والاساليب .

ولكي نستطيع تحديد ما نحتاجه والتمكن في وضع مناهجنا واساليبنا حسب حاجتنا وتطلعاتنا ، لا بد لنا من البدء بمسح الامكانات البشرية اللازمة لمؤسساتنا الاعلامية الحالية والمستقبلية وتحديد الحاجات التي تتطلبها برامجنا الانمائية . وهذا العمل يساعدنا على وضع سياسات تربوية اعلامية صحيحة تسمح بالتنوع شرط أن يؤدي هذا التنوع الى التكامل لا التناثر في المنطقة العربية الواحدة . والى حين وضع مثل هذه السياسات ارى ضرورة تجعيد انشاء اي معاهد اعلامية جديدة او تطوير المعاهد الحالية .

ووضع سياسات عربية في حقل تدريس الاعلام يتطلب التنسيق بين جميع الجامعات في الدول العربية . واود ان اعرض تطلعي لما يمكن أن تخطط له السياسات الاعلامية التي ادعو اليها .

اول ما ارى أن نتطلع اليه هو توحيد المناهج في المعاهد الاعلامية العربية وتطوير العلاقة بين هذه المعاهد والتنسيق فيما بينها . وما اقصد به بالتوحيد هنا لا يعني تدريس المواد نفسها ، مادة مادة ، في كل معاهدنا ، بل توحيد المواد الاساسية والاتجاه والرؤيا العامة . وهدف اخر يوازي هذا الهدف الاول في الاهمية هو السعي نحو النوعية لا الكمية في تخريج رجال اعلام المستقبل . وتحقيق هذا الهدف قد يستلزم القبول ببدء الحد من ايجاد معاهد لتدريس الاعلام بل قد يستوجب حصر تدريس الاعلام في معاهد محدودة تساهم جميع الدول العربية بتكوينها بحيث توزع اختصاصات كل معهد بشكل تكاملي . وبتحقيق هذا الهدف الاخير يمكننا حصر الاساتذة العرب المتخصصين في معاهد قليلة فيكون لكل معهد نخبة من الاساتذة من النوعية الجيدة . وهذا التدبير يساعد على اخصاب الابحاث واكثر الانتاج العلمي ، سواء من ناحية وضع الكتب الدراسية التي نحن في أمس الحاجة اليها او من ناحية التدريس والتدريب ، او التطبيق العملي ، من خلال المؤسسات الاعلامية العاملة والخاصة التي يمكنها الاستفادة من هذه الهيئات . وكذلك يمكننا هذا التدبير من اعداد برامج للتخصص العالي لتدريس النخبة من خريجينا بدل ارسال هؤلاء الى الخارج .

وعندما نحقق هذا يمكننا الاستعانة بالخبرات الأجنبية التي تأتيها لتساند خبراتنا العربية وتساهم معها في بناء ما نسمى اليه عن طريق المشاركة لا القيادة .

والاستعانة بالخبرات الأجنبية يتطلب اعتماد مبدأ التدريس بلغتين ، عربية وأجنبية . والدعوة لاعتماد لغة أجنبية في تدريسنا لا يقصد منه فقط الاستفادة من الخبرات الأجنبية التي تأتينا . وهذا أمر ضروري إذ لا يمكن لطلابنا الاستفادة من الاساتذة الأجانب بدون تمكنهم تمكنا جيدا من اللغة الأجنبية . حتى ولو استعنا بمعيدين فإن مثل هذه الاستعانة تقلل من الاستفادة التي يمكن أن تتم عن طريق الاتصال المباشر بين الطالب والاستاذ وتضيع الكثير من وقتهم . وما أقصده أيضا بمبدأ الاستعانة بلغة أجنبية في تدريس الاعلام هو الا ينقطع طلابنا عن انتجازات العالم الخارجي في هذا الحقل . فانتاجنا العربي في حقل الاعلام في الوقت الحالي لا يكفي لسد حاجات العقل الجيد . وعندما تصبح لنا القدرة على الاكتفاء الذاتي ويصبح العالم يتطلع الى ابحاثنا ودراساتنا يمكننا أن نكتفي بالتدريس باللغة العربية . هذه حقيقة قد تكون مؤلمة ولكنها حقيقة يجب أن نواجهها بموضوعية وواقعية .

ولكي نسير في درب الاكتفاء الذاتي لا بد لنا من ايجاد مؤسسة عربية كبرى لتمويل الابحث والدراسات الاعلامية على غرار المؤسسات الأجنبية الكبيرة . ويكون دور هذه المؤسسة ، بالإضافة الى تمويل الابحث الاعلامية ، التنسيق بين الابحث العربية المختلفة وتشجيع التي تكون فيها فوائد وطنية . وكذلك تشجيع المتخصصين في الاعلام ممن بقوا في الخارج بالعودة الى العالم العربي بالإضافة الى تمويل برامج خاصة تمكن جامعاتنا من دعوة العالميين من اساتذة الاعلام لحد معينة للتدريس او لاجراء الابحث في العالم العربي .

وما قدمته في عرضي السريع والمختصر هذا لا يشكل سوى افكارا أرجو ان تصلح كأساس لبدء نقاشنا في موضوع الخبرات الأجنبية في تدريس الاعلام في العالم العربي .



مراسم اعتماد الممثل الدبلوماسي

د. نادر العطار *

والمقصود هو الممثل الدبلوماسي الاول في البعثة الدبلوماسية ، اي رئيس البعثة سواء كان سفيرا ام قائما بالاعمال ، ام وزيرا مفوضا .

ويشكل حفل تقديم اوراق الاعتماد ، او حفلة المثل ، نقطة حاسمة في حياة المبعوث الدبلوماسية في العاصمة التي قد تطول او تقصر اقامته فيها ، حسب نجاحه في تأدية مهمته ، وتطور العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ، ومتغيرات السياسة الدولية .

والواقع . . ان الاعتماد الحقيقي يبدأ منذ اتخاذ دولة ما قرارا بتسمية مبعوثها الدبلوماسي الاول لدى دولة أخرى ، سواء كان أصلا من الدبلوماسيين المحترفين ام لم يكن ، فان العرف والتعذيب الدبلوماسيين يقتضيان بان يؤخذ رأي الدولة التي سيعتمد لديها السفير ، لمعرفة ما اذا كان (شخصا مرغوبا فيه (Persona Grata)) ام لا ، وهو ما يسمى دوليا بـ (استمزاز الرأي (Placet)) .

ولا يمكن القول بان الامر يتعلق بالتزام حقوقي يؤدي الى النيل من سيادة الدولة الموفدة ، وتحديد صلاحياتها في اختيار مبعوثها الدبلوماسيين لدى الدول الاخرى . فللدولة ، كل دولة ، مطلق الحرية في اختيار من تراه صالحا لتمثيلها في الخارج ، ولكن لا شك ايضا ان الدولة التي سيقوم فيها هذا المبعوث ، متبهما بجميع الحصانات والامتيازات الدبلوماسية ، لها الحق في ابداء رأيها سلفا فيه ، لئلا يؤدي تصرفه ، فيما بعد ، الى ما لا تحمد عقباه بين الدولتين . وما دام الاستمزاز متبادلا ، وما دامت الدولة الاخرى مستقومة باستمزاز رأي الدولة الموفدة ايضا عندما تنفق سفيرها لديها ، فان مبدأ المقابلة بالمثل يبطل مفعول الشعور بالانتقاص من السيادة القومية عند الاستشارة المذكورة .

ولا بد من الاشارة بهذه المناسبة ، الى خادشة (كومندادور كاتالاني) الذي عينته ايطاليا ، في اواخر القرن الماضي ، سفيرا لها في استامبول دون

استمزاز رأي الحكومة العثمانية ، فرفض السلطان عبد الحميد الثاني ذلك رفضاً قاطعاً ، علله المؤرخون بأن المبعوث الدبلوماسي كان قد تزوج ابنة أحد الباشوات المناوئين ، ولكن الدبلوماسي الإيطالي تجاهل هذا الرفض ، وحضر إلى العاصمة العثمانية لمزاولة مهام منصبه الجديد هناك ، مما أغاظ الحكومة العثمانية ، ووصل الأمر بوزير الخارجية العثماني إلى حد الطلب من الدبلوماسيين الآخرين في الاستانة عدم زيارة المبعوث الإيطالي الذي لا يعترف له السلطان بأية صفة دبلوماسية وأبدت إيطاليا استعدادها لحل المشكلة ، وذلك باعتبار (كاتالاني) مجرد قائم بالأعمال ليس إلا ، ولكن السلطان أصر على الرفض ، وطلب سحب كاتالاني كحل وحيد للمشكلة . هنا تازم الموقف بين الدولتين ، وظهر الأسطول الإيطالي أمام الدردنيل مهدداً معريداً ، مما أربح العثمانيين واضطروهم إلى قبول كاتالاني أخيراً دون قيد ولا شرط . وفي ٢٨ آب — أغسطس ١٨٩٤ قدم (كوندادور كاتالاني) أوراق اعتماده كسفير لإيطاليا لدى السلطان عبد الحميد الثاني في الاستانة ، وقضى الله أمراً كان مفعولاً .

ولكن كيف يجري استمزاز الرأي هذا ؟

جرى العرف على أن يتم ذلك عن طريق البعثة الدبلوماسية لدى الدولة المضيئة التي ستستقبل السفير الجديد ، بواسطة القائم بالأعمال : (إذ نادراً ما يتم ذلك عن طريق السفير أو الوزير المفوض الراحلين) ، وذلك بإعلام وزارة خارجية الدولة المضيئة عن اسم رئيس البعثة الجديد الذي وقع الخيار عليه . ويمكن أن يتم استمزاز الرأي بصورة شفوية ، أو بمذكرة بسيطة تذكر اسم المبعوث الجديد مع معلومات مبدئية عنه ، للدلالة على أن الأمر لا يتعلق (باستئذان) الدولة المضيئة بل ببادرة تهذيب دبلوماسي متعارف عليه ، ولو أن هذا (التهذيب الدبلوماسي) أمر لا بد منه بين الدول الموقعة على (سك هافانا) الذي نصت المادة الثامنة منه على أنه (لا تستطيع أية دولة اعتماد ممثلها الدبلوماسيين لدى الدول الأخرى دون الاتفاق المسبق عليهم مع تلك الدول) .

إلا أنه في بعض الظروف الخاصة ، تضطر الدولة الموقدة إلى استمزاز رأي الدولة المضيئة عن طريق البعثة الدبلوماسية لهذه الأخيرة لديها ، خصوصاً إذا كان خروج السفير السابق من عاصمة تلك الدولة غير طبيعي لأسباب شخصية ، أو لأي سبب آخر استثنائي ، كما أن هذا الاستمزاز قد يتم عن طريق سفارة دولة ثالثة ، خصوصاً عند الاعتراف بدولة أو بحكومة جديدة ، بل أن الظروف الاستثنائية قد تجبر الدول في مثل هذه الحالات على صرف النظر عن استمزاز الرأي إطلاقاً ، كما حدث عند الاعتراف بحكومة

النروج ، التي قررت الانفصال عن السويد في ٧ حزيران — يونيو ١٩٠٥ ، وعينت حكومة مؤقتة لتصريف الامور ريثما يتم تنويع المعامل النروجي . واعترفت الغالبية العظمى من الدول باستقلال النروج بين ٢٩ تشرين الاول — اكتوبر و ١٠ تشرين الثاني — نوفمبر ١٩٠٥ ، بل ان بريطانيا انشأت لها قورا مفوضية في العاصمة النروجية (وكان اسمها كريستيانيا) ، وعينت السيد (آرثر هيربرت) وزيرا مفوضا لها هناك . وسارعت الدول الى تسمية بمفوضيها الدبلوماسيين لدى النروج بالسرعة الكلية دون أية استشارة مسبقة كي يتاح لهم حضور حفلة تنويع اول معاهل نروجي ، مقدمين نسخا عن اوراق اعتمادهم الى وزير الخارجية ، حتى تم الحدث الهام في تاريخ النروج ، وقدموا اوراق اعتمادهم الى المعاهل الجديد بعد ذلك حسب الاصول .

ولا شك ان هذه حالة خاصة جدا ، والاصل هو استمزاغ راي الدولة المضيفة ، الذي قد يتم بالتشاور المباشر بين الحكومتين (الموفدة والمستقبل) خصوصا عند انتهاء نزاع مسلح بين الدولتين واجراء المفاوضات المؤدية الى الصلح ، والتي يمكن من خلالها الاتفاق على سفير كل منهما لدى الاخرى .

بل قد يصل الامر الى حد ارسال الحكومة الموفدة قائمة تحتوي على عدة اسماء الى الحكومة المستقبلية ، لتنتقي هذه الاخيرة السفير الذي ترى امكانية اعتماده لديها ، كما يحدث احيانا عند تسمية السفير البابوي (او القاصد الرسولي كما يسمونه هناك) لدى حكومات فرنسا واسبانيا والنمسا والبرتغال . ولعل مرد ذلك الى الصلاحيات والميزات التي يتمتع بها السفير البابوي في تلك الدول ، وقد يختار عميدا للهيئة الدبلوماسية بصرف النظر عن تاريخ تقديم اوراق اعتماده . وقد جرى العرف في هذه الاحوال على اختيار السفير من بين الاسماء الاولى في تلك القائمة ، وهي اسماء المفضلين عادة لدى الدولة الموفدة .

هذه الحالات الاخيرة يمكن اعتبارها ايضا حالات خاصة ، وتبقى القاعدة الاساسية هي تسمية سفير واحد ، تستشار بشأنه الدولة التي سيعتمد لديها — كما تقدم — ولها ان تبدي عدم موافقتها على الشخص المقترح ، الامر الذي يؤدي عادة الى توتر بين الدولتين ، وتترك الدولة الموفدة فترة من الوقت تضي قبل استمزاغ الراي من جديد ، او تبقى العلاقات الدبلوماسية مع الدولة المضيفة على مستوى (قائم بالاعمال) .

ولكن ما هي الانسب التي تجعل الدولة المستقبلية (او المضيفة) تعتذر عن اعتماد مبعوث دبلوماسي لديها ؟

قد يكون رفض قبول ممثل دبلوماسي لاسباب خاصة تتعلق بشخصه ، او لاسباب عامة . والامثلة كثيرة على ذلك ، أبرزها ما حدث سنة ١٨٢٢ عندما رفض القيصر روسيا قبول (سير ستراتفورد كاتينغ) (Sir Stratford Canning) كسفير لبريطانيا في حاضرة روسيا القيصرية ، لان خبر تسمية السفير المذكور كان قد نشر في صحف لندن قبل استمزاغ راي حكومة القيصر . وأصر (بالمرستون) على حق كل بلد في تعيين ممثليها الدبلوماسيين في الخارج بحرية تامة ، وضرب مثلا على ذلك تعيين (اللورد دورهام) في المركز نفسه من قبل دون استمزاغ راي الحكومة الروسية ، وأصر القيصر من جهته على عدم استقبال كاتينغ وعدم قبول أوراق اعتماده بأي شكل ، وهكذا اضطرت الحكومة الى ارسال كاتينغ في مهمة خاصة الى اسبانيا ، وحملته بأوراق دعتة فيها بـ (سفير بريطانيا في روسيا) . وأخيرا أعيد (اللورد دورهام Lord Durham) سفيرا لبريطانيا لدى حكومة روسيا القيصرية في سان بطرسبورغ، وانتهى الموضوع بسلام .

وفي سنة ١٨٨٥ ، رفضت الحكومة الإيطالية قبول المستر (هيلي) (Heiley) كوزير مفوض للولايات المتحدة في إيطاليا ، لان المبعوث الدبلوماسي المقترح كان قدلقى خطابا قبل ذلك في بلاده ، تهجم فيه على إيطاليا والفاتيكان . ومن الغريب أن هذا المبعوث الدبلوماسي نفسه رفضته الحكومة النمساوية كممثل دبلوماسي لبلده في فيينا بعد ذلك ، الامر الذي دعا الحكومة الاميركية الى قصر التمثيل الدبلوماسي مع الحكومة النمساوية على مستوى (قائم بالأعمال) وصرف النظر عن رفعه الى مستوى (سفارة) .

ولا بد من التنويه بان اللجان الاميركية الحزبية كثيرا ما وجدت أن استمزاغ الراي مضیعة للوقت ، حتى أن السيد (روبرت بتلر) الذي كان المدير المالي للجنة الحزب الديموقراطي الوطنية ، عندما سمي سفيرا للولايات المتحدة في أستراليا ، لم تعلم حتى وزارة الخارجية الاميركية بهذا التعيين الا بعد اعلانه في وليمة اقيمت على شرفه . وسكتت وزارة الخارجية عن ذلك لانها اعتادت على تجاهلها في مثل هذه الحالات . ولكن الحكومة الأسترالية لم تسكت ، بل أعلنت بعد ذلك أن الطريقة الاميركية في ادارة شؤونها الدبلوماسية غير لائقة ، ومتسفة . ويتسأل البعض : هل على الدولة المضيفة تقديم تفسير مقنع للدولة الموفدة لاسباب عدم قبولها لمبعوث دبلوماسي لديها ؟

الظاهر أن البريطانيين يصرون على ذلك ، ولكن أكثر الفقهاء يجمعون على أن احترام سيادة الدولة المضيفة يجعل من المتعذر الإصرار على ذلك من قبل

الدولة الموفدة ، ولو أن بعض الدول تقدم مثل هذه التفسيرات حفاظا على صداقتها مع الدولة الموفدة .

فإذا ما تم استمزاز الرأي ، ووافقت الحكومة المضيفة ، عمدت الدولة الموفدة الى تعيين السفير الجديد نهائيا ، وعندئذ يتوجب على هذا الأخير زيارة ممثل الدولة التي سيوفد إليها ، قبل مغادرة بلده ، ودراسة العلاقات القائمة بين دولته والدولة الأخرى من خلال تقارير سلفه ، والمعلومات المتوفرة عن الشخصيات السياسية في البلد الذي سيعتمد لديه ، ثم تزوده وزارة الخارجية (في بلده) بكتاب الاعتماد ، والخطاب الذي سيلقيه في حفلة المثل ، وجواز السفر الدبلوماسي ، مع التعليمات اللازمة والرموز أو الأرقام المستعملة في مخابراته السرية مع دولته ، ثم يفادر عاصمة بلده الى مقر منصبه الجديد ، بعد مقابلة رئيس دولته وتلقي توجيهاته الأخيرة .

وقد الغيت مراسم الاستقبال الرسمي والحفاوة البالغة التي كانت تتبع في الماضي عند وصول الممثل الدبلوماسي (كانت بعض الحكومات تذهب الى حد استقباله بمظاهر الحفاوة منذ وصوله الى حدود بلادها) واقتصرت الان على استقباله بمظاهر الحفاوة منذ وصوله الى حدود بلادها) واقتصرت الان على مديرية المراسم (في المحطة أو في المطار أو في الميناء البحري ، حسب واسطة النقل التي يستخدمها المبعوث الدبلوماسي ، أما اذا قدم بالسيارة فان استقباله يكون في سفارته .

ويذكر أحد الدبلوماسيين الأميركيين أنه كان في طريقه الى الانحصاد السوفياتي لتقديم أوراق اعتماده بعد تعيينه هناك مرة ثانية ، وكان قد قرر أن يستقل القطار الى موسكو ليستعيد ذكريات الأيام الجميلة التي قضاها في تلك البلاد . وعندما دخل القطار المحطة النهائية في موسكو ، لاحظ السفير مظاهر الاحتفال على أرصفة المحطة حيث اصطف المستقبلون بشكل منتظم وهم يحملون الاعلام ، فامتلات نفسه بالسرور لهذا الوفاء للخدمات التي طامسا قدمها لتحسين العلاقات بين البلدين ، الامر الذي لم يجد له أي تفسير . ووقف العناصر النسائية بين المستقبلين ، الامر الذي لم يجد له أي تفسير . ووقف القطار ، ونهيا السيد السفير للنزول والتلويح بيده لمستقبله تحية وشكرا ، وإذا بالمستقبلين يتجهون جميعا للترحيب بسيدة بديئة كانت تهبط سلم عربة أخرى . ثم اكتشف ، بشيء من خيبة الأمل ، أن ذلك اليوم كان يوم المرأة السوفياتية ، وأن الجماهير النسائية التي رآها كانت تنتظر رئيسة الاتحاد النسائي ، التي كانت تستقل نفس ذلك القطار الى العاصمة السوفياتية !

يعكف الممثل الجديد ، منذ وصوله الى العاصمة التي سيعتمد فيها سفيرا او وزيرا مفوضا ، على مراجعة اجراءات مراسم البلاط او القصر المتعلقة بتقديم اوراق اعتماده ، ويقوم سلفه او القائم بالاعمال باعداد مذكرة وافية له عن ذلك ، فاذا التيسر شيء ، تم الاستيضاح عنه من مديرية المراسم في القصر او في وزارة الخارجية او من عميد الهيئة الدبلوماسية ، اما بواسطة الممثل الجديد نفسه او احد موظفي الهيئة الدبلوماسية ، اذ لا يجوز له مباشرة اي عمل رسمي قبل حفلة التمثول او تقديم اوراق اعتماده ، فلا يقبل دعوات رسمية ولا يقيم هو اية حفلة رسمية ، اما الاتصال الشخصي البحث بزملائه ومعارفه فحائز ، ولكن بشكل محدود .

ثم يبعث السفير الجديد الى وزير الخارجية في الدولة التي سيعتمد لديها ، بكتاب يبلغه فيه عن تاريخ وصوله ، طالبا منه تحديد موعد لمقابلته ، للتعارف ولتقديم صورة من اوراق اعتماده واوراق استدعاء سلفه — ان وجدت — والخطاب الذي سيلقيه امام المعامل ، وفي بعض الدول لا يوجه هذا الكتاب وانما يقابل الممثل الجديد — بناء على موعد سابق — مدير المراسم ، طالبا تحديد موعد لمقابلة وزير الخارجية ، ثم تتم المقابلة ، ويسلمه السفير الوثائق المذكورة — فقد تكون ناقصة من الوجهة الشكلية — كما يطلعه على نص الخطاب لئلا يحتوي على بيانات غير صحيحة او عبارات غير مرغوب فيها ، فيعمل على استبدالها ، كما يسلمه كتابا اخر يطلب فيه التماس مقابلة رئيس الدولة (اذا كان الممثل من الدرجة الاولى فله ان يطلب ذلك مباشرة من ديوان او مديرية مراسم البلاط) . وفي بعض الدول — كإيطاليا مثلا — لا يوجه هذا الكتاب وانما يطلب السفير ذلك شفويا من وزير الخارجية اثناء هذه المقابلة .

ويقوم وزير الخارجية بعد ذلك بالاتصال بالقصر الجمهوري (او بالبلاط) لتحديد يوم وساعة تقديم اوراق الاعتماد ، ثم يجري تبليغ الموعد الى الممثل الدبلوماسي الجديد ، واستلام كشف منه بأسماء الموظفين الدبلوماسيين الذين سيصحبونه في الاحتفال مع بيان وظيفة كل منهم في السفارة وأسبقيته ، وقد يتم تحديد الموعد خلال ٢٤ ساعة في الحالات المستعجلة (كالاشتراك في مؤتمر قريب او اعطائه اسبقية على سفراء اخرين وصلوا قبله) وقد يؤخر الموعد في حالات المقابلة بالمثل (اذا كانت الدولة الموفدة قد اخرجت حفلة اعتماد سفير الدولة المضيفة سابقا) او في الظروف القاهرة (كسفر رئيس الدولة او سوء حالته الصحية) .

وقبل حفلة التمثول (او تقديم اوراق الاعتماد) بمدة كافية ، في الحالات العادية ، تقوم ادارة المراسم في وزارة الخارجية باعداد المعامل او الرئيس بخلاصة عن حياة السفير المرتقب وصورته (كلما أمكن ذلك) ونسخة من

خطابه في الحفلة المذكورة مع خلاصة وافية عن العلاقات بين البلدين (الموفد والمستقبل) ، كما توزع برنامج الاحتفال على الإدارات الحكومية المعنية لاتخاذ التدابير اللازمة ، كالشرطة ، وإدارة المرور ، وإمانة العاصمة الخ . . وتؤكد من وجود نوبة النشيد الوطني لدولة السفير الجديد لدى الفرقة الموسيقية التي ستؤدي العزف ، وتحدد عدد السيارات والدراجات النارية التي ستشارك في الحفل ، مع طلب تعيين المرافق (على الأقل رتبته عن تقييد لمرافقة السفير وملازم أول لمرافقة الوزير المفوض) واستكمال جميع الترتيبات اللازمة بكل دقائقها وتفصيلها .

ويوزع اليوم الموعود ، ويتوجه مدير مراسم خارجية الدولة المضيفة الى سفارة الممثل الجديد او مقر اقامته (حسب الاتفاق المسبق) ، حيث يذكره بتفاصيل الحفلة الهامة ، ويتأكد من استصحاب السفير لكتاب الاعتماد والخطاب الذي سيلقيه المبعوث أمام العاهل أثناء الحفل ، ثم يتحرك الموكب بتقدمه سيارة الرئاسة التي يحتل فيها السفير مقعد الشرف (الخلفي الايمن) ، بينما يحتل مدير المراسم المقعد الخلفي الايسر ، ويرفع على مقدمة السيارة العلم الوطني (في الجهة اليمنى) وعلم دولة السفير الجديد (في الجهة اليسرى) ويحيط بها حوالي (٩) دراجات نارية (للسفير) وسبعة دراجات نارية للوزراء المفوضين ، وترسل بعض الدول العرية التقليدية بدلا من السيارة ، وهي عربة نخعة تجرها ستة جياد بالنسبة للسفير وجوادان اذا كان الممثل الجديد وزيرا مفوضا (كما في اسبانيا وبريطانيا مثلا) وفي هذه الحالة ترافق الموكب توة من الفرسان بدلا من الدراجات النارية . وقبل وصول الموكب الى القصر ، حيث يكون قد اصطف حرس الشرف بالملابس الزاهية مع الفرقة الموسيقية ، يترجل السفير ومرافقوه ، ويقف على بعد قصير (خمسة أمتار تقريبا) من الفرقة الموسيقية ، التي تعزف عندئذ النشيد الوطني لدولة المبعوث الجديد ، ثم يتقدم قائد الحرس فيحيي السفير ، الذي يتقدم ويسقط عرض حرس الشرف ، وعن يمينه مدير المراسم ، ثم يدخل القصر حيث يستقبله في المدخل مدير المراسم فيه ، وعند منتصف الردهة الداخلية يستقبله الامين العام للقصر (او كبير الامناء في البلاط) الذي يوصله الى غرفة الانتظار مع مرافقيه ، ثم يدخل الى قاعة الاستقبال (او قاعة العرض) ويعلم مقدم السفير ، فيأذن الماهل (سواء كان رئيس جمهورية او ملكا او اميرا) بمثل السفير بين يديه ، وعندئذ يفتح باب القاعة على مصراعيه بالنسبة للسفير (وعلى مصراع واحد بالنسبة للوزير المفوض) ، ويدخل الممثل الدبلوماسي وصحبه ، فيحنى مرة عند دخوله تحية للماهل ، ومرة ثانية عند الوقوف أمام العاهل ، وهنا يقدمه وزير الخارجية الى الماهل ، ويلقي المبعوث خطابه ، ثم يقدم أوراق اعتماده وأوراق استدعاء سلفه — اذا لم تكن قد قدمت من قبل — فيأخذها

عاهل البلد المضيف ويسلمها الى أمين علم القصر الذي يقف الى يساره (أو وزير الدولة لشؤون القصر) بينما يقف وزير الخارجية الى يمين العاهل الذي يصافح الممثل الدبلوماسي ويرد على خطبه . (كانت الدولة العثمانية تنظي ثلاثة كتب اعتماد : اولها للسلطان ، والثاني للصدر الاعظم ، والثالث لوزير الخارجية) .

ولا بد من التأكيد على ضرورة استصحاب المبعوث الدبلوماسي لخطبه مكتوبا وعدم الاعتماد على ذاكرته لالقائه . ويروي الكونت دوسيفور (Comte de Ségur) قصة تقديم أوراق اعتماده كسفير لفرنسا لدى القيصرية كاترين الثانية في العاصمة الروسية سنة ١٧٨٥ ، ويقول أن اعتماده على ملكاته الخطابية جعله يقرر القاء الخطاب امام القيصرية بشكل ارتجالي ، ولكنه وجد نفسه ينطق بخطاب يكاد يختلف عن ذلك الذي كان قد ارسل نسخة عنه مسبقا الى وزارة الخارجية الروسية ، والذي أعدت القيصرية ردها على اساسه ، الامر الذي أربك القيصرية واضطرها الى تحويل خطابها آتيا بشكل يتناسب مع خطاب السفير الفرنسي المفاوض . ومرت الايام ، وتقابل السفير والقيصرية في احدى حفلات البلاط ، فذكرته بذلك اليوم الحرج الذي كاد أن يؤدي الى ما لا ترضاه ، فسارع السفير الفرنسي اللبى الى التأكيد بأن بريق جمال القيصرية ، وتلك الهالة من الهيبة والجلال التي تحوطها دائما ، كل ذلك انساه الكلمات المحضرة مسبقا ، وغير اتجاه الخطاب المرتقب ...! وابتمت القيصرية ابتسامة عذبة . لقد كان واضحا أن الاثر السيئ لذلك اليوم الحرج قد ذهب من نفسها الى الابد .

بعد أن يرد العاهل على خطاب المبعوث الدبلوماسي ، يستأنف هذا الاخير ويقدم له أعضاء بعثته الذين يكونون قد اصطفوا وراه بشكل خطين عرضيين متوازيين ، فيصافح كل من هؤلاء العاهل ثم يعود الى مكانه ، فإذا تم ذلك ، دخل العاهل ووزير الخارجية والمبعوث الدبلوماسي (والمترجم عند الحاجة) بناء على دعوة مدير المراسم ، الى قاعة الاجتماع لمعد جلسة خاصة تتراوح مدتها بين ربع ساعة وثلاثة ارباع الساعة (حسب مثاقه الروابط بين البلدين) ، ثم تؤخذ الصورة التذكارية ، وينصرف السفير بعد أن يودع العاهل ووزير الخارجية ، وعند الخروج يعزف له النشيد الوطني ، ويستعرض حرس الشرف بصحبة مدير مراسم الخارجية ، الذي يرافقه حتى السفارة أو مقر اقامة المبعوث الجديد ، حيث يتابع أعضاء السفارة الحفلة بتقديم القهوة أو بعض المشروبات ويدعى اليها مدير المراسم الذي يستأنف بعد ذلك في الانصراف .

ومن طريف ما يذكر بهذه المناسبة ، أنه خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، جرت سلسلة من المفاوضات حتى لا يجبر المثلون الدبلوماسيون الأجانب في البلاط الصيني على السجود ثلاث مرات أمام الإمبراطور (نظرا لصفته المقدسة) ضاربين جباههم بالأرض كل مرة ، أمعانا في الخضوع لسلطته الالهية ، كما جرت العادة عند مقابلة إمبراطور الصين آنذ .

وعرض وزير الخارجية الصينية حلا وسطا ، يقضي بأن يجلس كل سفير القرفصاء ثم ينهض ، وهكذا ثلاث مرات ، بدلا من ذلك السجود وتعفير الجباه ، ولكن تقدم سن الدبلوماسيين المعنيين لم يمكنهم من مثل هذا الإجراء أيضا . وانتظر سفراء بريطانيا ، والولايات المتحدة ، وفرنسا ، وهولندا ، وروسيا طويلا قبل الوصول الى حل يؤدي الغرض ويحفظ ماء الوجه ، وأخيرا تقرر أن يجتمعوا في الساعة السادسة من صباح يوم ٢٩ / حزيران — يونيو / ١٨٧٢ في (بي نانغ (Pei Tang) وهو مقر المؤسسة الكاثوليكية في العاصمة الصينية ، ومن هناك توجهوا الى أحد المعابد حيث انضم اليهم السفير الياباني ، الذي لم يوافهم الى المؤسسة الكاثوليكية لاسباب دينية ، بعد أن ساروا مسافة ٣٠ كيلو مترات على الإقدام . وفي ذلك المعبد ، حيث اعتاد الإمبراطور التوسل الى التثني الأعظم ليجود على الشعب الصيني بالمطر ، قدمت الى الدبلوماسيين وجبة خفيفة من الفواكه والمعجنات والخمر الإمبراطوري ، وبعد استراحة امتدت حوالي ساعة ونصف التقطوا خلالها أنفاسهم ، وخففوا من تعب سير مضى في طقس صعب ، وثياب تقليدية ثقيلة ، عاد الدبلوماسيون يغفون السير حتى وصلوا الى الخيمة العظيمة التي نصبت بمحاذاة الجناح الأرجواني (Tchu-Kuang-Ko) ، وبعد انتظار طويل، سمح لهم بدخول الجناح الإمبراطوري لتقديم أوراق اعتمادهم الى الحضرة الإمبراطورية . كان الجناح قد قسم الى خمسة صحن بواسطة دعامات خشبية ضخمة ، وكان الإمبراطور يجلس بوقر على عرش مخم مرتفع عن الأرض ، وعلى بعد (١٢) قدما منه نصب حاجز خشبي منخفض ، أصفر اللون ، يمنع القادمين من الوصول الى شخصه المقدس .

تقدم السفراء وهم ينحنون باحترام مغرق حتى وصلوا الى الحاجز الخشبي المذكور ، حيث تلقى المبعوث الروسي — بناء على اتفاق مسبق بينهم — خطبا مختصرا باللغة الروسية ، كان يترجم آتيا الى الإمبراطور الصيني ، ثم تقدم جميع المبعوثين الدبلوماسيين ووضعوا معا أوراق اعتمادهم على الحاجز الخشبي المذكور . وهنا تقدم الأمير كونغ (Kung) كبير الشخصيات البلاط ، فركع أمام الإمبراطور ، الذي تقوه ببضع كلمات بالصينية ، ثم رجع الأمير الى وراء ووجهه باتجاه الإمبراطور حتى وصل الى الدبلوماسيين

ليعلن لهم أن الامبراطور قد قبل اوراق اعتمادهم . وعاد الامر يركع مرة أخرى أمام الامبراطور ويستمع اليه ، ومرة أخرى عاد الى الدبلوماسيين لابلغهم أن الامبراطور يتبنى لهم طيب الاقامة ، ولرؤسائهم وملوكهم الصحة الجيدة ، ويأمر بأن تحل الامور المتعلقة بين بلده وبلادهم بشكل عادل ، وصديق ، ومرض . وودع المبعوثون الدبلوماسيون أخيرا الامبراطور باحترام فائق ، وساروا الى الورا دون أن يديروا ظهورهم له حتى خرجوا من الجناح الارجواني ، ثم تفرقوا وعاد كل منهم الى مركز اقامته حيث تمتع براحة طويلة ممتعة .

كذلك كان بطرس الاكبر قيصر روسيا يستقبل بعض السفراء الاجانب في مكان مرتفع ، أعلى بارجة حربية ، مجبرا اياهم على صعود صعب وحركات تحتاج الى رشاقة لا تتناسب مع مركزهم ولا مع سنهم في بعض الاحيان .

أما السفارات لدى البابا ، فإن الامر قد يختلف قليلا بالنسبة لها . فإن السفير العادي ينحني ثلاث مرات عند دخوله الى قاعة المثل بدلا من مرتين ، احداها عند الدخول ، والثانية في منتصف القاعة ، والثالثة عند الوصول اليه ، بل ان بعض السفراء الكاثوليك يركعون امامه ايماءا في الاحترام والتسلا للبركة ، كما أن الملوك والرؤساء والباطرة والامراء يستقبلون ، جميعا ، المبعوث الدبلوماسي في حفلة المثل وهم واقفون ، بينما يستقبلهم البابا وهو جالس على عرشه بكل وقاره وهيئته . وكان الملوك الكاثوليك يبعثون الى البابا بسفارات الولا ، التي كانت تستصحب هدايا ثمينة في بعض الاحيان ، وثقيلة في احيان أخرى ، كما حدث في اوائل القرن السادس عشر ، حين جاء (تريستان دو كونييا) ، مبعوث ماثويل الاول ملك البرتغال ، بفيل ضخم كان نقله مشكلة وايواؤه واطعامه وتغذيته مشكلة لكبر .

يتخذ المبعوث الدبلوماسي ، بعد حفلة تقديم اوراق الاعتماد ، الصفة الدبلوماسية الكاملة ، وتحدد اسبقيته ، ويعطى البطاقة الدبلوماسية هو وافراد أسرته ، ويبدأ المراسم اللاحقة لحفلة المثل هذه ، بعد أن يحيط حكومته علما بأن الحفلة قد تمت بسلام . وتتلخص هذه المراسم اللاحقة بزيارة كبار الشخصيات في الدولة ، كما تزور زوجته زوجاتهم حسب قائمة تقدمها له ادارة المراسم في وزارة الخارجية . ويزور السفير الجديد بقية السفراء في العاصمة ، مقره الجديد ، مبتدئا بعميد الهيئة الدبلوماسية ويتلقى زيارة الوزراء المفوضين (نمينا عدا ممثلي البلاد المعادية) ، وعليه أن يقوم بابلاغ رؤساء البعثات الاجنبية يوم حفلة المثل بذلك ، وقد يقيم وزوجته حفلة استقبال عامة لرؤساء البعثات الاجنبية ، لتدعيم المعرفة بهم ، وتوطيد اواصر الود معهم .

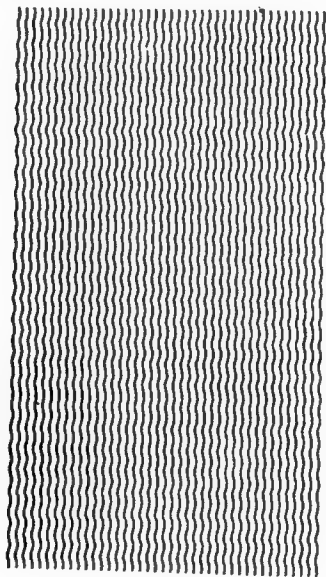
صفحة عن :

منظمة الاقطار العربية المصدرة للبتترول

اسم المطبوع	د.ك	دولار امريكي
— النفط والتنمية الاقتصادية العربية (بالانجليزية)	٢ر	٨ر
— النفط والتنمية العربية (بالعربية)	٥٠٠ر	٢ر
— اساسيات الصناعة البتروكيمياوية (بالعربية)	٢ر	٨ر
— اساسيات صناعة النفط والغاز (٣ اجزاء) بالعربية	ر	١٥ر
— مجالات التعاون بين البلدان والعالم العربي (بالعربية ، بالانجليزية ، بالبلقية)	١ر	٣ر
— التقرير الاحصائي السنوي الخامس (بالعربية بالانجليزية)	٢ر	٨ر
— تطورات بدائل الطاقة (بالعربية)	١ر	٣ر
— النفط ومصادر الطاقة البديلة (بالعربية)	١ر	٣ر
— تطورات الطاقة (استهلاك — سياسات — مصادر)	٢ر	٢ر
— تقييم طرق الانتاج للبروتين النفطي (بالعربية)	٥٠٠ر	٢ر
— نشرة منظمة الاقطار العربية المصدرة للبتترول (شهرية) بالعربية ، بالانجليزية ، الاشتراك السنوي	٤ر	١٦ر
— مجلة « النفط والتعاون العربي » فصلية بالعربية مع ملخصات بالانجليزية الاشتراك السنوي : للافسراد	٢ر	١٢ر
للمؤسسات	١٠ر	٤٠ر

تطلب هذه المطبوعات من : منظمة الاقطار العربية المصدرة للبتترول
ص.ب ٢٠٥٠١ — الكويت .

دليل الجامعات والمؤسسات التعليمية العليا



جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض

لمحة تاريخية عن نشأتها :

في الثالث والعشرين من شهر شعبان عام ١٣٩٤ هـ الموافق ١٩٧٤ م صدر المرسوم الملكي بالموافقة على نظام « جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية » وقبل ذلك كانت تسمى « الرئاسة العامة للكلية والمعاهد العلمية » وقد تم افتتاح اول معهد علمي بالرياض عام ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠ م وهو نواتها الاولى ، وامتدادا لافتتاح هذا المعهد توالى افتتاح المزيد من المعاهد العلمية في الكثير من مدن المملكة حتى بلغت هذا العام ٩٨ / ٩٩ هـ (٤٨) معهدا منها في معهد في الخليج العربي براس الخيمة . وانشاء هذه المعاهد جاء تلبية لاثبات الشباب على مناهل العلم والتزود بالثقافة الاسلامية التي هي السمة البارزة للمملكة وهي اصل استقلالها الحضاري ونهضتها المباركة .

وتضم الجامعة الكليات الاتية :

- ١ — كلية الشريعة بالرياض
- ٢ — كلية اللغة العربية بالرياض
- ٣ — كلية أصول الدين بالرياض
- ٤ — كلية العلوم الاجتماعية بالرياض
- ٥ — كلية الشريعة واللغة العربية بالتصميم
- ٦ — كلية الشريعة واللغة العربية بالجنوب

هذا بالإضافة الى معهدين عليين

- ١ — المعهد العالي للقضاء
- ٢ — المعهد العالي للدعوة الاسلامية .

اهداف الجامعة :

كما جاءت في نظامها الاساسي هي :

- ١ — توفير اسباب التعليم الجامعي ، والدراسات العليا ، في العلوم الاسلامية ، وعلوم اللغة العربية ، وما يتصل بها من علوم ، كالعلوم الاجتماعية ، والتاريخ الاسلامي .

٢ — العناية بالبحوث الاسلامية ، والقيام بترجمتها ونشرها ، وتنظيم العلاقة بين هذه الجامعة وجامعات العالم ، لسد فراغ الدراسات الاسلامية .

٣ — العناية في نطاق الدراسات الشرعية الاسلامية بالبحوث الفقهية والقانونية المقارنة لافهار تفوق الشريعة الاسلامية على القوانين الوضعية .

٤ — اعداد علماء متخصصين في العلوم الاسلامية ، وعلوم اللغة العربية ، والعلوم الاجتماعية والتاريخية ، واعداد مدرسين في هذه الحقول ، واعداد قضاة ودعاة مؤهلين .

٥ — المساهمة في تلبية حاجات البلاد الاسلامية ، الى تخصيص طائفة من ابنائها في العلوم والمجالات المتقدم ذكرها .

نشاطات الجامعة :

مارست الجامعة الكثير من النشاطات المختلفة على المستويين المحلي والعالمي ومن نشاطاتها :

١ — تبادل الاساتذة الزائرين — فقد سعت حثيثا لتوثيق الروابط الاخوية بينها وبين الجامعات العربية والاسلامية ، ففي كل عام تستضيف عددا من الاساتذة الزائرين والمفكرين الاسلاميين لالقاء المحاضرات واعداد البحوث الاسلامية الهادفة .

وهي ترسل عددا من الاساتذة على حسابها مدرسين او زائرين الى بعض الجامعات والمنظمات الاسلامية كلون من ألوان التبـادل الثقافي .

٢ — المنح الدراسية — ايماننا من الجامعة بعمق رسالتها في بث الوعي الاسلامي بين الاوساط العالمية تقوم كل عام بوضع مخطط متكامل لاستضافة عدد من ابناء البلاد العربية والاسلامية الاقليات الاسلامية في البلدان الاجنبية لهم المنح الدراسية في المراحل الجامعية والعليا واحياتا في المراحل المتوسطة والثتوية وتحمل الجامعة في ذلك المبالغ الباهظة بغية نشر الاسلام وتعاليمه المسحة في مختلف بلدان العالم .

وقد بلغت هذه المنح في علم ١٧ / ٩٨ هـ ٥٨٥ منحة دراسية .

٣ — التعاون مع الجامعات والمراكز العلمية — اجرت الجامعة اتصالات تعاون مع الكثير من الجامعات العربية الاسلامية وبعض المراكز العلمية المهمة بالنواحي الاسلامية في البلدان الاجنبية وتشارك باستمرار في جميع

الاجتماعات والمناقشات الدائرة في اتحاد الجامعات العربية ورابطة الجامعات الاسلامية . كما ان بعض الجامعات والمراكز العلمية في مختلف أنحاء العالم تنصل بها رغبة في المساعدة بمدها بالكتب الاسلامية والعربية والاجتماعية او تزويدها بمدرسين اكفاء وتحمل الجامعة التكليف .

٤ — المجلس العلمي بالجامعة — انشأت الجامعة مجلسا علميا يتولى شئون البحوث العلمية والاشراف على كل ما يتصل بالتأليف والترجمة والنشر ومن اهداف هذا المجلس : تشجيع البحث العلمي والتأليف والترجمة والنشر وتنظيم الصلة مع مراكز البحوث المختلفة خارج الجامعة والتعاون معها ونشر البحوث التي يرى صلاحيتها وأهمية نشرها وتنظيم اصدار المجلات العلمية والاشراف عليها ودراسة ما يجد من بحوث ودراسات اسلامية مما يدور في فلك المؤتمرات والندوات الاسلامية في العالم .

٥ — مركز البحوث — تحاول الجامعة حاليا ايجاد مركز متكامل للبحوث يسهم في حل مشكلات المسلمين المعاصرة بطول اسلامية أصيلة يتبين منها قوة ارتباط الناس في كل عصر بدينهم الاسلامي الحنيف كما يهدف الى المشاركة في ايجاد جيل من العلماء والباحثين وذلك عن طريق تدريب فئة خريجي الجامعة على البحث العلمي وتحقيق التراث كما سيتولى المركز تنظيم مسابقات اسلامية هادفة .

٦ — اعطت الجامعة (اللغة العربية) الكبر من اهتمامها غبالاضافة الى وجود كليات للغة العربية في ثلاث مدن من مدن المملكة تتبعها عنيت بنشر اللغة العربية على اوسع نطاق وضاعفت جهودها في هذا المجال فانشأت مركزا لتعليم اللغة العربية لتمر الناطقين بها في الرياض ووزعت العديد من المنح الدراسية على ابناء بعض البلدان في العالم ليتعلموا اللغة العربية في كلياتها ومعاهدها كما اوفدت المدرسين من خريجها الى عدة جامعات ومدارس في مختلف البلدان لتدريس اللغة العربية والمساعدة في نشرها .

٧ — نظمت الجامعة العديد من المؤتمرات والندوات منها :

✽ المؤتمر العالمي للغة الاسلامي في عام ٩٦ هـ وقد اشترك فيه نخبة ممتازة من العلماء في اللغة الاسلامي على مستوى العالم بجانب اساتذة الجامعات وعلماء الشريعة في المملكة ، وناقش العديد من البحوث والقضايا الهامة ، وما اسفر عنه من قرارات .

✽ ندوة دور المسجد في تعليم الكبار في المجتمع المعاصر — وتهدف الى مناقشة الابعاد الفقهية والادارية والفنية التي تؤدي الى جعل المسجد مركزا الاشعاع الديني والعلمي والثقافي والاجتماعي في البيئة .

كما شاركت في العديد من المؤتمرات واللقاءات على المستوى الجامعي .
وقد وضعت الجامعة خطة لعقد المزيد من المؤتمرات لما فيه صالح الاسلام
والمسلمين واتخذت الترتيبات الكافية لاقامتها في مواعيد مناسبة منها :

١ - مؤتمر جغرافية الاسلام والمسلمين فالجامعة تضطلع بمسئولية
الدراسات الجغرافية في العالم الاسلامي وتوجه عنايتها بتحقيق
الترابط بين دعوة الاسلام الخلافة وبين اسباب انتشارها في شتى
بقاع الارض . والدراسات التي تعد عن جغرافية الاسلام
والمسلمين قاصرة لانها مهما كانت مستوياتها تقوم على جهود فردية
أحيانا او على جهود علماء غير مسلمين من جانب آخر واحساسا
من الجامعة بما لهذا الامر من أهمية ولعلاقته برسالتها وتضامنا
مع العلماء المسلمين ومع الجامعات المعنية بهذه الدراسات
سارعت بالاهتمام بعقد هذا المؤتمر .

ب - أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب - يعود الفضل الاكبر -
بعد توفيق الله في عودة الامة الى عقيدة التوحيد الخالصة من
شوائب الشرك بجميع اتواعه الى هذا الامام الشيخ محمد بن
عبد الوهاب الذي قام بدعوته المباركة وسأده فيها الامام المجاهد
محمد بن سعود ولذلك رأت الجامعة فكرة تنظيم هذا الاسبوع
للاشادة بدور هذين الامامين المجاهدين .

ج - مؤتمر نهاية القرن الرابع عشر الهجري . وتهدف الجامعة من
اقامته الى :

تجديد ثقة المسلمين بمقومات شخصيتهم الفريدة وعطائهم الوافر
بوصفهم الامة التي تحمل رسالة الحق والعدل والسلام ، وتنمية
عناصر القوة في الامة الاسلامية ومعالجة عوامل الضعف نبيهم -
وبيان موقف الاسلام من قضايا العصر ومشكلاته - واعداد
المسلمين فكريا وعلميا للتصدي للتيارات المعادية للاسلام
وحضارته .

٨ - المدينة الجامعية : تولي الجامعة دعما قويا من الحكومة وعلسى
راسها صاحب الجلالة الملك خالد وولي عهده الامين . واكبر دعم
قدمته الحكومة هو اعتماد بناء مدينة جامعية متكاملة للجامعة تضم جميع
كلياتها ومعاهدها العليا وما يتبعها من مرافق . واعدت الجامعة الخطط
الاكاديمية للمشروع كما أعدت المساحات وبرنامج المواصفات التعليمية

وشرعت في اعداد الحسابات والدراسات والتصاميم والخدمات والاعمال الفنية والهندسية وجميع ما يحتاجه المشروع عن طريق مؤسسة متخصصة ، ولقد اتسع نطاق الاسكان تمثيلا مع خطة الجامعة واصبحت الوحدات (١٥) خمس عشرة وحدة سكنية استوعبت ١٤٥٢ طالبا .

والطلبة السعوديون والوافدون زملاء واخوة في الاسكان وفي التزام تلم بأنظمتهم وتقاليدهم النبيلة من مثل الاسلام وآدابه .

٩ — طلاب الجامعة :

✽ مراحل الدراسة : يتوفر بالجامعة السلم التعليمي المتكامل للطلاب الذين يحملون الشهادة الابتدائية يلتحقون بالمرحلة المتوسطة بالمعاهد العلمية بالجامعة ويواصلون دراستهم بالمرحلة الثانوية بنفس المعاهد يلتحقون بالمرحلة الجامعية باحدى كليات الجامعة وبعد انتهائهم تتيح الجامعة الفرصة للطلاب لمواصلة دراساته العليا بنفس كليات الجامعة ومعاهدها العليا ، وقد شمل التوسع أحداث اقسام للدراسات العليا في مرحلتي الماجستير والدكتوراه في كليات العلوم الاجتماعية ولصول الدين واللغة العربية والشريعة وبذلك اصبح الطلاب يجد فرصته لاكمال دراسته في المعاهد العليا والكليات حيث اصبحت الدراسات العليا في الجامعة كما يلي :

اولا : المعهد العالي للدعوة الإسلامية

١ — قسم الحسبة ووسائل الدعوة .

ب — قسم الاعلام .

ثانيا : المعهد العالي للقضاء

١ — قسم السياسة الشرعية .

ب — قسم الفقه المقارن .

ثالثا : كلية الشريعة — قسم الفقه وأصوله

رابعا : كلية أصول الدين

١ — قسم الكتاب والسنة .

ب — قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة .

خامسا : كلية العلوم الاجتماعية

- ١ - قسم الجغرافيا .
- ب - قسم التاريخ .
- ج - قسم التربية وعلم النفس .
- د - قسم الاجتماع .

سادسا : كلية اللغة العربية

- ١ - قسم النحو والصرف وفقه اللغة .
- ب - قسم الادب .
- ج - قسم البلاغة والنقد .

✽ الشهادات والدرجات التي تمنحها الجامعة :

- شهادة المرحلة المتوسطة من المعاهد العلمية .
- شهادة المرحلة الثانوية من المعاهد العلمية .
- درجة الليسانس من إحدى كليات الجامعة .
- درجة الماجستير من أقسام الدراسات العليا بالجامعة .
- درجة الدكتوراه من أقسام الدراسات العليا بالجامعة .

✽ ومجالات عمل خريجها متعددة وهامة منها القضاء والتدريس والادارة والمحاماة والدعوة والارشاد .

✽ وطلابها يزاولون مختلف الأنشطة الثقافية والاجتماعية ويقومون بحللات علمية واستطلاعية كما يشاركون في كثير من المناسبات الدينية كـ أيام الحج وأيام شهر رمضان .

✽ وقد استطاعت الجامعة أن تشارك في إنتاج كثير من المطبوعات العلمية فقامت بنشر العديد من البحوث والرسائل الجامعية كما شجعت أعضاء هيئة التدريس على تحقيق التراث الاسلامي ومساعدتهم على طباعة انتاجهم العلمي .

✽ بلغ عدد طلاب المرحلة الجامعية والدراسات العليا بالجامعة في عام ١٣٩٨ هـ ٧٧ م (٥٥٠٠) خمسة آلاف وخمسمائة طالب ، وبلغ عدد طلاب المرحلة المتوسطة والثانوية بالمعاهد بالجامعة في عام ١٩٨ هـ - ٧٧ م (١١٠٠٠) أحد عشر ألف طالب .



مجلة البحوث والدراسات العربية

تصدر سنويا عن معهد البحوث والدراسات العربية

صدر العدد الأول من المجلد في مارس (آذار) ١٩٦٩ .

— هيئة تحرير المجلة يسهها أن تدعو الباحثين والاساتذة من اعضاء هيئات التدريس بالجامعات العربية وغيرهم لنشر بحوثهم ودراساتهم العلمية في المجلد وخاصة في المجالات المتعلقة ببحث ودراسة المشكلات العربية المعاصرة من جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية والجغرافية والقانونية . كما تعنى المجلد ايضا بابرار اللامع الرئيسية للأدب العربي المعاصر وبخاصة مايعكس منها الروابط الفكرية بين شتى اقطار الوطن العربي الى جانب اهتمامها الخاص بالدراسات الفلسطينية .

— نرجو هيئة التحرير من السادة الاساتذة الذين يرغبون في نشر ابحاثهم باللغة العربية أن يرفق كل منهم ببحثه ملخصا بلغة اوروبية حديثة فيما لا يزيد عن الف كلمة ، كما يرجى ايضا ممن يرغب في نشر بحثه بلغة اوروبية حديثة أن يقدم ملخصا باللغة العربية بما لا يزيد أيضا عن الف كلمة ، ويراعى في الحالين أن يتراوح المقال او البحث بين ستة آلاف وثمانية آلاف كلمة .

— ترسل كافة المكاتبات والابحاث المتعلقة بالمجلد على العنوان التالى :

الاستاذ الدكتور محمد صفى الدين ابو العز
رئيس معهد البحوث والدراسات العربية

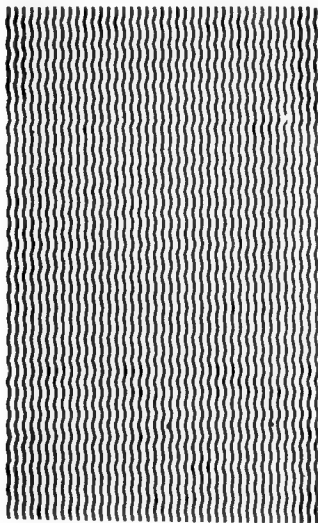
(١ شارع الطلبات - جاردن سيتى - ص. ب ٢٢٩ القاهرة)

— تقدم ادارة المجلد لكل من السادة المشتركين في تحريرها ببحوثهم على سبيل الاهداء العدد الذى نشر به البحث بالإضافة الى عشرين فصلا من البحث .

— كافة الابحاث والدراسات المنشورة بهذه المجلد تعبر عن آراء كتابها ولا تحمل بالضرورة وجهة نظر المعهد او اية جهة أخرى يرتبط بها صاحب البحث .

— قيمة العدد ١٥٠٠ جنيه مصرى او ٤ دولارات امريكية بخلاف رسوم البريد .

قاموس الترجمة والتعريب



قاموس الترجمة والتعريب

مع صدور هذا العدد ، واستمراراً في سياسة التطوير التي انتهجتها مجلة العلوم الاجتماعية منذ صدور عدد نيسان / ابريل ١٩٧٦ ، نواصل في هذا العدد معالجة موضوع الترجمة والتعريب في مجال العلوم الاجتماعية . تمهيدا لعقد مؤتمر خاص بهذا الموضوع مستقبلا .

وفي هذا العدد ننشر جزءا من مصطلحات الادارة الصناعية ، كما وضعتها لجنة من اساتذة قسم ادارة الاعمال بجامعة الكويت في كتاب « المصطلحات الادارية » .

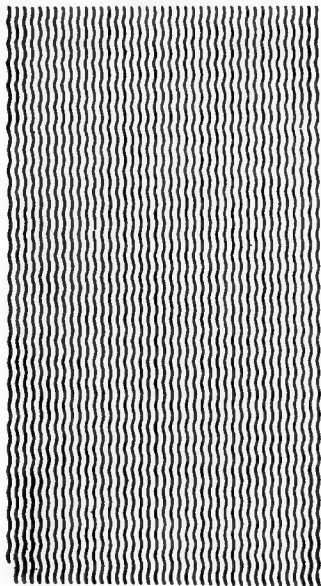
ونأمل ان تتحقق الاهداف التي رجوناها من هذا العرض ، كما نتمنى بـاستكمال تقديم ترجمة وتعريب لمصطلحات العلوم الاجتماعية الاخرى .

مصطلحات الإدارة لصناعية

المصطلح	الترجمة
Acceptance Sampling	عينات القبول
Attributes	الصفات الصريحة
Average	المتوسط
Activity Time	وقت النشاط
Assignment Computer	مشكلة التخصيص
Block Diagram	الحاسب الالكتروني المشابهة
Consumer's Risk	برنامج التسلسل
Critical Path Method	مخاطرة المستهلك
Constraints	طريقة المسار الحرج
Cobol Language	شيوذ
Destructive Test	لغة الكوبول
Double Sampling Plan	الختبار التدميري
Dummy — Activity	خطة العينات المتتلمة
Data	نشاط خيالي
Event	بيانات
Earliest Start	حدث
Expected - Time	البداية المبكرة
Fixed - Cost	الوقت المتوقع
Fortran Language	التكاليف الثابتة
Interchangeability	لغة الفورتران
Inequality	التبادلية
Input	متبلنة
Informations	مدخل
Integrated Circuits	معلومات

الترجمة	المصطلح
الدوائر المتكاملة	Intergrated Circuits
حد الضبط السفلى	Lower Control Limit
الموقت المتأخر	Latest - Start
البداية المتأخرة	Latest - Time
النهاية المتأخرة	Latest - Finish
التكاليف المتغيرة خطيا	Linear - Cost
البرمجة الخطية	Linear Programming
ماكينات القياس	Most Likely - Time
الوقت الأكثر احتمالا	Measuring Machines
تعظيم	Maximization
تصغير	Minimization
الذاكرة	Memory
شبكات الاعمال	Network
الوقت الطبيعي	Normal - Time
الوقت المتفائل	Optimistic - Time
الوقت المثالي	Optimum - Duration
الحل المثالي	Optimum Solution
مخرج	Output
جودة التصميم	Quality of Design
خريطة مراقبة الجودة	Quality Control Chart
المدى	Range
الاعتمادية	Reliability
مواصفات	Specifications
التنميط	Standardization
نمط	Standard
خط العينة المفردة	Single Sampling Plan
التماثل او المحاكاة	Simulation
الضبط الشامل للجودة	Total Quality Control
متغيرات	Variables
التكاليف المتغيرة	Variable - Cost.

ملخصات



فكرة « الطبيعة » في النظرية التربوية لجان جاك روسو

د . صادق جعفر اسماعيل

يحاول الباحث في بحثه المعنون بـ « فكرة الطبيعة » في النظرية التربوية لجان جاك روسو أن يبين ماهية « الطبيعة » والمقصود بها بصورة عامة ، وما تصده المربي روسو بـ « الطبيعة » بصورة خاصة .

وفي محاولات الباحث للكشف عن معنى « الطبيعة » عند جان جاك روسو ، حاول مآرنتها بالتربية الطبيعية التي وردت على نحو من النظريات والكتابات التربوية عند كل من فلاسفة اليونان كالفلاطون وأرسطو وفلاسفة المسلمين ومفكرهم كابن سينا وابن طفيل والسهورودي في « حي بن يقظان » . وفي نهاية البحث حاول الباحث أن يبين الجوانب الايجابية والسلبية لفكرة « الطبيعة » التي وردت في نظرية جان جاك روسو التربوية .



« نظرية النفس والمشكلة على مفهوم الإنسان »

د . محمد شريدي

تبحث هذه الدراسة نظرية الذات أو النفس كعامل داخلي مستقل وتعطى النظريات الاجتماعية النفسانية الحديثة وعلى وجه التحديد نظريتي التفاعل الرمزي في علم الاجتماع ونظرية القوة الثلاثة في علم النفس . وتنحصر هذه الدراسة أيضا القيمة العلمية والتطبيقات العملية المستقبلية لنظرية الذات وخاصة احتمال ايجاد علم انساني له قواعده الخاصة والمختلفة عن قواعد العلوم الطبيعية والمستمدة من ظاهرة الانسان كإنسان له جوهره المختلف عن جوهر الظواهر الفيزيكية . وقد اثبتت هذه الدراسة ان مشكلة الذات كعامل داخلي مستقل لا تزال في المكان الاول مسألة فلسفية لم تتخط الحدود التقليدية المعروفة التي عالجها الفيلسوف الفرنسي ديكارت والخارجة عن الدولوات العلمية الحديثة ، ولذلك وجب الاستنتاج ان نظرية استقلالية النفس غير مثمرة علميا اذا نظرنا اليها من الناحية الامبريقية البحتة ذلك ان الفائدة العلمية هي نقط في المفاهيم أو التركيبات المختصة بالنفس كمنفعل به أو الذات المقررة اجتماعيا أي كقوة محتمة تقررها عوامل بيئية خارجية .

والاستنتاج السابق يؤكد أن ارجاع نظرية الذات كعامل داخلي مستقل له علاقة بالكارثة الاخلاقية التي تعاني منها الحضارة الغربية وان مسألة اعادتها الى النظريات الاجتماعية النفسانية الحديثة هي محاولة للخروج من المآزق الاخلاقية والقيمية المسيطرة في الحضارة الغربية كوجود بديل للديانات التقليدية وكذلك لمفهوم الروح ، وهذا يعني ان اعادة مفهوم النفس كعامل داخلي مستقل له تحليلات معنوية واخلاقية وليست اثباتات علمية موضوعية ، وهذا يتضمن الاعتراض ان هناك مسائل فلسفية ليس بإمكان العلوم الاجتماعية الاجابة عليها لانه ليس من مؤهلات العلم أن يكون قادرا على الاجابة على كل سؤال يخطر ببال الانسان — وهذا له علاقة بمضمون رئيسي الا وهو أن العلوم الاجتماعية لم تنجح في اشباع رغباتنا أو تسكين أوجاعنا الفلسفية ، وهناك شك أنها ستقدر على انجاز هذا المطلب ، ولكن بالرغم من ادراك هذه الحقيقة فمنا سنظل نحت قدراتنا الفكرية لان الانسان بطبيعته محب للاستطلاع .

دراسة تحليلية لوسائل الاعلام في الدول العربية : ١٩٥٠ - ١٩٧٦

د . سهيل بركسات

شهدت وسائل الاعلام في الدول العربية منذ الخمسينات طفرة كبيرة من حيث الكم والى حد ما من حيث الكيف . ولهذه الفترة عدة اسباب . فهناك أولا الجهود المكثفة في الدول العربية للاسراع بجهود التنمية القومية في شتى المجالات مع الحاجة الى مناقشة وتفهم المشاكل المعقدة للتنمية في المنطقة والبحث عن الحلول المناسبة لها . وهناك ايضا الصراعات الدولية والمنافسات المحلية على توجيه أحداث المنطقة والسيطرة عليها . ثم ان هناك ايضا التزايد الضخم والسريع في الموارد الاقتصادية لبعض دول المنطقة الذي ادى الى ادخال بعض من أحدث الامكانيات والاجهزة الاعلامية المعاصرة .

وعلى الرغم من ذلك فان هناك ندرة نسبية في البحوث المتعلقة بوسائل الاعلام العربية ونظمها . فباستثناء عدد محدود من الدراسات الجادة عن الصحافة كاحد وسائل الاعلام في الدول العربية ، وباستثناء الاحصائيات التي تنشرها منظمة اليونسكو عن وسائل الاعلام العربية ، لا توجد أبحاث منتظمة لمتابعة التطور في الوسائل الاعلامية في العالم العربي ودراسة علاقتها بالنظم الاجتماعية والسياسية التي تعمل في ظلها والدور الذي تلعبه في المجتمعات العربية .

وتحاول هذه الدراسة ملء بعض هذا الفراغ فتقدم نظرة شاملة عن وسائل الاعلام العربية مع التركيز على الفترة ١٩٥٠ - ١٩٧٦ . ويشمل تعريفنا لوسائل الاعلام الصحافة اليومية والدورية . كذلك الاذاعة بشقيها المسموع والمرئي ، والسينما ، ووكالات الأنباء . كما تضمن البحث دراسة للاعلام الدولي والفضائي للدول العربية ومشروع اطلاق القمر الصناعي العربي . وتقدم الدراسة تحديدا للظروف التي لعبت دورا هاما في ظهور وتطور هذه الوسائل واتخاذها الاشكال والصيغ التي هي عليها الان ، وذلك ايمانا منا بان النظام الاعلامي لاي دولة ما هو الا نظام فرعي للمجتمع الكبير الذي يؤثر فيه ويتأثر به . كما تشير الدراسة الى اعداد الكوادر الاعلامية اللازمة للدول العربية عن طريق انشاء مراكز لتدريب الاعلاميين والانسام أو الكليات العلمية بالجامعات العربية لاتاحة الفرصة لدراسة شتى جوانب الاعلام دراسة اكلاديمية وتطبيقية ، وتعزيز الدور الذي يمكن أن تلعبه وسائل الاعلام المسؤولة سواء في انجاح خططها الاتمائية داخليا أو تعريف العالم الخارجي باهدافها وقضاياها واهتمامها لكسب الراي العام العالمي لصفها .

ABDEL RUIMAN

EL GHABARTY

**Study In Sociology of
Knowledge**

Atef A. Fouad

This study deals with 19th century Egypt, as seen through the eyes of the Egyptian historian, El Ghabarty. Two issues are discussed : El Ghabarty and the ruling class, and El Ghabarty's treatment of revolution as a political and social phenomenon.

The methodology followed in the analysis of these two issues is that of the Society of knowledge and the approach is essentially socio-historical. It is a model of the working relationships between the disciplines of Sociology and History.



POLICY

TOWARD A COMMON ARAB PETROLEUM

Hamood Al-Qaysi

It is time for the Arab petroleum-exporting countries to have a common petroleum policy especially with the existence of the Organization of Arab Producing Countries (OAPEC). The elements of any petroleum policy are many, but we can emphasize the following of common pricing policy based on production control and quotas, price differentials because of weights, sulfur contents and transportation costs and following a common conservation policy.

The need for a common pricing policy based on the control of time to agree on price differences due to weight, sulfur contents and common petroleum reservoirs and there is an urgent need for common conservation techniques to be followed. The neighbouring Arab countries would discover that reservoir pressures are wasted if a scientific conservation technique is not followed.



Educational Direction of Creative Persons

Abdul-Sattar Ibrahim

On the basis of evidence now available in the field of creativity, psychologists agree that a considerable part of creative behavior is learned. It is my thesis, therefore, that the development of creative thinking abilities does not have to be left to chance. Educational stimulating of creativity can play a major part in the development of creative potentiality. The purpose of the present review is to discuss some of the major educational approaches and procedures which have proved helpful in guiding and directing creative efficacy. These are as follows :

1. Teaching courses in creativity by emphasizing the principles of creative problem-solving *per se*.
2. Integrating creative principles and procedures with conventional courses.
3. Adopting teaching styles that stimulate and motivate creative thinking. This is fundamentally preferred by subjects and is more effective in learning.
4. Building interpersonal relationships using deliberate creative learning principles such as : a. the development of permissive and responsive kinds of social relationships which call for alert and sensitive direction and guidance of intellectual creative potentialities; b. deliberate suspension of evaluation and judgment (deferred-judgment) during the effort to generate ideas in order to give full play to imagination; and c. building a group brainstorming atmosphere which has to emphasize quantity rather than quality in produced ideas, and to help thinking to develop through group assistance rather than individual thinking in seclusion.
5. Creative management of ideas. There is, indeed, abundant opportunity for almost any person's productive thinking. It is also shown that using educational means to increase creativity leads to positive changes in other personality traits. Significant gains in traits such as : leadership ability, dominance, persistence, social initiative, and self-confidence occur following the administration of creativity producing programs. The writer calls, therefore, for making more complete use of our most valuable intellectual qualities, the creative potentialities of individuals.

EDUCATIONAL PLANNING AND DEVELOPMENT

Saeed Khassanah

This paper discusses the historical development of the major concepts and philosophies of education which have influenced educational planning and directed the thoughts and actions of educational planners over the last few hundred years. It also throws light on the political, social, economic, scientific and technological movements and revolutions which have taken place during the twentieth century and their effects on education.

The paper concludes that educational planning should be integrated with community, national and international planning. Educational planning becomes, therefore, a part of a comprehensive plan that deals with all aspects of importance to people. The most significant factor that should be taken into consideration before and after planning is population.

Concerning the Arab world, educational planning becomes meaningful only through a general plan based on the objective and scientific study of all aspects of its life, particularly those related to population.



المستقبل العربي

رئيس التحرير : د. أنيس صايغ

- وحدوية
- موضوعية
- مستقبلية
- جدالة
- اهتماماتها من المحيط الى الخليج
- قراءتها من المحيط الى الخليج

هدفها :

وحي الوحدة العربية
وحدة الوعي العربي

ص.ب ٦٠٠١ / ١١٣
بيروت — لبنان

قواعد وأسس النشر بالمجلة

مع بداية العام الأكاديمي ١٩٧٥ - ١٩٧٦ ، قررت هيئة التحرير المشرفة منعقد على ٩ مجلة العلوم الاجتماعية ، الصادرة عن كلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة الكويت ، ان الوقت قد حان لتيلم المجلة بتطلعة جديدة بعد ان نجحت الهيئات السابقة طوال الايام الثلاثة الماضية ، في ارساء القواعد اللازمة لئلا هذه الاطلاقة . والان - ويعد مخي اكثر من عابدين على الاطلاقة الجديدة - ارنلت الجهات المسؤولة عن المجلة تطوير قواعد وأسس النشر بحيث تأخذ بعين الاعتبار الامور التالية :

التخصية الداخلية للمجلة :

١ - تطيح المجلة لان تكون منبرا يبرز من منابر الاكاديميين العرب . وفي هذا المجال ، لا بد من تعزيز نجاح هذا الجانب ودفع المجلة اكثر لمكثر باتجاه فتحها امام المساهمات الوافدة من جميع أرجاء الوطن العربي وخارجه لتؤكد هويتها كمجلة عربية .

٢ - ترغب « المجلة » في ان تخصص في الابحث (باللغتين العربية والانجليزية) المهتمة بالسروح النظرية والتطبيقية في كافة حقول العلوم الاجتماعية (ابتكارا وعرضا ونقدا) . وفي هذا المجال ، لا بد من التشدد في تصر نشر الابحث على تلك التي لا يس ولا غموض حول كونها تعالج قضايا او اكثر من الجوانب المتصلة بالعلوم الاجتماعية . وبعبارة اكثر تحديدا ، تقتصر الابحث على تلك التي تعالج شؤوننا ضمن واحد او اكثر من حقول الاقتصاد ، والسياسة ، وعلم الاجتماع ، وعلم النفس ، والانثروبولوجيا . كذلك . فان « المجلة » مهتمة ، في الوقت ذاته ، في نشر الابحث التي ترى انها ذات علاقة قوية بالعلوم الاجتماعية على الرغم من كون اختصاص مؤلفها يقع خارج الدوائر الخمس المشار اليها املاه .

١ - الابحث والدراسات : الشروط والاجراءات

١ - نرحب المجلة بنشر الابحث الجيدة المبتكرة ذات الصلة باي من حقول العلوم الاجتماعية (كما هي محددة اعلاه) والتي تهدف الى احداث اضافات جديدة في هذه النـسـروع المخطلة .

وتقبل الابحث باللغتين العربية والانجليزية على ان يكون حجم البحث يعقود (٢٠) (٢٠) صفحة مطبوعة من الحجم العادي (٤٠٠) كلمة ، وذلك مدا الحواشي اللازمة التي يريجي ان تتم كتابتها في صفحات منفصلة في نهاية البحث .

اما الابحث التي تعد لائقاها ضمن المواسم الثقافية للجامعات ومراكز البحث المخطلة ، داخل الكويت او خارجها ، فيجب الا ترسل للنشر الا بعد ان تتم مناقشتها ، وبالتالي بعد ان تعاد عملية كتابتها لتناسب طريقة عرضها مع الاطار العام للبحوث العلمية التي تقوم المجلة بنشرها .

٢ - وكى يمكن للمجلة ان تعتبر البحث المقدم اليها مرشحا للنشر ، يؤهل ان يراعى واضح البحث الملاحظات التالية :

ا - اعتماد الاصول العلمية في اعداد وكتابة البحث .

ب - الا يكون قد سبق نشره .

ج - ان تزود المجلة بثلاث نسخ من الدراسة المراد نشرها، علاوة على خلاصة يحدو بصيغة واحدة لموضوع الدراسة باللغة الانجليزية ان كان البحث بالعربية ، وبالعربية ان كان البحث باللغة الانجليزية .

د - تضييع فضاء عنوان البحث بأقل عدد ممكن من الكلمات اضافة الى اسم المؤلف واسم المعهد العلمي الذي ينتمي اليه . ويرجى ان يكتب في صفحة منفصلة المزيد من المعلومات المؤلف ، وبخاصة القسم الذي يعمل فيه ، وعنوانه الكامل .

٢ - ترسل الابحاث معونة الى رئيس التحرير ، مجلة العلوم الاجتماعية ، جامعة الكويت .
ص.ب ٤٨٦ .

٤ - وبعد ان تصل الابحاث الى سكرتارية التحرير يتم عرضها - على نحو سرى - على محكمين (او أكثر) من المختصين الذين تختارهم هيئة التحرير سنويا .

٥ - وفي خطوة لاحقة ، تقوم سكرتارية التحرير بتبليغ اصحاب الابحاث المقدمة برأي للمحكمين بخصوص تلك الدراسات ، وذلك ضمن الترتيبات التالية :

ا - يبلغ اصحاب الابحاث التي تقبل (بعد موافقة محكمين اثنين) بموافقة هيئة التحرير على نشرها . واذا ما تعذر اتفاق المحكمين على مستوى البحث ، تحول الدراسة الى مستشار ثالث لترجيح واحد من الرايين .

ب - اما الابحاث التي يرى مستشارو التحرير وجوب اجراء بعض التعديلات عليها او الاضافات اليها قبل نشرها ، فستعاد الى اصحابها مع الملاحظات المحددة كي يعمل على اعدادها نهائيا للنشر .

ج - وفي حالة استحالة نشر بعض الابحاث في المجلة بسبب بعدها عن المواضيع التي تعالجها المجلة ، او بسبب عدم صلاحيتها للنشر من النواحي الفنية ، او غير ذلك من الاسباب ، فان سكرتارية المجلة ستقوم بتبليغ اصحابها بذلك .

٦ - الابحاث التي تصل الى المجلة لا ترد الى اصحابها .

٧ - تبلغ سكرتارية التحرير اصحاب الابحاث عن استلامها لباحثهم خلال اسبوع من تاريخ الاستلام ، وتبلغهم عن قرارها حول صلاحية البحث للنشر او عدمه خلال مدة لا تتجاوز الثلاثة اشهر .

٨ - يتوجب على صاحب البحث ، في حالة قيامه بعرض دراسته المعينة على مجلات علمية اخرى للنشر ، ان يقوم بتبليغ سكرتارية تحرير المجلة بذلك . وفي حالة حصول جهة اخرى على حق النشر ، دون علم « مجلة العلوم الاجتماعية » ، فان المجلة سوف تعتذر عن قبول أية ابحاث اخرى في المستقبل من صاحب البحث .

٩ - يبلغ أصحاب الإبحك المجازة للنشر بمواعيد نشرها عندما يحين الوقت المناسب . ويرامى في أولويات النشر الاعتبارات التالية :

- أ - تاريخ استلام سكرتارية التحرير للدراسة المعينة .
- ب - طبيعة الموضوع الذي تمالجه ، ذلك ان من سلسلة « المجلة » عدم نشر بحث في حقل واحد في العدد ذاته .
- ج - مصدر البحث ، ذلك ان من سلسلة « المجلة » تحقيق توازن بحيث ننشر لأكبر عدد ممكن من الاقطار في العدد الواحد .
- ١٠ - تولول كافة الحقوق المترتبة على النشر الى ملكية المجلة .
- ١١ - تدفع المجلة لأصحاب الإبحك التي تقبل للنشر مكافأة مالية رمزية مقدارها (٦٠) سنتين ديناراً كويتياً .

ب - مراجعة الكتب :

- وبالإضافة الى نشر الإبحك العلمية المختلفة ، تقوم « مجلة العلوم الاجتماعية » بنشر مراجعت ونقد لبعض الكتب التي نعالج مواضيع تقع ضمن اهتماماتها . ويرامى في هذا المجال الالتزام بالقتواعد التالية :
- ١ - ان تكون الكتب القوي مراجعتها حديثة النشر اي صادرة بعد العام ١٩٧٠ ، او تقررهما المجلة وهيئة التحرير للمراجعة .
 - ٢ - ان لا ننشر المراجعة في اية مجلة اخرى .
 - ٣ - ان يكون حجم النقد والمراجعة بحدود « صفحات فولسكاب والا تتجاوز (١٠٠٠) كلمة الا في حالات خاصة يفتخر معها الإيجاز ضمن هذه الحدود وفي هذا المجال ، يفضل تقسيم العرض والنقد ، بشكل مباشر او ضمنى ، الى ثلاثة اقسام تشتمل على مقدمة وممن وانتاج .
 - ٤ - ان يرسل منها ثلاث نسخ .
 - ٥ - ان تحوي الصفحة الاولى عنوان الكتاب الدقيق ، واسم المؤلف ، ودار النشر ، وتاريخه ، مع ذكر عدد صفحات الكتاب ، وثمنه ان امكن . وفي حال نشر الكتب في الاصل بلغة غير العربية ، يكتب عنوان واسم المؤلف ودار النشر وعنوانها والتاريخ بلغة النشر الاصلية ذاتها .
 - ٦ - تدفع « مجلة العلوم الاجتماعية » لكل باحث يقوم بمعرض ونقد احد الكتب التي تقرأها المجلة مكافأة مالية رمزية مقدارها (٢٠) ديناراً كويتياً ، علاوة على نسختين مجانييتين من العدد الذي نشرت فيه المراجعة .

ج - نخوة العدد :

وايماناً من هيئة تحرير المجلة بان ثمة مواضيع ، هي في صلب العلوم الاجتماعية ، لا يمكن معالجتها على نحو فعال الا عبر الحوار وتعارض الآراء والاجتهادات وادراكاً منها لضرورة زيادة

التفاعل بين الزملاء الاكاديميين العرب الذين حال دون تفاعلهم في الماضي عوامل وظروف عديدة ، ستفتح المجلة صفحاتها لنشر محاضر حوار وندوات علمية ضيقة (بحدود ٥ اشخاص) تمسالج مواضيع حساسة في العلوم الاجتماعية ، على أن تكون هذه الندوات معقودة بناء على موافقة الجلسة . وفي هذا المجال ، ترحب هيئة التحرير بآلية اقتراحات شبه تفصيلية حول مواضيع مناسبة للحوار . وما يجدر ذكره ان المجلة ستدفع مكافأة رمزية لكل مساهم في الندوة قدرها (٢٠) ديناراً كويتياً باستثناء منظم ومحرر الندوة الذي يتقاضى (٦٠) ستون ديناراً كويتياً .

د - التقارير العلمية :

ومنابعة منها للندوات والطلقات العلمية في الوطن العربي وخارجه ، تقدم المجلة مكافأة مالية رمزية قدرها (٢٠) ديناراً كويتياً لكل تقرير علمي خاص يغطي بشكل شاملي ومنظم اخبار وتنظيم وابحث ونتائج المؤتمرات العلمية وغيرها من مجالات النشاطات الاكاديمية دون أن يتجاوز ذلك (١٥٠٠) كلمة .

هـ - دليل الجامعات :

تقوم المجلة بنشر ما يرد اليها من اخبار علمية تتعلق بالجامعات ومعاهد البحث العربية وما تقوم به تلك المؤسسات العلمية من استحداث وتغييرات في نظم التدريس أو شؤون البحث العلمي ' او روع التخصص المختلفة . هذا وقد باشرت سكرتارية التحرير بتوجيه الدعوة الى الجامعات العربية المختلفة بتقديم تقرير شبه مطولة عن نشأة وتطور واثاق النشاط في هذه الجامعات .

صاموس الترجمة والتعريب :

تشجع المجلة الباحثين العرب على القيام بترجمة وتعريب المصطلحات العلمية في الحقول المختلفة للعلوم الاجتماعية ، وترحب بنشرها على صفحاتها كي تنطور اللغة الاكاديمية ، شيئاً فشيئاً ، نحو توحيد المصطلحات .

ع - مناقشات :

واخيراً ، تنتج المجلة صفحاتها للمختصين لآراءهم العلمية فيما ينشر من ابحاث في المجلة . وفي هذا المجال ، ترحب المجلة بنشر كل مناقشة موضوعية للدراسات التي تظهر على صفحات الاعداد المختلفة .

★ ★ ★ ★

★ ★

name of the university or institute with which the reviewer is currently associated

4- The reviewer will be notified as soon as possible of the suitability of his article.

5- The remuneration for a book review is 20 KD (\$ 60 U S)

III. SPECIAL REPORTS:

Organizations and individuals are encouraged to inform the Journal of the Social Sciences of relevant conferences or seminars to be held in or out of Kuwait. Reports on such conferences may later be requested.

All articles, book reviews, and special reports should be addressed to
Managing Editor
Journal of the Social Sciences
P.O.Box 5486.
Kuwait University
Kuwait.



Forward all correspondence
and subscriptions to:

THE EDITOR
JOURNAL OF THE SOCIAL SCIENCES
Kuwait University
Kuwait.

KUWAIT UNIVERSITY
JOURNAL OF THE SOCIAL SCIENCES
Regulations Governing Contributions

1. ARTICLES:

The Journal of the Social Sciences welcomes original articles of quality in any of the following fields. Anthropology, Economics, History, Linguistics, Political Science, Psychology, Public Administration, and Sociology. Articles submitted should be related to the stated specialization of the journal, namely, general systems and middle-range theories. Case studies will only be accepted if they are relevant to the development of theory. Articles may be submitted in either Arabic or English to be presented in the original or in translation. The following guidelines should be of help in submitting articles for publication:

- 1) Articles should not exceed 4,000 words (or twenty standard typed pages) excluding footnotes
- 2) Two copies of the article should be submitted with a cover-page containing the following information: exact title of the article, full name of the author, and name of the university or institute with which the author is associated
- 3) A separate sheet should be attached listing the following information: academic achievements, previous publications, exact current address
- 4) Scholars are requested not to submit articles that have been published previously. Studies to be included in upcoming seminars or conferences in or out of Kuwait are not to be submitted for publication before presentation and subsequent discussion and modification.
- 5) Publication procedures are as follows:
 - a- An article submitted to the managing editor will be forwarded to specialists in the appropriate field of specialization for consideration. The author will be notified within one week that it has been received and advised of its suitability for publication within eight weeks. (Copies of an article submitted for publication but not accepted will not be returned).
 - b- If modifications are needed, a copy of the article, with editorial suggestions, will be returned to the author for final revision
 - c- Remuneration for an article accepted for publication will be 80 K.D (approx 180\$ US). In addition, the author will receive one copy of the issue and 10 extracts of his article
 - d- Upon notification of the acceptance of an article, all rights of publications rest with the journal.

II. REVIEWS:

The Journal of the Social Sciences will also accept book reviews, with the provision that the titles be submitted for approval in advance. The following should be of assistance:

- 1- The book to be reviewed should be recent (not published earlier than 1970)
- 2- The review should not exceed 4 standard typed pages (1,000 words)
- 3- Two copies of the review should be submitted with a cover-page including the following information: exact title of the book, author's full name, date and place of publication, price, number of pages, reviewer's full name,

- (9) Rusk, Robert R. Doctrines of the Great Educators : Macmillan & Co. Ltd., 1965 : p. 171.
- (10) Emile : p. 147.
- (11) Rusk, op. cit., p. 171.
- (12) Emile : p. 250.
- (13) Zakat is a certain amount of money or product which every rich Moslem should pay yearly to the poor.
- (14) Emile : p. 16.
- (15) Ibid : p. 166.
- (16) Rusk, op. cit., 1965.
- (17) Emile : pp. 131-134.
- (18) Ibid., pp. 131-4.
- (19) Pierre Deffontaines : Qu'est-ce que la geographie humaine In : Georges Hardy's Geographie et Colonisation; Paris, Gallimard, 1933 : p. 9.
- (20) Browne, J.H. : Rousseau, A Study of His Thought. Barnes and Noble, Inc., 1963.
- (21) Jarrett, James : Philosophy for the Study of Education. Houghton Mifflin Co. Boston, 1969 : p. 231.
- (22) Galiani, Abbe : Letters to Mme. d'Epinay, 1770 cited in William Boyd's The Educational Theory of Jean Jacques Rousseau (New York : Russel and Russel, 1963).



permost.”(21) What makes this assumption more concrete is what Abloe Galiani said in 1720 : “Education is the same thing for man and for beast. It can be reduced to two principles : to learn to put up with injustice, to learn to endure ennui. What does one do when one breaks in a horse? Left to himself, the horse ambles, trots, gallops, walks, but he does it when he wishes, as he pleases. We teach him to move thus or thus, contrary to his own desire, against his own instinct — there is the injustice : we make him keep at it for a couple of hours — there is the ennui. It is just the same thing when we make a child learn Latin or Greek or French The aim is that he should habituate himself to obey another person’s will (and so bore himself) that he should be beaten by a creature born his equal (and so learn endurance) All pleasant methods of teaching children necessary knowledge are false and ridiculous. It is not a question of learning geography or geometry : it is a question of learning to work, of learning the weariness of concentrating one’s attention on the matter at hand Develop these ideas, and then you will have a book the precise opposite of *Emile* and worth very much more.”(22)

Those miserable conditions of Rousseau’s life, in addition to failures in his natural education, were a very crucial force in driving Rousseau towards elaborating his idea of natural education and natural life.

FOOTNOTES

- (1) Ibn Tufail is a famous Moslem Scholar. He was born in 1110 and died in 1185.
- (2) Amin, Ahmed. Hay ibn Yagdan, Avicenna, Ibn Tufail, Al Sahrawardi : Education Institute for Printing and Press, Cairo : 1959.
- (3) Rousseau, Jean Jacques, Emile, Trans. by Foxley, Barbara. Everyman’s Library’s Library, New York; 1963.
- (4) Urdang, Lawrence. The Random House Dictionary of the English Language, Random House Inc., 1968 : p. 887.
- (5) Rusk, Robert R. Doctrines of the Great Educators; Macmillan & Co. Ltd., 1965 : p. 169.
- (6) Emile; p. 6.
- (7) Aristotle, Ethics; Book X.
- (8) Broome, J. H. Rousseau A Study of His Thought; Barnes and Noble Inc. New York, 1963 : p. 49.

to learn geography naturally, by observation of the closest things and views, step by step proceeding from the nearest to the farther points. "Let him make his own map, at first containing only two places; others may be added from time to time, as he is able to estimate their distance and position : you see at once a good start we have given him by making his eye his compass."(18)

The idea of natural education seems to be popular nowadays. In the last few years UNESCO has published a book about "Geography Teaching" which seems to me carries Rousseau's idea of nature very clearly. The authors of this book have emphasized the natural method of teaching geography. "It is wrong to teach geography from books. We should show them the natural and real views such as rivers, waterfalls, etc., and let them discover things. No beautiful artificial pictures can replace the the natural ones in the student's mind."(19)

In short, I have tried to talk about nature and natural education in Rousseau's educational theory which seems to be more or less that which is not wholly in man's control and should be reached without the imposition of artifacts, but through direct experience of nature.

One must consider the reasons which led Rousseau to think about nature and write about it placing so much emphasis in the manner as we have described. First of all, we should bear in mind that Rousseau did not ask for natural education for the whole of Emile's life. Rather, he divided Emile's life into stages such as from birth to the age of twelve representing the age of nature; from the age of twelve to fifteen as the age of reason; from the age of fifteen to twenty as the age of force; from the age of twenty to the age of twenty-five as the age of wisdom, and from the age of twenty-five to the time of his death as the age of happiness.(20)

Although Rousseau did not emphasise the natural education throughout Emile's life, he nevertheless did view it as a requirement for the duration of his childhood. Indeed, he was aware of the most important period of the child's life.

One of the other reasons why the idea of nature is worth mentioning is that "education in eighteenth-century France was distinctly gloomy. The classrooms were dark and caning was the principal means of motivation; memorization, particularly of Latin grammar, was up-

Since the artificial hand can not be replaced by a natural one, likewise we can not replace artificial education with a natural one, especially in the early time of our childrens' lives. This is why Rousseau puts such great emphasis on the first twelve years of Emile's life : "Would that you keep him as nature made him. Watch over him from his birth. Take possession of him as soon as he comes into the world and keep him till he is a man; you will never succeed otherwise. The real nurse is the mother and the real teacher is the father."(14)

Rousseau does not only admires parents as a real nurse and teacher, but he also admires old people and the ancients. Rousseau's admiration for them is not because of their age but because of their natural life: "The ancients are nearer to nature and their genius is more distinct."(15) This is why he thought that peasants' lives are much better than the life of the people of the city, because theirs is more natural, and because they live in a natural environment. They breath the fresh air and eat natural food. Their bodies are stronger and they are healthier than the people of the cities. Their life is still simple and there is not a touch of artificiality in it. "Accustomed like the children of peasants to expose themselves to the heat and cold, grow as hardy, they are equally capable of bearing the inclemencies of the weather and become more robust as living more at their ease. This is the way to provide against the age of maturity, and the accidents of humanity.(16)

Rousseau's opinion of peasants comes very close to what Avicenna said about nomads when he was expressing his opinion about the subject of logic. Avicenna said that it is very useful for the student of philosophy to start with the subject of logic, except for nomads, who do not need it. Nomads are not in need of the art of logic because they speak their language perfectly and naturally and their language has yet not been spoiled by the artificial language of the city. Therefore Rousseau, very much like Avicenna, believes that peasants still retain the natural endowment.

In terms of nature, Rousseau gives a good and natural methodology for the study of geography. Rousseau says that geography is to be learnt by observation of natural phenomena. "His geography will begin with the town he lives in and the father's country house, then the places between them, the rivers near them and then the sun's aspects and how to find one's way by its aid."(17) It means that Rousseau wants Emile

living there. He spent some time in learning their language, in addition to which he learned other things; namely, about their religion. However, he refused whatever he felt was not reasonable. He realized that these people believe in something called "Allah" or God and that their religious belief was called Islam.

Hay learned a lot of Islamic rules until he arrived at the rule which says that every rich Moslem should pay a certain amount of his money to the poor and needy. This kind of payment is called "Zakat"(13) Hay stopped at this point and said that this was not a reasonable rule. Why should the rich people pay zakat to the poor. This rule encourages laziness among Moslems. He asked the people of the island to reject this rule and drop it from the Islamic Codes. The reaction of the ignorant people was so strong that they not only refused Hay's idea but also planned to kill him. He realized this and so he fled to his island.

If we think deeply about the political idea of nature Rousseau expressed when he said that the Church and Christianity had some unnatural rules, we can say that Rousseau was very close to what Ibn Tufail meant by that incident. Ibn Tufail was saying that there are some artificial laws in the Islamic Religion which must be neglected or corrected. In other words, he thought that there are some unnatural rules in the religion which are against the human or "natural" being. But he, like Rousseau, was not allowed to say it openly to the people of his time because some of them had accepted the Islamic codes blindly, not rationally, and when he tried to express his ideas on the subject, the people planned to kill his Hay as the government of France did with Rousseau when they banned his Emile.

Aside from the political considerations of the idea of nature, it seems to me that at least one of the reasons which influenced Rousseau's mind about nature is that the human being is a part of nature and the universe. Man was made from the elements of nature and therefore natural education is the best educational for him and the most perfect tool to be educated with. Artificial education seems to be like false teeth or the artificial hand. No matter what the false teeth or the artificial hand look like, they can not do the same jobs the natural one. The artificial object might cover one's faults or limitations, but it does not cure them. It is equally true in the case of artificial education which does not fit the natural being nor do him justice. Therefore the best education for him is the natural one.

all but signifies a new social education.(9) In other words, he wants Emile to be kept away from books : "I hate books; they only teach us to talk about things we know nothing about."(10) Things, according to Rousseau, should be experienced directly and naturally. Things should not be read in books, because that is an artificial way of learning. Rousseau thinks that "artificial" books should be postponed to the later period of Emile's life.

Ibn Tufail in his educational theory "Hay ibn Yaqdan" called for a more natural environment for Hay than Rousseau did for Emile. "Hay" in Arabic means alive; Ibn means the son of; Yaqdan means awake. The whole name is a symbol for someone such as Emile.

"Hay" does not know his parents. A doe was taking care of him during his infancy until boyhood. She was taking care of Hay's food only. Hay was living on an island with the doe far away from the people of the city. He spent his childhood with this doe and other animals of the island. He learned their languages and, since he was not like them, he always thought of how to protect himself from the wild animals. Hay was also thinking of how to learn and understand things. Nobody was there to teach him; he was learning naturally and from nature. In other words, he was learning without books. Hay was afraid of the wild animals. Once he found the dead body of a gazelle. He took away its skin and used it for clothing. He found that its horns were good tools to protect himself from other animals. In this way, "Hay" learned to cover his body and how to protect his body from the ferocious animals. This was the lesson of nature to Hay, not the lesson of books or teachers. Here we can obviously see the more natural life of Hay in comparison to that of Emile.

The third meaning of "nature" in Rousseau's theory of education could be a positive one. Stoics and even Plato see that nature or the universe is governed by divine providence.(11) Living according to nature means living in accordance with the rational principle of the universe, which means living according to reason : "He who obeys his conscience is following nature."(12)

Referring to the word reason, I would like to point to what Ibn Tufail meant by reason in Hay's story. Hay ibn Yaqdan grew up in the natural environment of the island and learned a lot of things by thinking and reasoning. Once Hay tried to discover some new things. He therefore went to the nearby island. He realized that there were people like him

exists around us with the whole universe as that which serves to explain the word nature. There are tens if not hundreds of explanations and descriptions for the word "nature" in dictionaries and encyclopedias that invariably return to one basic theme. What seems to me closer to what Rousseau meant by nature is that everything that is achieved or created without the influence of human beings. I think that Rousseau was referring to this meaning when he said that 'everything is good as it comes from the hands of the Maker of the World ...' (nature).

Rusk in his book *Doctrines of the Great Educators*(5) gives a good illustration of what Rousseau meant by nature. He says that for that writer "Nature" has more than one meaning. For instance, when he says that "education comes to us from nature, from men, and from things"(6) he regards nature as something equivalent to an "endowment". The word nature was used in this way by Aristotle, too, when he said "now some hold that we become good by nature, some that we become so by habit, and others that it is clearly not in our powers; it is something vouch-safed to the truly fortunate by some divine cause."(7)

When, in consideration of the natural man, no doubt Rousseau did not have in mind a savage; in other words, he did not mean by "I want to train a natural man" that he wants to make a savage man and send him back to the forest or desert. What Rousseau meant by nature is that he wants to make a man who can live his life naturally and comfortably in his society. In other words, Rousseau is not saying "back to nature" but rather forward towards the fulfilment of human nature.(8)

We should bear in mind that Rousseau was not against his society nor against the people of cities. However, he wants Emile to be brought up "naturally" and in a "natural environment," not among the artificialities of society.

The other meaning attached to the term "nature" is a negative one. I mean it is derived as a consequence of Rousseau's thoughts on the anti-social attitude. Society, as mentioned earlier, is artificial, not natural, and therefore it is not good at all. Being as it is, Rousseau expresses dislike for it and so does not wish that his Emile should be spoiled by it. He wants Emile to develop "naturally", apart from other children and away from the vanity and artifice of civilized society. As we know, Rousseau called for about twelve years of negative education. For him, negative education or natural education does not mean no education at

THE CONCEPTS OF NATURE IN ROUSSEAU'S EDUCATIONAL THEORY

S. J. Imaïl*

In the last two thousand years some of the well known Greek, European and Arab philosophers such as Plato, Aristotle, Avicenna, Ibn Tufail, and Sabrawardi have written about nature and natural education. Eight hundred years ago Ibn Tufail(1) wrote his great imaginative story called "Hay ibn Yaqdan" which seems to be very similar to what Rousseau wrote six hundred years later. The story of Hay ibn Yaqdan was translated into several European languages; namely, Latin in 1761, German in 1782, Spanish in 1900, English in 1904 and into Russian in 1920. It was also translated into other languages all over the world.(2)

Rousseau, like other philosophers before him, realized the usefulness of nature and placed great emphasis on this idea in his masterpiece of writing, "Emile". Rousseau believed that 'everything is good as it comes from the hands of the Maker of the World but degenerates once it gets into the hands of man.'(3)

It is not easy to understand what Rousseau meant by "Nature", especially since he was not explicit in his explanation of the term which he uses on different occasions without clarifying his use of the word in each case. There are words which linguistically have more than one meaning, such as God, Nature, Love. However, the writer must clarify the ambiguity of these words by giving a definite meaning for them, especially when he wants to use them as a main word or central idea in the exposition of his theory so that his readers would not remain confused in reading it. Therefore it is unfortunate that Rousseau did not explain what he meant by nature in his educational theory in "Emile", for with this consistent neglect, whether intentional or not, he opened the door for philosophers to think about it and find an explanation for it.

One might consider plants, animals, geographical features etc, or the places where these exist "largely free of human influence"(4) as equivalent to the word "nature". We might also consider the environment which

* Professor in the Department of Education at Kuwait University.

Forward all correspondence
and subscriptions to:

THE EDITOR
JOURNAL OF THE SOCIAL SCIENCES
Kuwait University
Kuwait.

- (32) Time 1972 A review of Richard Bach's Jonathan Livingstone Seagull,, November 13, pp. 44-48.
- (33) Tucker, C.W.
1966 "Some Methodological Problems in Kuhn's Self Theory," The Sociological Quarterly, Vol. 7, No. 3, pp. 345-358.
- (34) Turner, R.H.
1976 "The Real Self : From Institution to Impulse," American Journal of Sociology, Vol. 81, No. 5, pp. 989-1016.
- (35) Wertheimer, M.
1972 Fundamental Issues in Psychology. New York : Holt, Rinehart and Winston.
- (36) Wylie, R.C.
1968 "The Present Status of Self Theory," in Borgatta and Lambert (eds.) Handbook of Personality. Theory and Research, Chicago : Rand McNally and Company, pp. 728-787.
- (37) Wylie, R.C.
1961 The Self Concept : A Critical Survey of Pertinent Research Literature. Lincoln, Nebraska : University of Nebraska Press



- (23) Morris, M.B.
and Hestlink, G.K.
1974 "The Potential Impact of B.F. Skinner Upon American Sociology : Some Further Considerations." The American Sociologist, Vol. 9 (August), 149-153.
- (24) Mumford, L.
1965 "A Review of Maslow's Religions, Values, and Peak-Experiences," Journal of Humanistic Psychology, Vol. V., pp. 229-232.
- (25) Nettler, G.
1972 A Quotation from a presentation given in a graduate seminar, The University of Alberta.
- (26) Progoff, I.
1970 "Toward a Depth Humanistic Psychology," Journal of Humanistic Psychology, Vol. 10, pp. 121-130.
- (27) Schaar, J. 1961 Escape from Authority : The Perspective of Erich Fromm. New York : Basic Books.
- (28) Shuraydi, M.
1973 The Mystification of the Self in Two Socio-psychological Theories, unpublished Ph. D. Dissertation, Department of Sociology, The University of Alberta, Edmonton, Alberta.
- (29) Stanley, M.
1973 "The Structures of Doubt : Reflections on Moral Responsibility as a Problem in the Sociology of knowledge." In Remmling, G : Towards the Sociology of Knowledge. New York : Humanities Press.
- (30) Swanson, C.H.
1977 "The Social Marketability of Self : Towards a New Theory of Social Deviance." Sociological Focus, Vol. 10, No. 3, 263-274.
- (31) Tarter, D.E.
1973 "Heeding Skinner's Call : Towards the Development of a Social Technology." The American Sociologist, Vol. 8 (November), 153-158.

- (12) Giorgi, A. 1970 Psychology as a Human Science. New York, Evanston and London : Harper and Row Publishers.
- (13) Glass, J.F. 1972 "The Humanistic Challenge to Sociology," Journal of Humanistic Psychology, Vol. 12, pp. 170 - 188.
- (14) Hardison, O.B.
1972 Toward Freedom and Dignity.
Baltimore, Maryland : The John Hopkins University Press.
- (15) Harman, W.W.
1969 "The New Copernican Revolution," Journal of Humanistic Psychology, Vol. 9, No. 2, pp. 127-134.
- (16) Hume, D. 1874 A Treatise on Human Nature. London : Longmans, Green and Company.
- (17) Kando, T.M.
1977 Social Interaction. Saint Louis : The C.V. Mosby Company.
- (18) Kelly, G. 1969 "Humanistic Methodology in Psychological Research," Journal of Humanistic Psychology, Vol. 9, pp. 53 - 65.
- (19) Kuhn, M.H. and McPartland, T.S.
1954 "An Empirical Investigation of Self-Attitudes," American Sociological Review, Vol. 19, pp. 68-76.
- (20) Maslon, 1968 "Some Educational Implications of Humanistic Psychologies," Harvard Educational Review, Vol. 38, pp. 685-696.
- (21) Maslow, A. 1966 The Psychology of a Science : Reconnaissance. New York and London : Harper and Row.
- (22) Meltzer, B. and Petras, J.W.
1972 "The Chicago and Iowa School of Symbolic Interactionism." In Manis, J.G. and Meltzer, B.N. (eds.) Symbolic Interaction. Boston : Allyn and Bacon, Inc., pp. 43-56.

BIBLIOGRAPHY

- (1) Allport, G. 1955 Becoming : Basic Consideration for a Psychology Personality. Yale University Press.
- (2) Bach, R. 1970 Jonathan Livingston Seagull. New York : The Mac-Millan Company.
- (3) Bahm, A.J. 1968 "Is There a Soul or No Soul? The Buddha Refused to Answer. Why?" in Raju and Castell (eds.) The Problem of the Self. The Hague : Martinus Nijoff.
- (4) Bergin, A.E. 1964 "Psychology as a Science of Inner Experience." Journal of Humanistic Psychology, IV, pp. 95-103.
- (5) Blumer, H. 1969 "Sociological Implications of the Thought of George Herbert Mead," in Blumer Symbolic Interactionism : Perspective and Method. Englewood Cliffs, N. J. : Prentice-Hall, Inc.
- (6) Boshier, R. 1970 "Self-Regarding Attitudes : A Bibliography," Psychological Reports, 26, p. 218.
- (7) Bugental, J.F.T.
1967 "The Challenge that is Man" Journal of Humanistic Psychology, Vol. 7, No. 2, pp. 1-9.
- (8) Bugental, J.F.T.
1964 "The Third Force in Psychology," Journal of Humanistic Psychology, Vol. 4, No. 1, pp. 19-26.
- (9) Cardno, J.A. 1966 "Psychology : Human, Humanistic, Humane," Journal of Humanistic Psychology, Vol. 60, No. 2, pp. 213-220.
- (10) Chisholm, R.M.
1969 "On the observability of the Self," Philosophy and Phenomenological Research, Vol. 30, No. 1, September, pp. 7 - 21.
- (11) Curtis, J.N. 1915 "On Psychology as Science of Selves," American Journal of Psychology, Vol. No. 26, pp. 68 - 98.

FOOTNOTES

(1)Castell (1968) surveyed a number of books and articles with the intention of finding out what the authors' reactions to the question, "Who Am I?" were. Some of the typical answers were :

"I do not know what you are. I do not know what an 'I' is. You must either stop asking the question or be satisfied to remain in ignorance."

"You are a bundle of perceptions."

"You are a thought. Your thoughts do not require you to think them. They think themselves without you."

"You are a group of cognia."

"You are a set of relations among your thoughts, and between your thoughts and your body."

"You are a grammatical fiction."

"You are a grammatical mistake."

"You are what you do."

"You are like the smoke given off by a locomotive or the clank given off by a chain."

"You are the exercizings of a set of capacities."

Castell comments that "these answers are by no means all, but they are typical. The thing that stands out about them is that they are odd, antecedently improbable, and obscure" (Castell 1968 : 74).

(2)Wylie makes reference to the non-scientific or personal considerations that have strongly influenced the self theorists :

"Thus, although these theorists sometimes laud science and claim that they themselves are working toward scientific theories, their feelings about the scientific method and its implications seem to be markedly ambivalent. Furthermore, their concepts are sometimes inconsistent with scientific assumptions. The assumption of determinism stressed by Freud and modern behaviorists is interpreted by self theorists as robbing man of dignity and creativity, and as inadequate to the understanding of man . . . However, no conclusive arguments rational or empirical against positivism and determinism are presented, nor can they be ... It seems that these theorists want to have their cake and eat it too. They want to have the advantages of being scientific. At the same time, they want to reintroduce assumptions which are inappropriate to the scientific method, and to bring into psychology concepts that operate in a nondeterministic way and are indescribable by scientific operations" (Wylie, 1968 : 733 - 734).

self, which generated a pre-Humean crisis in philosophy, into the social sciences. One interesting question emerges : Would one anticipate a similar crisis in the social sciences a few decades from now?

The social sciences, in their short history, have not succeeded in healing our "philosophical discomforts." One doubts if they ever will. The present state of uncertainty concerning their success obliges us to appreciate, with some qualification, Nettler's (1972) statement that, "Our curiosity is an intellectual itch that we will scratch in any way that gives us satisfaction. The scratching becomes its own satisfaction and we shall not desist because, from some Jovian height, it all appears futile."

The qualification we would like to inject into Nettler's conclusion is this : Some of us are more "optimistic" than others. This "optimism" makes futility more meaningful to some of us. After all, the "humanistic movement" in the social sciences is modeling itself after the existentialist outlook that ventures to create "meaning" out of absurdity.

It is evident that, while the humanist-interactionist persuasions have succeeded in incorporating certain humanistic considerations at the conceptual-flexibility level, they have increased the methodological lag by abandoning certain primary desiderata that allow us to draw a distinction between scientific and philosophic enterprises.

The abandonment, by both perspectives, of the scientific canons as understood in the physical sciences is based on a dogmatic commitment to an idealized image of man. This image implies a regression to the existentially captivating and philosophically controversial pre-Khaldunic question of how man ought to live. The regression signifies a utopian dissatisfaction with the descriptive-empirical approach to the study of man and a plea for a normative-prescriptive approach. The plea, we suggest, is still grounded in a bewitching attachment to the label of "science" and reflects an embarrassment on the part of the humanistic theorists and the symbolic interactionists in confessing the kinship of the proposed "humanistic science" to "social philosophy." This seems more probable as the cloak of "science" is removed from the body of humanistic concern. We, therefore, contend that the so-called "new science of the subjective" is an integral part of ancient philosophical controversies disguised under the label of science. Wylie's (1968) characterization of the "self-theorists" as wanting to have their cake and eat it too seems substantiated.(2)

Summary and Conclusion

We should be aware of a major implication of desiring to have one's cake and eat it too. The social sciences cannot save us, in the sense of supplying us with the answer to every question about the social-psychological phenomena that preoccupies man's thinking. This is a utopian aspiration that the humanistic movement is pursuing. Such fundamental questions are philosophical in nature (Wertheimer 1972). Our answers to these questions, like those of our intellectual predecessors, the Greeks, are tentative. Nevertheless, the engagement in the search for answers gives us some kind of ravishment and influences our outlook on man's existence. The "meaningful" answers that provide us with "therapy" today might turn out to be the ridiculed symptoms of tomorrow. Perhaps, contemporary sociologists and psychologists championing the recent humanistic movements in social science should be reminded of Schaar's (1961) insightful observation pertaining to the transportation of the notion of

bal short-cuts, and abstract tags." Their usage, Mumford remarks, renders "Maslow's vocabulary false to his essential philosophy" which is struggling to restore into the social sciences the "full gamut of human experience including religion."

The Existential Nature of the Question : Who Am I?

The question "Who Am I?" is essentially an existential question with epistemological connotations. In Bahm's opinion, "What Am I? Is there a self and what is its nature?" are the most important questions in the history of philosophy, Western and Eastern (Bahm 1968). To reduce these questions to an analysis of fragmentary responses on a "self-attitude" questionnaire is, therefore, in direct opposition to what the humanistic movement deplores about the existing models of man in the social sciences. Above all, it should be noted that the question, "Who Am I?" has a profound relation to the ideal nature of man which is at the heart of the romantic glorification of the individual in humanistic psychology and symbolic interactionism.

If we agree with Bugental (1967) that "man, by his very being, provides a fundamental challenge to any pretense to or system of knowledge which man may erect," then we should derive the logical conclusion of this assumption and hold that man is not only a challenge to the behavioristic and psychoanalytic methodologies, but he is also a challenge to the proposed "humanistic methodology."

Although both the humanistic and interactionist perspective have indulged in the search for an answer to the question "Who Am I?", the question continues to be as enigmatic as it has always been in the history of man's social thought. In our judgement, nothing seems to be more "enlightening" in this context than Buddha's manifesto about man's "greed for views" that terminates in disappointment or unhappiness and draws man, in his metaphysical quests, "farther and farther into a maze of unanswerable questions. (Bahm 1968 : 137).

This implication has bearing on the humanistic theorist's allegation about "shifting the bases of human values" (Harman, 1969) from the realm of the "philosophical" to the "empirical." The allegation is entrenched in the major conflict with which the humanistic theorists and the symbolic interactionists are caught : their desire to be scientists and humanists simultaneously.

but "disparate responses" (Blumer's term 1969); rotating around the social-psychological variables of role, status, and value-orientation. These are the same concepts whose inadequacy for an analysis of human behavior has been discredited by the symbolic interactionists. In sum, the problem is whether our fidelity to man should dictate our methodology, or whether our commitment to a special scientific conception should define our image of man. (Giorgi, 1970; Meltzer and Petras, 1972).

Kuhn's study, lest we forget, is one of the first pioneering explorations to directly employ the "self" of the symbolic interactionist perspective in "empirical research." Tucker (1966) demonstrates two methodological shortcomings in Kuhn's technique. These two methodological drawbacks deal with the effects of the testing situation and the content analysis procedures. They show that the prospect for empirical verification of the basic assertions about the "self" in symbolic interactionism is slim, even with respect to the "Me" or "self-as-object" aspect.

Tucker reports several examples of the theoretical formulations of the "self" in symbolic interactionism that are directly contradicted in research operations. We need cite only one of these illustrations.

"It was mentioned that the Twenty Statement Test does not violate any of these assumptions or assertions (of the symbolic interaction theory). But when it comes to the analysis of these statements from the Twenty Statement Test, the analyst imposes the meaning on each of them from his own perspective. In many theories this procedure would be appropriate. That is, they do not assume that the perspective or viewpoint of the respondent (actor) is the focus of the study ... But ... in self-theory the experiences of the respondent are the focus of the study. Therefore, the procedures employed in content analysis seem to contradict the assumptions and assertions of the theory" (Tucker 1966 : 356-357).

Aside from the methodological flaws in symbolic interactionism, we recognize that the reduction of the question "Who Am I?" to an operational level mangles the humanistic theorists' and symbolic interactionists' concern about man as a valuing human being possessed of "autonomy, dignity and worth."

The point is well made by Mumford (1965) in criticism of Maslow's "highly specialized private vocabulary," that includes "neologisms, ver-

Iowa School of symbolic interactionism." (Kando, 1977 : 158,163) Furthermore, we caution that the self-constructs themselves can assume an extreme generality and become "umbrella terms" having weak explanatory power. Examples of such self-constructs are provided by Wylie.

"... such characteristics as self-actualization, self-differentiation, and self-consistency have not led to enlightening research ... By contrast, constructs such as self-esteem, especially when referring to specified attributes, have yielded more manageable and fruitful research" (Wylie, 1961 : 319).

Wylie's conclusion has been complemented by our demonstration (Shuraydi 1973) that grand theories or global theoretical formulations about the integrative agency of "self" continue to be conjectural. They represent over-generalized statements that encompass a great variety of cognitive, motivational, poetic, prosaic and philosophical categories, all lacking in empirical verification. For instance, the meaning of "self" in the writings of almost all humanistic psychologists and sociologists is assumed as given or is ambiguously stated. In certain writings of these theorists, the meaning of "self" is identified with the entirety of that which is subjective.

As for the symbolic interactionists, we should point to their dilemma of fostering a conception of a "pluralism of selves" while simultaneously postulating a unified sense of "self". Only the "Me" aspect of the "self" appears to be amenable to empirical investigation, regardless of the crudeness of its measurement.

The resurgence of "self" in both the humanistic and interactionist perspectives emphasizes a holistic-dynamic conception of the "self". This emphasis raises the suspicion that any attempt to segment the "wholeness," or, one might suggest, the holiness, of the "self" distorts the original intentions of the expounders of these orientations. In different terminology, we maintain that the emerging emphasis on the operationalization of the "self", particularly in symbolic interactionism, would eventually lead to the same dilemma of segmenting the functioning and experience of a whole human being against which the humanistic theorists and the symbolic interactionists are revolting. The best illustration of this point is found in Kuhn and McPartland's (1954) operationalization of the "self" in terms of responses to a twenty-statement questionnaire on 'Who Am I?' The answers given to this questionnaire seem to represent nothing

on shaky grounds, but would also shatter their utopian aspirations. This conclusion brings us to the central question of the necessity of the "self" as an agent in social-psychological theorizing.

The Self as Agent

It seems that the advantages anticipated from restoring the "self" as an agent in socio-psychological theories are less than clear. Our criterion of evaluation is the "scientific" utility of the concept. In terms of this criterion, we suggest that the "self" in humanistic psychology and symbolic interactionism is conceptualized as a single, independent entity which is the locus of causality; or, at least, a system of determinacy and indeterminacy simultaneously. This conceptualization leaves the internal agency of "self" an omnibus term to which any unexplainable experiential or behavioral phenomenon can be ascribed. We, therefore, advance the thesis that the resurgence of the "self" constitutes a way out of the prevailing crisis of values in contemporary western society. In other words, the restoration of the "self" as an agent has a moral justification, but not a scientific one.

This moral justification pertains to modern western man's craving for a "spiritual rebirth," which appears to be sought by intellectuals as well as laymen. The best illustration of this situation is the incredible appeal of Richard Bach's most recent book, JONATHAN LIVINGSTON SEAGULL (1970). This book "emphasizes the self over all else" and glorifies its mystical powers (TIME, November 13, 1972). The message in the book has an intimate similarity to the humanistic theorists' romanticization of the "self."

"Jonathan is that brilliant little fire that burns within all of us, that lives only for those moments when we reach perfection."

In opposition to the foregoing stress on the inspirational efficacies of the "self", research evidence (Shuraydi - 973) corroborates Wylie's (1961) conclusion that only self-referential constructs with specifiable attributes have potential investigatory value. On the basis of this conclusions, we can qualify Allport's (1955) call for the usage of "self" or "ego" only in 'compound forms.' This conclusion is also substantiated by recent empirical research, particularly the research activities of scholars adhering to the

popularity of certain emerging perspectives or humanistic paradigms such as symbolic interactionism, third force psychology, ethnomethodology and phenomenology is attributed to "a growing concern over the status in social science theory of the person as agent." (Stanley, 1973 : 395). The issue is conflictive in nature : "Beyond freedom and dignity" versus "Back to freedom and dignity."

This issue seems to be the central problem with which the disciplines of psychology and sociology are confronted in the present era. It does not seem uncusomary nowadays, as it did few decades ago, to witness a debate among a group of sociologists over whether we should "heed Skinner's call" and strive "towards the development of a social technology," (Tarter, 1973), or whether we should perceive a real threat in the potential impact of Skinnerianism upon the discipline of sociology (Morris and Hesslink, 1974). The basic question that concerns us is this : What are the implications of this conflict ;

The answer to this question will be handled on two levels :

a) The level of "self" and "self-constructs" with reference to their scientific utility and potential applicability.

b) The level of the social sciences with attention to the intriguing question of whether the emerging "new science of the subjective" is in actuality a "new thrust" or merely an "old wine in new wineskins."

With reference to the "self" as an internal agency, it is apparent that "the Cartesian problem of the knower" is still with us. Its ancestry could be traced not only to the Platonic essential tradition, but also the "psychie" of the fifth century B. C. It is maintained that the problem is basically philosophical and that the postulation of the subjecthood of the "self" has been fruitless at an empirical level. In other terms "homunculumism" characterizes the literature on the "self" as an agent. The "I" or "self" as knower" remains as mystical as it was to David Hume (Hume 1874; Chisholm 1969). The best description of this situation could be borrowed from the answer of a working man to a social scientist whose curiosity impelled him to ask a group of laymen about the meaning of the "I". (Curtis 1915 : 73). This layman's answer described the "I" as a "coun-drum." (1) Such an answer, we uphold, is utterly unacceptable to the humanistic theorists among whom we include the symbolic interactionists. Its acceptance would not only leave their theoretical formulations

Self Theory and the Wrangle

Over the Image of Man

M. Shuraydi*

Introduction

Recent reviews (Boshier 1970; Wylie 1961, 1968) of theories dealing with the notions of "self" and "self-constructs" have pointed to a remarkable resurgence of interest in these two concepts after their demise in the behaviorist graveyard. While the research literature regarding the "self-concept" (i.e., self as object) has been skillfully reviewed by Ruth Wylie (1961), the present author (Shuraydi 1973) has attempted to complement Wylie's work with a critical survey and evaluation of the second principal meaning of the "self" (self as subject or inner agent).

This examination has led to the conclusion that the recent restoration of the "self" in social-psychological theories such as humanistic psychology and symbolic interactionism has fundamentally concentrated on the second dominant meaning of "self;" (i.e., self as subject) which is rooted in the question "Who Am I;"

The Wrangle Over Man's Basic Nature

The restoration of the subjecthood or agency of "self" is also linked with the crucial controversy in the social sciences pertaining to the subjective-objective view of perceiving "social reality." It exemplifies the perennial wrangle over man's basic nature and is represented by the question : Is man closer to a God or a dog; Thus, while some schools or social theorists are demanding a termination of the idolization of the individual's attributes of freedom and dignity, plus other "higher qualities," (e.g., Skinner 1971; Berkowitz 1964, 1969), other theorists, with a humanistic bent, (e.g., Bergin 1964; Bugental 1964; Cardno 1966; Giorgi 1970; Glass 1972; Hardison 1972; Kelly 1969; Maslow 1966, 1968; Proffoff 1970) are pleading for an immediate reformation of the social sciences that would restore these same attributes and insisting on the primacy of inner experiences rather than behavioral or observable phenomena. The

* Professor of Sociology at the University of Windsor, Canada.

- (13) Davison, Philipps, International Political Communication (New York : Frederick Praeger, 1965), p. 334.
- (14) Rogers, Everett, Modernization among Peasants : The Impact of Communication (New York : Holt, Rinehart, and Winston, Inc., 1960) p. 102.
- (15) Lerner, Daniel, The Passing of Traditional Society : Modernizing the Middle East (New York : The Free Press, 1958), p. 52.



KUWAIT UNIVERSITY
JOURNAL OF THE SOCIAL SCIENCES
Abbreviated : JSS

An academic quarterly with articles in Arabic and English, published by Kuwait University, concerned with issues pertaining to theories and/or application of theories in the various fields of the social sciences.

FOOTNOTES

- (1) Of these 339 were published in Arabic, 17 in English, 37 in French, 11 in Greek, 6 in American, 3 in Italian, and 1 each in German, Maltese, and Persian. Unesco, World Communications, (New York : Publications Center, 1952), p. 36.
- (2) Note Reported
- (3) Unesco, World Communications : A 200 country Survey of Press, Radio, Television, Film (Paris : the Unesco Press, 1975), p. 4.
- (4) Inaugurated in 1978 the Gulf News Agency is made up of the seven Arabian Gulf countries, namely Saudi Arabia, Kuwait, Bahrein, Iraq, Qatar, Oman, and the United Arab Emirates.
- (5) These countries are Mauritania and Saudi Arabia.
- (6) Unesco, World Communications : Press Radio. Television, Film (New York : Unesco Publications Center, 1964), p. 41.
- (7) Head, Sydney, Broadcasting in Africa; A Continental Survey of Radio and Television (Philadelphia : Temple University Press, 1974), p. 129.
- (8) They are the General Programme, the Second Programme, the Voice of the Arabs, the Holy Koran Service, the People's Programme, the Middle East Radio, the Youth Radio Service, The Alexandria Regional Radio Service, and the above mentioned foreign language services.
- (9) Green, Timothy. The Universal Eye : World Television in the Seventies (London : The Bodley Head, 1972), p. 223.
- (10) They are Algeria, Egypt, Morocco, Sudan, Iraq, Jordan, the U.A. Emirates, Oman, Bahrein Kuwait, A.R. of Yemen, Lebanon, Qatar, and Saudi Arabia which own two ground stations.
- (11) Head, Sudney, op. cit. p. 264.
- (12) The Arab League Information Offices are located in New York, Dallas Washington D.C., Chicago, San Francisco, Ottawa, Brasilia, Buenos Aires, Santiago, Bonn, Rome, Geneva, Brussels, Madrid, London, Paris, Dakar, Nairobi, Lagos, New Delhi, and Tokyo.

cal areas that were hitherto isolated both physically and culturally. Politically the media, and radio in particular, played the role of catalyst in the Arab renaissance and reunity. But much remains to be accomplished. In spite of the spread of mass media, the Arab masses are still inadequately covered. And it is due to the exposure to the mass media, according to Rogers, Lerner, Sheomaker and others that the whole process of social change and development is triggered. It is exposure to the mass media that engenders empathy, starts agricultural and home inventiveness, increases political knowledge, raises achievement motivation, and increases educational and occupational aspirations (13, 15), all of which are needed in varying degrees in the Arab world. It is therefore our belief that an increased effort on the part of the Arab authorities to spread responsible mass media so as to reach most citizens will be greatly repaid in terms of development. A greater effort in particular should be made to use the media as essential tools of social progress and as major conveyors of ideas in such areas as better health, family planning, and national unity. Measures such as lowering of import taxes on radio and television sets, local manufacturing or assembling of television receivers, development of local and inexpensive papers will be particularly useful measures.

On the international scene, modern technology brings in its wake more exchange of information within Arab states and between the Arab states and the rest of the world. The Arab press through its news agencies will be among the media that will benefit from advanced technology. The projected Arab satellite will open new horizons and tap information sources that were untapped so far. It is hoped that the Arab states will use this new technology with greater skill and ingenuity to win the battle of minds.

It is also hoped that the Arab mass communication institutions of learning will play a leading role in the preparation of professionals who will be responsible for the management and outputs of Arab media. The task of these new generations of communicators will be to direct and shape the Arab media as tools for the progress and development of their countries.

To that end and in the foreseeable future the Arab mass media will remain in the hands of the State, and will be managed as public services. As such it is hoped that they will come to achieve the goals of progress and prosperity of this area.

foreign-policy objectives. This is achieved through such channels of open diplomacy as personal communication with members of pressure groups and opinions leaders through debates, and discussions.

Where such Arab Information Centers do not exist, Councils of Arab Ambassadors and Arab Information Committees are formed to carry out the information policy and aims of the Arab League.

Other means of international communication take the form of regular or occasional meetings between Arabs and leading world figures in culture, literature, philosophy, religion, and the arts. Of particular importance is the Arab-European Dialogue which includes some of the best minds in the Arab and European worlds. Efforts are also made to bring together Arab and American thinkers, philosophers, and writers such as the one organized in Washington D.C. by the Library of Congress in 1976. All these meetings have one goal in common, namely the furthering of the dialogue between the two cultures and the search for ways of improving the channels of communication between them.

International festivals, exhibitions, cultural events, are also among the means used by the Arab governments to contact peoples of other countries. It is estimated for example that the number of people who viewed the King Tut Ankhamon exhibition counted in the millions. It is also reported that the World of Islam Festival organized in England in 1975 has greatly increased both the interest in and the knowledge of thousands of people in both Islam and the Moslem civilization of which the Arab civilization is an integral part.

Informal contacts between youth, professors, and students through exchange programmes or through international tourism bring beyond the shadow of a doubt results that formal contacts between government officials would be unable to accomplish. Because these channels are informal those who get involved in them are, as suggests Davison, more open and prone to their subtle implications.(12)

Conclusions

Regarded as a whole, the Arab world has made great strides in the use and development of mass communication in the last quarter of a century. In terms of coverage, the Arab media have penetrated geographi-

thetic aspects of broadcasting. It also promotes the exchange of radio and television recordings between its state members and organizes the simultaneous broadcasting of such programs. The coverage and simultaneous broadcasting of the rites of the pilgrimage in Saudi Arabia and the coverage of the Olympic Games held in Montreal in the summer of 1976 via satellite to all Arab countries equipped with satellite ground stations were among its achievements. It was the Union which secured all the arrangements for the Arab countries, booked the satellite time, and covered the events through a team of producers and broadcasters drawn from a number of Arab broadcasting services.

Other international broadcasting organizations to which Arab states belong are the International Radio and Television Organization, which counts Algeria, Egypt, Sudan, and Syria among its members; the Union of National Radio and Television Organization of Africa (URTNA) which includes all Arab countries on the African continent, namely Egypt, Libya, Tunisia, Sudan, Somalia, Mauritania, Algeria, and Morocco; and the Asian Broadcasting Union (ABU) in which Saudi Arabia, Egypt, and Jordan are full members and Iraq is an associate member.

Of its 33 full members, the European Broadcasting Union counts six Arab countries, Morocco, Algeria, Tunisia, Libya, Jordan, and Lebanon, Its Arab associate members include Egypt, the United Arab Emirates, Qatar, Kuwait, and Sudan.

It is of interest to note that Algeria, Morocco, and Tunisia participate in EBU's Eurovision regional network, which links them not only to Western Europe's national systems, but also through EBU to Eastern Europe's Intervision network and to satellite transmission from North and South America and Asia."⁽¹⁰⁾

In an effort to further the dialogue between the Arab nations and the rest of the world, the Arab League maintains information offices in twenty one cities across the world. Nine such bureaus are in the Americas of which five are in the United States, three offices are in Asia, two in Africa, and seven are on the European continent.⁽¹¹⁾ They all have a twofold purpose. The first is educational and cultural, and aims at acquainting the public with the cultures, aspirations, and potential of the Arab world; it is an image-building task. The second purpose is political; it aims to influence public attitudes in these nations in support of Arab

abroad, the initiation of the Arab-European Dialogue, and the participation of Arab media in international media activities, news events, and international mass media organizations to give only a few examples.

As early as 1969, thirteen Arab states had already joined the International Telecommunications Satellite Consortium. Today most of the Arab countries have joined this international body sharing with the rest of the members the costs of development and administration of the organization.

In addition, fourteen Arab countries have set their own satellite ground stations which link them through both the Atlantic and Indian Ocean satellites to the rest of the world.(9) the rest of the Arab countries are either in the process of setting up such stations, or are planning for them.

Work on the projected regional Arab satellite which will serve the communication needs of the Arab world is in progress. It is expected that this satellite will greatly increase the flow of communication among the Arab states, along with a greater exchange of bilateral information. The fact that the Arab nations share the same language and culture should pave the way for the successful use of this satellite.

In the field of news exchange, all Arab nations, as was noted earlier, subscribe to and/or exchange news with the major world news agencies. Most Arab national news agencies maintain bureaus in key capital cities; so do major Arab dailies whose circulation numbers in neighbouring Arab states are often substantial. Arab news agencies and Arab journalists belong to both international and regional unions such as the Arab News Agencies Union and the Arab Journalists Union.

Arab broadcasting services also belong to similar organization. Foremost is the Arab States Broadcasting Union whose membership count all Arab countries. The organization which was founded in 1968 aims to coordinate the efforts of the individual Arab broadcasting services, and to exchange expertise and information on all matters of general benefit to all broadcasting corporations of the Arab members states.

It maintains a technical center in Khartoum, Sudan, and three news exchange centers in Kuwait, Oman, and Rabat. It organizes seminars, workshops, and symposia on a variety of technical, educational, and aes-

knowledge and further research. Special training courses are also often organized by Egypt's national Radio and Television Training Institutes for Arab broadcasters. They consist of instruction on techniques of broadcasting with demonstrations, discussions and practical work. In addition, the Department of Information of the Ministry of Information and the Egyptian Journalist's Syndicate often conduct seminars on selected topics for selected groups.

Through bilateral and multilateral agreements, training in the arts and techniques of the mass media is also made available outside the Arab world. Countries such as England, Italy, France, Spain, and the German Federal Republic either include Arab professionals in their regular training programmes or organize special training courses for them. These usually center on some advanced technological aspects of the media such as satellite transmission or color television production.

Scholarships and fellowships are also made available to Arab students either through Arab universities or through the Arab States Broadcasting Union.

Regional centers for training in the mass media similar to those developed and supported by Unesco in India and Malaysia have been established in the Middle East. The Qatar training center is one of them. This center assisted by Unesco and financed by Qatar's government will eventually meet the training needs of the Arabian Gulf states, namely Qatar, Oman, the United Arab Emirates, Saudi Arabia, Kuwait, Bahrain, and Iraq.

The regional training center of Damascus which serves both Syria and its neighbouring countries is already functioning.

International Communication and the Arab States

The Arab nations are recognizing the need for rapid and efficient international communication. In order to increase the flow of communication among themselves on one hand, and to further the dialogue between themselves and the rest of the world on the other, the Arab states are both improving already existing channels and are setting up new ones. Chief among the new channels are the forthcoming Arab satellite, the increase in the number of Arab Information Offices across the world, the establishment of an Arab press published in foreign languages

journalism was started by the American University in Cairo which presently offers courses leading to both a Bachelor and a Master's degree in Mass Communication.

In nine countries, Egypt, Saudi Arabia, Syria, Algeria, Libya Sudan, Tunisia, Iraq, and Lebanon, departments or whole faculties of mass communication now offer courses leading to at least a Bachelor degree in mass communication. Their common goal is the preparation of communications experts who will be responsible for the planning, production, and administration of Arab mass media. The Faculty of Mass Communication of Cairo University graduated 218 such students in 1976, while the Abdel Aziz Al Saoud University of Saudi Arabia graduated its first twenty communication specialists during that same year. Students seeking higher degrees in the study of mass communication are able to pursue their studies for a Master of Arts or a Doctor of Philosophy degree in Cairo University. In addition Cairo University offers a two-year course leading to the Diploma in Mass Communication, which is a post graduate degree-especially designed for professionals whose Bachelor degrees were in fields other than mass communication.

A survey of the content of the courses offered by the Arab institutions showed that they covered both the theoretical and practical aspects of mass communications. The traditional emphasis on practicing journalism has yielded to the new approach of preparing experts responsible for the setting up, the output, and the administration of the mass media. More and more emphasis is on the use of these media as vital channels for education, development, and social change.

Where academic institutions for the study of communication do not exist, training centers such as those in Algeria, and Morocco, provide training in the techniques and skills of mass media production. Such centers offer shorter courses and training for the local media personnel. In fact it is not uncommon for some Arab countries to have both academic institutions and training centers.

All of these centers of academic learning and training are opened to all Arab specialists in the field. It is of interest to note that close to 30% of the students enrolled in the Diploma program at Cairo University Faculty of Communication are non-Egyptians. Sudanese, Saudis, Thais, Jordanians, and Somalis join their Egyptian colleagues in the pursuit of

only 20 houses in the last two decades, Syria today ranks after Morocco which has 260 houses, Tunisia which has 104 houses and Lebanon which has 170 houses. The largest number of cinemas in the Arab world belongs to Algeria which has 640 cinema houses.

These figures, however, do not quite reveal the size of cinema attendance in the Arab countries. The projection of films by mobile units is very common, particularly in rural areas. In Egypt, for example, the so-called "Caravans of Culture" which are mobile units equipped with films, libraries, and educational material travel the country, adding an untold number of cinema spectators to the reported numbers. If we add the number of spectators of films shown in clubs, schools, factories, and privately we will realize that the data available are only estimates.

It is of interest to note that Saudi Arabia still has no public cinemas. The production and projection of entertainment films are banned because they are considered to be prejudicial to Islamic ideals. The only entertainment films projected in the country are those shown privately and those projected by foreign companies to their employees. The latter are organized on a non-profit basis. The only films produced in Saudi Arabia are of a non-entertainment nature. They are produced by the film unit of the Saudi television and are broadcast via television.

Education and Training for Mass Communication

The rapid growth of the Arab mass media in the last quarter of a century has created a felt need for qualified and well-trained Arab communications specialists. To meet these needs the Arab states are working on three fronts. They are establishing institutions for the academic study of communication, extending existing training centers and initiating new ones for the training of their personnel, and sending their staff for training abroad.

The academic study of communication in the Arab world, namely the study of journalism, dates back to the mid-thirties. It was during that period that Cairo University initiated its Institute of Journalism which was eventually replaced by a Department of Journalism in 1954, and later by the present Faculty of Mass Communication in 1970. Independently, but also during the mid-thirties, another program for the study of

TABLE II**Number of Cinema Seats per 1000****Inhabitants in 1962 & 1975**

Country	1962	1975
Algeria	0.20	14
Egypt	N. R.	6
Libya	N. R.	9
Mauritania	0.0025	N. R.
Morocco	0.12	9
Somalia	N. R.	8
Sudan	0.06	5
Tunisia	0.1	9
Iraq	0.13	N. R.
Jordan	0.10	9
Kuwait	0.4	13
Lebanon	0.62	30
Oman	0.17	N.R.
Qatar	None	41
Saudi Arabia	None	None
Syria	0.10	N. R.
U. A. Emirates	—	N. R.
A. R. of Yemen	None	N. R.
P. D. R. of Yemen	N. R.	N. R.
Bahrein	0.82	45

In Qatar, where there were no films shown a decade ago, the number of seats per thousand is 41 today. Kuwait, Algeria, Jordan, and Morocco displayed a similar upward trend. Egypt, with 240 cinema houses, has one of the largest number of cinemas in the Arab countries. This number, however, is not quite in proportion with its forty million inhabitants. Syria, which had 50 cinemas in 1950, was the leading Middle Eastern country in terms of number of cinema houses. With an increase of

The major exporter of Arabic films in the Middle East is Egypt, and almost all Arab countries depend heavily on Egyptian films. The unity of language and the similarity of the topics and problems dealt with make for the popularity of the Egyptian film in the rest of the Arab world. Egypt's international film market also includes some predominantly Islamic African and Asian countries. The Egyptian government, which makes a good profit from the sale of its films abroad, insists on a minimum of artistic standards for the export of the films.

With the exception of Egypt the flow of films between the Arab countries and the rest of the world is a one way traffic. Arab states are regular importers of foreign films which are either subtitled or dubbed before their projection. Political, commercial, and cultural ties are at play in the distribution of films in the Middle East. As a general rule more films are imported from the Western bloc countries with which the Arab countries have had longer contact. Morocco, Algeria, and Lebanon, which had a long history of French colonialism and influence, imported respectively 60, 131, and 100 French films in 1960 against 11 and only one French films imported by Egypt and Sudan during the same year.

Other countries from which the Arab world imports films are India, England, Turkey, China, Pakistan, Japan, Italy, and the Socialist countries, but it is American films that far exceed the other non-Arabic films in number and in popularity in the Arab world. Of the 375 films imported by Egypt in 1971, 163 films were of American origin. Tunisian imports of the same year amounted to 164 American films or two thirds of its imports.

Regarded statistically, significant increases were recorded in the number of new cinema houses in most Arab countries over the last three decades. Similar increases were also registered in both annual film attendance and in the number of cinema seats per thousand persons.

According to Table 8, Bahrain, Qatar, and Lebanon lead the other Arab countries in terms of availability of cinema seats for their populations.

are used by the state for both social change and political control. In these countries such vital organs of communication are used as instruments to speed the process of modernization and development.

Motion Pictures in the Arab World

Films have maintained their popularity with Arab audiences since the art of film making was introduced in the Middle East. Fifty years ago Egypt produced its first feature film. Today Egypt is still the center of the film industry in the Arab world. Its well-equipped studios and film-processing laboratories have produced close to 1800 feature films in the last half century. With an average production of 65 feature films annually, Egypt is ranked the thirteenth largest feature film producing country in the world; two decades ago it was the fifteenth. In addition to feature films, the Egyptian film studios turn out an average of 50 documentaries and 90 short films a year.

Next to Egypt in film production are Lebanon which averages 6 feature films a year, Algeria with 4 films and Tunisia with 2 films a year. Mauritania and Kuwait have produced their first feature films in the early seventies, the latter winning a number of international prizes at film festivals.

With no exception all Arab countries produce some documentaries, newsreels, and short films. The latter deal with education, health, industry, agriculture, and social affairs; a few of these titles are entertaining. Some of these films are produced by the public sector which is predominant in the Arab film industry, the rest of the films are produced by the private sector, and the film units attached to the television bodies.

Most Arab states encourage their film production industries. Official and public encouragement in Tunisia, for example, takes the form of state aid for film production; in other countries it takes the form of sponsorship and establishment of local film clubs. In Egypt, the government has established a cinema institute and a motion-picture centre. It also sponsors the publication of a magazine dealing with a film techniques.

Coproduction of feature films among Arab countries is rather limited, the main coproducers being Egypt and Lebanon. Films coproduced with European countries such as France, Turkey, and Italy are even fewer.

As in the case of radio broadcasting, the size of Arab television audiences is only an estimate. Here again community and group viewing, undeclared receivers, and the large size of families greatly add to the size of these audiences. To increase the number of television receivers owner- and hence reach their potential audiences, Arab governments have taken such steps as the lowering of import duties on television receivers, the local manufacturing or assembling of receivers, in particular battery operated ones, and the electrification of rural areas.

Patterns of Control and Financing of Arab Broadcasting

The state dominates the scene in broadcasting in the Arab world; this means that both radio and television with a few exceptions are under direct government control.

In the case of sound broadcasting the state owns all Arab radio stations and operates them as public institutions. Radio services are under the direct jurisdiction of either the Ministry of Communication or the Ministry of Information, or their equivalent, which assume the responsibility for the policies, planning, operations, and outputs of radio broadcasting. The control of television follows the same pattern as radio in all Arab states, with the exception of Lebanon, in which television broadcasting is assumed by two commercial companies.

Because broadcasting is carried out by the government, it is the State that provides the funds for broadcasting operations. Except for Lebanon's television service and Radiodiffusion Television Algerienne, a state-owned but financially autonomous public corporation, all broadcasting services are financed by the government. This sometimes takes the form of license fees, as in the case of Morocco, Jordan and Mauritania, or a tax on electricity consumption such as the one imposed in Egypt. Other sources of income are made available as more Arab governments allow the broadcasting of limited amounts of commercial advertisement on both radio and television. Two countries, Egypt and Lebanon, are major exporters of radio and television programmes to the rest of the Arab world and the sale of such recorded programmes brings in additional income.

The patterns of control and financing of Arab broadcasting services are similar to those prevailing in the rest of the world. They are similar to those existing in other developing countries, where radio and television

TABLE 7

**Number of Television Receivers per
1000 Inhabitants in 1962 & 1975**

Country	1962	1975
Algeria	0.06	10
Egypt	0.10	20
Libya	0	0.5
Mauritania	0	0
Morocco	0.02	14
Somalia	0	0
Sudan	0.002	6
Tunisia	0.01	16
Iraq	0.07	25
Jordan	0	42
Kuwait	0.60	165
Lebanon	0.45	113
Oman	0	N. R.
Qatar	0	370
Saudi Arabia	0.03	19
Syria	0.09	22
U. A. Emirates	—	75
A. R. of Yemen	0	N. R.
P. D. R. of Yemen	N. R.	16
Bahrein	0	59

A closer look at the same table, however, reveals that in general the ratio of television ownership in the Arab states is rather low. Only in five countries, Lebanon, Qatar, Kuwait, the United Arab Emirates, and Bahrein, is the ratio 50 to one thousand inhabitants. In five other countries, Egypt, Iraq, Jordan, Syria, and Saudi Arabia, the ratio is between 20 and 50 per thousand, and in six other countries the ratio is below 20 per thousand.

To date ten Arab countries have made the switch to colour television. They are Algeria, Tunisia, Lebanon, Jordan, Kuwait, Qatar, the United Arab Emirates, Bahrain, Oman, and Egypt. Some of these countries such as Kuwait and Jordan have opted for PAL, others such as Egypt and Saudi Arabia have opted for Secam. Such choices are believed to have been influenced by both political and economic factors.

It is of interest to note here that in addition to its own television service the Saudi Arabian government agreed to let the Arab American Oil Company (Aramco) operate a privately owned non-commercial television station in Dahrán which broadcasts between four and five hours daily. The telecasts which are intended for Aramco personnel, reach part of both the Saudi and the neighbouring Bahraini audiences. A similar agreement was reached by the U.S. Air Force in Libya to operate the American Forces Radio and Television Service station at Wheelus Air Force Base. In addition to the American personnel the broadcasts reached part of the Libyan audience until the base was evacuated in 1970.

As far as the ratio of television receivers to population in the Arab world is concerned, Table 7 indicates a significant upward trend in all Arab countries. In some countries such as Kuwait the increase over the last decade was immense, it jumped from 0.60 receivers per thousand persons in 1962 to 165 receivers in 1973, or an increase of 275%. In Lebanon the increase was 251%.

ation with the Ministries of Education and transmitted during school hours on school days. Adult education programmes and analphabetism courses are also transmitted by television in a number of Arab states which organize teleclubs and community viewing centers in rural areas for this particular end. But here again, as it is in the case of radio, television is not used fully as a medium of social change and modernization.

In certain cases such as in Jordan, programming is partly dictated by political considerations. Because Jordanian television is meant to attract Arab audiences in the West Bank and Israel, its programmes are carefully planned with an eye on the Israeli television schedules. "The Israelis in turn", says T. Green, try to get these same audiences "by putting on popular programmes in Arabic to conflict with the news on Jordan television. Both in Jordan and Israel, television programming is dominated by the desire to outwit the rival station over the border".⁽⁸⁾ In fact Israeli television which was set originally as an educational tool, made the switch to entertainment programmes to provide Israelis equipped with television sets and turning to neighbouring Arab services with local programmes. The development of television in Israel has also caused a debate in Arab countries as to whether it should be jammed. This consideration was dropped, however, in favour of a decision by the Arab states to provide Jordan with free programmes. Chief among these are instructional telecasts in such subjects as Arabic language, history, geography, and literature, which are believed to be deliberately distorted by the Israeli authorities.

Part of the Arab television output is broadcast in foreign languages. The broadcasting by television for minorities is, however, not as extensive as it is in radio, due mainly to insufficient capacity and funds for production. Part of this output is made up of programmes imported from foreign countries and these are usually subtitled, the rest is locally produced and uses minority languages in addition to English and French. Half of Iraq's programmes transmitted from its Kirkuk's stations for its Kurdish minority is half conducted in Kurdish, the other half is conducted in Arabic. Algeria's locally produced programmes use Arabic, French and Kabyle.

The broadcasting of advertisements on television is not uncommon in Arab television services. As a general rule less air time is given to this category on Arab television than on their European and American counterparts. Lebanese privately owned television companies, however, allow as much as six minutes of advertising per hour. Other countries group the advertisements in blocs and run them together.

The Arab countries rely in varying degrees for their television output on foreign films and telecasts. The percentage of imported telecasts to locally produced ones ranges from 40 to 60%. Approximately half of the Iraqi, Saudi Arabian, and Lebanese telecasts are produced locally. Kuwait and Sudan produce around 60% of their television programmes, only Qatar imports 75% of its broadcasts from other countries. Arabic programmes of non-local origin are either directly imported from other Arab countries or are exchanged between these countries through bilateral agreements. The Arab States Broadcasting Union (ASBU) plays a leading role in encouraging the exchange of these programmes. Egypt is the largest exporter of telecasts to the rest of the Arabic-speaking countries. It is also estimated that Egypt exports some 1,200 hours of programmes a year to other non-Arabic speaking countries in Africa and Asia.

Other sources of telecasts for the Arab states are the U. S. A., France, England, Eastern Europe. Most of these telecasts are leased, some are exchanged and some are directly piped in from Eurovision. This is the case in both Morocco and Tunisia, whose television networks are linked to those of Spain and Italy respectively and hence to Eurovision. Some videotapes and films are released from foreign diplomatic missions or from cultural centers.

Arab television programmes are broadcast locally through either one or several national networks. Lebanon, whose television services were carried by two commercial companies, did broadcast its programmes on two separate networks. Until recently Egypt's television output reached its audiences through three channels; today only two are on the air. The first one, which carries the main service, reaches all populated areas, the second one covers only the Delta area. Plans are being made to extend the coverage of the second network and to use it for educational purposes.

The bulk of Arab telecasts are intended for general audience; they include the usual categories of entertainment, news and information, programmes for special audiences, religion, culture, and instructional and educational telecasts. The percentage of each category to the total number of telecasts varies from one country to the other, but it is believed that entertainment takes up a large part of the broadcasting time. Telecasts for school instruction are regular features in many countries such as Kuwait, Iraq, Egypt, Lebanon, and Sudan. They are organized in cooper-

TABLE 6**Number of Hours of Weekly Television****Broadcasting in 1962 & 1975**

Country	1962	1975
Algeria	N. R.	40
Egypt	N. R.	115
Libya	0	42
Mauritania	0	0
Morocco	N. R.	32
Somalia	0	0
Sudan	N. R.	38
Tunisia	N. R.	45
Iraq	49	N. R.
Jordan	0	60
Kuwait	42	38
Lebanon	72	100
Oman	0	N. R.
Saudi Arabia	0	36
Qatar	28	38
Syria	42	55
U. A. Emirates	—	42
A. R. of Yemen	0	N. R.
P. D. R. of Yemen	N. R.	34
Bahrein	0	N. R.

uses 28 transmitters with a total power of 54 Kw to cover its approximate area of one million square kilometers, while Qatar uses 2 transmitters to cover its 22,000 square kilometers. In both cases the total populations are reached; this is possible because in Egypt the population occupies approximately 5% of the total area of the country. Most of the Arab television services reach their potential audiences.

Some of the Arab television services are linked together by microwave to form regional networks, such as the Maghrebvision which links the television services of Morocco, Algeria, and Tunisia. This network will eventually be linked to a second network in progress between Libya and Egypt, thus bringing all North African Arab countries together. A third such project, the Gulfvision, will eventually form a regional television network that will bring all Arab countries of the Arabian Gulf together.

In addition, the projected regional Arab satellite will greatly increase the flow of information between Arab states, making possible more television programme exchanges and more simultaneous broadcasting of major events.

Parallel to the increase in the number of television transmitters and television coverage in the last decade is the increase in the number of television transmission hours. With a weekly output of 115 hours of telecasts, Egypt is first among the Arab states, closely followed by Lebanon with 100 hours. Ten years ago Jordan had not T V but today is ranked third among the Arab countries, with a total weekly output of 60 hours. Table 6 also shows that Qatar, whose television service did not go on the air until 1970, has 36 hours of weekly telecast:

Only a fraction of the broadcasting time is given to advertising which has only been recently introduced in some Arab broadcasting services.

Politically, however, it is known that radio in the Arab countries has been and is still being used successfully. Arab leaders such as Nasser have realized the potential of this medium and have used it to achieve their goals. A case in point is the controversial "Voice of the Arabs", a service that encouraged the liberation movements not only of the Arab countries still under colonialism then, but also those of other African countries. It is equally well known that in their struggle for independence the Algerians rallied to war on a notice from their transistors.

Today radio is still considered an essential tool of international relations. It is used by the Arab countries to present their viewpoints on important events, to explain their attitudes on world problems, and to foster their self-images. Part of this external effort is directed to neighbouring Arab countries, the rest is meant for the international community.

By the same token and for economical and political reasons the Arab world is the target of international broadcasting. Israel, the U.S.A., the U.S.S.R., England, France, the Federal Republic of Germany, and many other countries beam special broadcasts to the area, both in Arabic and in other languages. Some of the broadcasts are meant to create goodwill toward the originating countries but others have propaganda ends such as the Israeli broadcasts which are often jammed by Arab authorities.

Arab Television Broadcasting

Television broadcasting has penetrated all Arab countries with the exception of Somalia and Mauritania. The introduction of television in the Arab countries dates back to the fifties when the Algerian, Iraqi, and Lebanese television services were started. But it was during the sixties that most other Arab television services went on the air.

Today, Arab television audiences are reached through a network of 116 television transmitters, an increase of 67 transmitters over the last decade. The number and power of the transmitters used by each Arab country varies according to its area, the size and geographical distribution of its audiences, and in consideration to economic factors. Egypt

The number of regular local broadcasting services varies from one Arab country to the other. Egypt, for example, broadcasts nine radio services to cater to the tastes and needs of its population(7) In addition it provided facilities for the broadcasting of a special radio service conducted by the Palestinian Liberation Organization. To all these activities an extensive overseas service conducted in 36 languages and ranked among the five first in the world as mentioned earlier completes the picture.

Other countries such as Kuwait beam four local services daily; two of them are conducted in Arabic, a third service is broadcast in English, and the fourth consisting of stereo music is broadcast on FM. Most of the radio services in the area originate from the capitals; local broadcasting, like the local press, hardly exists in the Middle East, but where it has been initiated such as in Morocco and in Alexandria in Egypt it has succeeded in reflecting and in reviving the traditional local art forms, industries, and character.

The introduction of frequency modulation broadcasting in the Middle East is recent and limited. In all, seventeen stations are in use, six of which are in Morocco, two in Jordan, three in Lebanon, four in Saudi Arabia, one in Kuwait, and one in the United Arab Emirates.

In terms of number of hours of transmission the Arab countries have made a great strides. Only twenty years ago Yemen owned a single radio station that transmitted one hour daily. Saudi Arabia owned one medium-wave and one short-wave transmitter that broadcast a few hours daily.

The content pattern of Arab broadcasting is the one familiar throughout most of the world; entertainment makes up a good part of broadcasting hours. The percentage varies slightly from one country to the other; Qatar reports 57%, Syria 45%, Sudan 28%, and Kuwait 72% of entertainment. Next come programmes devoted to the letters, arts and science which make up 24% of Algeria's broadcasting hours, 14% of Egypt's, and 30% of Somalia's. News and information programmes make up 40% of Mauritania's broadcasting service, but only 9% in Kuwait. Most Arab services make systematic use of sound broadcasting for schools and adult education, thus Algeria devotes 11% of its air time to that end, Syria 8%, and Tunisia 9%. The rest of the broadcasting time is allocated to programmes for special audiences, minorities, religion, sports, and the like.

Unlike film and television production all Arab broadcasting services rely heavily on their own production. This is relatively easy compared to motion pictures and television for it does not require the specialized personnel and the advanced technology of the other media. In addition, an attempt is made by all governments to reflect and foster their national character and self-images. The import of programmes from other Arab countries and from foreign broadcasting services is not, however, uncommon. Egypt again is the main exporter of radio recordings to its Arab neighbours. The Arab states Broadcasting Union (ASBU) organizes and encourages the exchange and the simultaneous transmission of broadcasts in all the Arab world. As noted by Sydney Head "the great unifying influences of a common religion, Islam, and a common sacred language, Arabic, enables broadcasting to achieve a kind of universality impossible in countries with dozens of different languages, religions, and cultural traditions". "Broadcasts in Arabic", he adds, 'have common meaning and fascination, not only for the majority of the inhabitants of a single country, but for the peoples of the entire North African and Middle Eastern regions".(6)

Additional bilateral agreements between individual Arab and foreign broadcasting services provide a further source for sound recordings. Such recordings partly feed the local broadcasting services conducted in foreign languages. France, England, The Federal Republic of Germany, India, Pakistan, and a number of international broadcasting organizations such as the OIRT, EBU, ABU, and URTNA are among these sources. The recordings range from drama, documentaries and instructional programmes to musical recordings.

Programmes conducted in foreign and minority languages constitute an important feature in the Arab broadcasting services. Where large minorities exist whole broadcasting services are specially designed to reach them. Iraq has a special service in Kurdish for its Kurdish minority. Morocco broadcasts an 8 hour daily programme in Berber, and Mauritania transmits in Toucouleur, Sarakole, and Wolof. Cairo has daily programmes in English, French, German, Italian, and Greek. Other Arab states broadcast in Spanish, Armenian, Amharic, Qoti, Swahili and Turkoman for their minority groups which use these channels for self-expression.

TABLE 5

Number of Hours of Daily Radio
Broadcasting in 1975

Country	1975
Algeria	43
Egypt	172
Libya	18
Mauritania	9
Morocco	57
Somalia	3
Sudan	21
Tunisia	42
Iraq	22
Jordan	24
Kuwait	19
Lebanon	100
Oman	7
Qatar	15
Saudi Arabia	N. R.
Syria	20
U. A. Emirates	N. R.
A. R. of Yemen	15
P. D. R. of Yemen	10
Bahrein	8

First is Egypt with 172 hours of daily broadcasting, followed by Lebanon with 100 hours, and Morocco with 27 hours. In fact Egypt is considered to have one of the most active broadcasting services in Africa in terms of national broadcasting output. Its international broadcasting output ranks among the first five in the world.

Table 4 shows that Kuwait's ratio of receivers to population of 0.28 ten years ago has reached 439 today; i.e. an increase of 1567%. Qatar, Syria, and Bahrein showed similar large increases, and Egypt's ratio of 144 receivers per 1000 inhabitants ranks among the highest in the African continent. It is estimated that almost all Arab countries have adequate sound broadcasting penetration today. However, the figures shown on Table 4 do not even come close to revealing the actual size of Arab radio audiences. Spontaneous and organized group listening are very common in these countries.

In Egypt, for example, the state has established radio and television listening and viewing centers in rural areas, where peasants meet to listen and discuss special farm programs, or for an occasional evening of entertainment. It is also believed that the estimated number of radio receivers in some Arab countries is larger than the reported figures because large numbers of receivers are undeclared.

Undoubtedly broadcasting reaches far more people in the Arab Middle East than both the press and television. The relatively low price of radio receivers, particularly those manufactured locally, the convenience and ease of operation of transistor sets, the rather high rates of illiteracy, the variety of programs offered and their emission in minority languages all contribute to making radio the most popular mass medium in the Arab countries.

In terms of amount of daily broadcasting output, Table 5 shows that all Arab broadcasting services except four are on the air for more than 12 hours a day.

TABLE 4

Number of Radio Sets per 1000
Inhabitants in 1962 & 1975

Country	1962	1975
Algeria	0.61	46
Egypt	N. R.*	144
Libya	0.62	41
Mauritania	0.20	125
Morocco	0.55	95
Somalia	0.12	17
Sudan	0.09	97
Tunisia	0.63	49
Iraq	0.21	169
Jordan	0.38	211
Kuwait	0.28	439
Lebanon	0.61	210
Oman	None	N. R.
Qatar	None	432
Saudi Arabia	0.21	31
Syria	0.57	375
U. A. Emirates	—	175
A. R. of Yemen	N. R.	41
P. D. R. of Yemen	0.52	53
Bahrein	N. R.	341

* Not Reported.

study of communication and professional training of personnel in the Arab world.

Radio Broadcasting in the Arab World

Sound broadcasting was introduced in the Middle East as early as the mid-twenties. In Egypt the first radio transmissions were broadcast in 1929 by privately owned local stations run for commercial purposes. In 1934 the state took over radio broadcasting and ran it as a public service. The same pattern was repeated in a number of other Arab countries.

A second pattern was set by the former colonial rulers who introduced radio broadcasting for the service of their armed forces stationed in Arab territories. Radio Somalia was thus operated for the British Military government in the fifties. In the sixties, three radio stations were established by the British Armed Forces in both Tripoli and Benghazi in Libya to serve their military forces. The United States Air Force also established its own radio and later television service in the former Wheelus Air Force base near Tripoli in Libya. The transmissions in every case were intended for their staff. In many cases, the services reached a small fraction of the nationals.(5)

As a public service, sound broadcasting was started at different dates in the Arab world; in Iraq it was introduced in 1936, in Syria the date was 1945, in Saudi Arabia 1950; other countries such as Qatar had to wait to the sixties to start their sound emissions. The newest Arab broadcasting service is Oman's which was inaugurated in 1970.

Today there is no Arab country without a sound broadcasting service. In all Arab countries the number of transmitters has considerably increased over the last ten years; in Libya, Sudan, and Lebanon the number of transmitters has doubled during this period. In Jordan, Kuwait, and Saudi Arabia this number has tripled. Today the Arab Middle East is covered with a network of over 244 long, medium, short, and FM transmitters. With a combined power of over 23,500 KW this network covers practically all the Arab populations; Egypt reports a 99.6% coverage, Mauritania 90%, and Jordan 95%.

Arab radio audiences have grown rapidly during the last decade. In fact the rate of growth of radio ownership in some Arab countries has been among the highest in the world.

seven countries owned their national news agencies and the rest of the Arab world depended on them. All Arab news agencies serve their press, radio and television services but their scope and coverage, however, vary from one country to the other. Egypt's MENA for example maintains bureaus in all Arab capitals, in addition to some major European cities such as London, Paris, Belgrade, and Berlin. It serves over four hundred subscribers with an average of 20,000 words of news daily in Arabic and some 6,500 words in English. In addition to news, features, and photographs, MENA offers its subscribers a television news service. Like most of its Arab counterparts, it subscribes to the major world news agencies and exchanges news with a number of them.

All Arab news agencies issue both national news received from their own correspondents and international news received from both their own correspondents and from the international news agencies. Photos, economic news bulletins and audio-radio services are among the services they also provide. News transmission is made through such media as cable-teleprinter, circuits, radio teleprinters, telex, telephones and air mail; satellites are yet to be used for that purpose.

Countries which have not yet initiated their own national news agencies, such as Mauritania, depend on their own reporters for national news and on Arab and world news agencies for international news. In Mauritania the government issues a free daily information bulletin for the use of its mass media. It is also of interest to note here that the Palestinian Liberation Organization established its own news agency, the Palestinian News Agency in the early seventies.

With the exception of Morocco's Maghreb Arabe Presse (MAP) a private company, all Arab news agencies are government owned and state controlled. MAP constitutes an important news agency for the Arab speaking countries. It supplies its 70 subscribers with 210,000 words of Arabic, and 180,000 words of French daily.

A look at the future development of Arab news agencies is rather reassuring. The problems that usually hamper the development of news agencies and limit their exchanges, such as multi-lingualism and difficulty in teletype transmission of characters are non-existent in the Arab Middle East. It is the personnel development and its training that these countries have to contend with to efficiently link the region. Part of this problem is already being faced and solved by the various institutes for the

press could take the form of weeklies or single sheets, some printed in minority languages such as Kurdish and Berber for remote small communities. It is hoped that the Arab mass media education institutions and training centers will turn out the needed personnel to fulfil this vital task.

Unlike radio and in some cases television, the press reaches far fewer people as a reporter of news in the Arab world. A number of factors contribute to this effect. First, the press is rather young in many Arab countries. Secondly, a high rate of illiteracy adds to the burdens of press development. In addition, newsprint has to be imported from foreign markets and except for the oil rich Arab states hard currency is often lacking or used for more pressing priorities. Poor transportation facilities for transmission of news, slow and often poor communication between the large cities where the papers are published and the rural areas are other factors that limit newspaper circulation. Financial factors such as low income and lack of advertising income also limit the rate of newspaper circulation in Arab countries.

One factor that works for the Arab press, however, is the unity of language. Combined with the recent introduction of new technologies of printing, production, data transmission; and with the expected accelerated rate of development, it is hoped that the Arab press will soon enjoy a wider dissemination and play a vital role in the Arab world.

One factor that works for the Arab press, however, is the unity of language. Combined with the recent introduction of new technologies of printing, production, and data transmission; and the expected accelerated rate of development it is hoped that the Arab press will soon enjoy a wider dissemination and play a vital role in the Arab world.

News Agencies in The Arab World

Until 1955 when the Egyptian Middle East News Agency (MENA) and the Sudanese Sudan National News Agency (SUNA) were founded, the Arabic press depended on the world news agencies for their international news stories.

Today, fifteen Arab countries own their national news agencies,(3) and three countries are members of the newly formed Gulf News Agency, and six Arab countries do not. In addition seven countries are members of the newly formed Gulf News Agency.(4) A decade and a half ago only

As table 3 indicates all figures indicate an upward trend, but the increase over the last ten years in the number of copies of dailies per thousand varies from one Arab country to another. Somalia, Libya, and Algeria reported an approximate increase of 200% over this period while Mauritania reported only a 4% increase. The largest leaps according to the figures shown on table 3 were taken by both Kuwait which reported a 1,100% increase, and the People's Democratic Public of Yemen which had a 633% increase in newspaper circulation.

All figures pertaining to 1975 point to one fact, however, namely that none of the Arab countries reaches the minimum standard for dailies circulation set by Unesco as a criterion of adequate coverage, i.e. 100 copies of dailies per 1000 inhabitants. These figures, however, do not reflect the actual sizes of readerships of Arabic dailies. The latter are considerably larger than circulation figures would suggest, due to a number of factors and practices. For one thing the average size of the Arab family is larger than that of its Western counterpart, which makes for a wider circulation for a single copy. The reading aloud of the day's edition in the evening to the assembled village inhabitants is another of these practices; such reading takes place either informally in coffee houses and clubs, or formally in village recreation centers. In many countries dailies are displayed in public places for literates who cannot afford the price of the paper. Joint ownership of a paper by a number of families and pass-along readership are also common practices. Renting newspapers and periodicals by the day, or reading them at the press kiosques is not uncommon. All these practices swell the circulation number of the dailies and account for untold additional numbers of readers.

In spite of its circulation of 20 copies per thousand, Egypt has the third highest rate of daily readership in Africa.(2) In addition, several of its dailies and periodicals have large readerships in the other Arab countries. The same is true of other major Arab publications which are made available to the Arab masses by air mail.

Local and rural publication of papers and weeklies is not common in the Arab world. Most of the Arab dailies and periodicals are published in the Arab capitals with few published in the rest of the large cities. This is regrettable because the Arab countries need to develop and encourage a provincial press to support their development programs. Such

and periodicals that leads the other Arab countries in that respect, followed by Egypt with 201 and Algeria with 108 such publications. In fact Lebanon ranks third among Asian nations in the publication of periodicals and non-dailies. With the exception of the Peoples' Democratic Republic of China on which statistics are unavailable, Lebanon comes after India which has 4,012 such publications and Japan which publishes 800 non-dailies.

Although the number of readers these publications reach is unavailable, it is estimated that they have very large readerships.

Figures about the circulation of Arab dailies and the number of copies of dailies per thousand inhabitants are available.

TABLE 3
Number of Copies of Arab Dailies
per 1000 in 1962 and 1975

Country	1962	1975
Algeria	0.24	18
Egypt	0.20	20
Libya	0.07	17
Mauritania	0.05	0.2
Morocco	0.14	16
Somalia	0.01	2
Sudan	0.05	N. R.*
Tunisia	0.23	21
Iraq	N. R.	N. R.
Jordan	0.27	23
Kuwait	0.04	44
Lebanon	0.97	N. R.
Oman	N. R.	N. R.
Qatar	N. R.	N. R.
Saudi Arabia	0.04	7
Syria	0.19	9
U. A. Emirates		N. R.
A. R. of Yemen	N. R.	N. R.
P. D. R. of Yemen	0.03	19
Bahrain	No dailies	N. R.

* Not Reported

TABLE 2

Combined Number of Arab Non-dailies
and Periodicals in 1962 and 1975

Country	1962	1975
Algeria	144	108
Egypt	N. R. (1)	201
Libya	21*	21
Mauritania	2**	2**
Morocco	44	52**
Somalia	8	2*
Sudan	42	32
Tunisia	82	67
Iraq	28	15**
Jordan	1*	30
Kuwait	7	32
Lebanon	N. R.	366
Oman	None	1**
Qatar	None	2**
Saudi Arabia	15	15
Syria	52	47
U.A. Emirates	None	1**
A.R. of Yemen	3	1**
P.D.R. of Yemen	15	5**
Bahrain	3	18

1 Not reported.

* Number of periodicals only.

** Number of non-dailies only.

Two countries, Oman and Qatar, which had no periodicals and non-dailies published in the sixties, have stated such publications in the seventies. But it is Lebanon with its combined publication of 366 non-dailies

had a combined number of 416 papers, periodicals, and non-dailies in the late fifties.(1) Of these only 215 remain, the rest, particularly those published in foreign languages, disappeared.

Today all Middle Eastern countries publish at least one daily newspaper in Arabic. Ten of these countries publish at least one daily in a foreign language. Where dailies are not published in foreign languages, weeklies and periodicals are made available to national minorities and foreign readership in languages such as Turkoman, Kurdish, Spanish, French, Italian, English, and Armenian.

Data about the number of periodicals and non-dailies published by the Arab press over the last three decades are incomplete. Table 2, however, shows a marked increase in production particularly in Kuwait where it increased from 7 to 32 periodicals, and Bahrein where it increased by 15 in the last decade.

maintained their level of publication. The decline in the number of dailies is particularly obvious in Egypt and Algeria which lost more than half of their dailies in the last ten years. Of the 40 dailies that supplied the Syrians with news during the last decade only 5 remain today. Egypt

TABLE 1

Number of Dailies in 1962 and 1974

Country	1962	1974
Algeria	7	4
Egypt	33	14
Libya	4	7
Mauritania	1	1
Morocco	9	6
Somalia	1	1
Sudan	7	4
Tunisia	5	4
Iraq	10	7
Jordan	8	4
Kuwait	2	6
Lebanon	46	52
Oman	None	1
Qatar	None	1
Saudi Arabia	4	5
Syria	40	5
United Arab Emirates	None	1
Arab Republic of Yemen	1	3
People's Republic of Yemen	5	4
Bahrain	None	1

On the one hand the local papers which had been serving mainly the former colonial rulers and foreign communities living in the Arab countries began to address themselves to the problems, issues, and tastes of the indigenous populations. They came to reflect the hopes and aspirations of the newly independent states, to endorse their new plans, and to reinforce their new slogans. The Arab press found a new readership. It also found a new role, namely that of developing the newly liberated nations.

This change in readership and role, on the other hand, naturally brought with it a second change, namely the significant decline in the number of dailies and periodicals published in foreign languages.

Thus, Morocco which had seven dailies published in French and only two dailies published in Arabic in 1950, now publishes three major dailies in Arabic and only one in French. Algeria which had all its ten dailies published in French in 1950 has now one major daily published in Arabic and a second one published in French.

Because freedom of the press is a function of both the type of political system of a country and its state of internal stability, the Arab press has reflected these factors throughout its existence. At times it witnessed a boom in freedom of expression that was followed by long periods of heavy-handed censorship. Historically, Egypt was the seat of the young, vigorous and independent Arabic press, but as clouds of censorship overcast the Cairo scene, Arab capitals such as Beirut, Tunis, Kuwait and others saw the flourishing of a diversified and outspoken press.

Viewed statistically over the last few decades, the picture that the Arab press presents is similar to that of the world press; namely, that the total number of dailies has decreased concurrent with increased readership. The picture is not, however, that simple, for it differs among Arab nations. In Algeria, Morocco, Tunisia, Jordan, and Syria, as Table 1 and 3 indicate, the decrease in the number of dailies has been accompanied by a significant increase in circulation. Other countries, such as Libya, Kuwait, Lebanon, the Arab Republic of Yemen, and Saudi Arabia have witnessed a boom in both the number of dailies and in circulation.

Table 1 indicates that nine Arab countries publish fewer newspapers today than they did in the sixties, nine countries publish more, and two

roles, outputs, and content of the media. In terms of national development, they are in somewhat different stages, thereby making different demands on their media. In terms of material wealth and production the Arab countries reveal a wide disparity which includes some of the highest and some of the lowest per capita incomes of the world. All these contrasts are reflected in the structure and performance of the mass media in the region.

To add to the complexity of the study of Arab mass media, the researcher is faced with the variety of dimensions and levels at which these media function. This is particularly true of Arab countries which play or aspire to play leading roles in the regional and international affairs. Last but not least there exists the usual problem encountered when studying developing countries, namely the shortage of up-to-date and reliable data. For this last reason it was decided to exclude Djibouti which was admitted to the League of Arab Nations in 1976. In addition, because data on certain countries were more available than others, more frequent reference was made to them.

By mass communication media we mean the daily and non-daily press, radio and television broadcasting, motion pictures, and news agencies. Reference is also made to the use of satellites. Not included, however, are books and the theatre for which data were either unavailable or incomplete. The study, however, does include an investigation of the development and roles of the institutions for the study of communication and the centers of training for communications experts in the Arab world.

Numerical data were based on both information provided by individual Arab media and on publications by Unesco, such as World Communications and Unesco Statistical Yearbooks. Additional data were collected from interviews with officials of many Arab countries.

The Arab Press

The state of the press in the Arab world over the last few decades has reflected the great changes that have taken place in the area. One of the most significant events during that period has been the independence of the Arab states from colonial rule and this has had a twofold effect on the Arab press.

Mass Communication Media in the Arab World :

An overview 1950-1976

Sohair Barnakat*

Introduction :

In its quest for progress the Arab world possesses great resources and potentialities yet is beset by a number of chronic problems and frustrations. In its attempt to understand itself and others, and to make itself understood to others, the Arab world in recent decades has experienced a rapid growth in its mass media. It is likely that this growth in media will continue at an increasing rate as the search for meaning continues and as the intraregional and international rivalries intensify to gain control over the march of events in the region.

Research about the Arab mass media, however, has been scant to date. Except for some excellent studies of the press of certain Arab countries, descriptions of existing Arab media systems, and publication by Unesco of statistical data about Arab mass media, little systematic research has been conducted to trace the beginnings and development of the mass communication media in the Arab world, or to investigate their nature, roles, and coverage.

Not that all the Arab countries had a late start in the media. Journalism had a strong foothold in a number of Arab countries before the turn of the century; sound broadcasting and the art of the cinema were introduced in this area during the twenties. But it seems that the study of the mass communication media of this geographical area presents scholars with certain difficulties. For in spite of a common language, religion, history, and aspirations, the Arab world is made up of a mosaic of twenty one countries that reveal significant contrasts. For one thing these countries run the gamut of the political systems thus affecting the

* Assistant Professor of Communication and Research Methods, Cairo and Kuwait Universities.

CONFERENCES :

- 1 — Seminar on Population and Development in Western Asia.
Y. F. Haddad
- 2 — The Second International Conference on
the Mis-treatment of Children. M. Touk

SPECIAL REPORTS :

- 1 — Foreign Expertise in Information Teaching in the
Arab World. N. Al-Dajani
- 2 — The Protocols of Recognising the Credentials of
Diplomatic Representation N. Al-Attar

GUIDE TO UNIVERSITIES :

Islamic University
Imam Mohammad Ben Saoud

A GLOSSARY : ENGLISH — ARABIC :

Industrial Administration : Terms and Concepts.

ABSTRACTS :

REGULATIONS GOVERNING CONTRIBUTIONS.

CONTENTS

VOL. IIV

NO. 1

APRIL 1979

EDITORIAL

ARTICLES IN ENGLISH :

- 1 — Mass Communication Media in the Arab World :
An Overview 50 - 1976. **S. Barakat**
- 2 — Self Theory and the Wrangle Over the
Image of Man **M. Shuraydi**
- 3 — The Concept of Nature in Rousseau's
Educational Theory. **S. Ismael**

ARTICLES IN ARABIC :

- 1 — Toward a Common Arab Petroleum
Policy. **H. Al-Qaysi**
- 2 — Educational Direction of
Creative Persons. **A. Ibrahim**
- 3 — Abdul Rahman El Ghabarty, Study in Sociology
of Knowledge. **A. Fouad**
- 4 — Educational Planning and
Development **S. Khasawneh**

SPECIAL SYMPOSIUM :

TOPIC : Social Change in the Arab World.

PARTICIPANTS : S. Tall, S. Nasser and R. Al-Hassan

Moderator and Editor : **K. Abu Jaber**

BOOK REVIEWS IN ARABIC :

- 1 — T. Farah and F. Al-Salem, Research Methods in The Social
Sciences : An Introduction,
Reviewed by : A. Abu-Ayyash
- 2 — M. A. Shukri, Pacts and Blocks in International Politics.
Reviewed by : M. Y. Alwan
- H. Sharabi, Cinders and Ashes **Reviewed by : M. R. Al-Najjar**

* Opinions expressed in this journal are solely those of their authors and do not reflect those of the Editorial Board, the consultants or the publisher.

*** Subscriptions :**

- * For individuals — KD. 1.000 per year in Kuwait. KD. 2.000 or equivalent in the Arab World (Air Mail). \$ U.S. 10 or £ 4 for all other countries (Air Mail). Student rate is half the normal prices.
- * For public and private institutions — \$U.S. 25 or £ 12. (Air Mail).
- * Sale price in Kuwait and the Arab World KD. (0.250) or equivalent.

Articles in the JSS are abstracted by Sociological Abstracts Inc. and International Political Science Abstracts.

KUWAIT UNIVERSITY
JOURNAL OF THE SOCIAL SCIENCES
Abbreviated : JSS

An academic quarterly with articles in Arabic and English, published by Kuwait University, concerned with issues pertaining to theories and or application of theories in the various fields of the social sciences.

EDITORIAL BOARD :

H. AL-IMRAHEEM

Chairman

ASAD A. RAHMAN

Chief Editor

H. SHARABI

KHALDOUN NAQEEB

A. AL-AMEEN

H. BISHAY

I. ZURIEK

I. ZABARI

ABDUL RAHMAN F. MASRI

Assistant Editor

* Forward all correspondence and subscriptions to:

THE EDITOR

Journal of the Social Sciences

Kuwait University

P O Box - 5486

Kuwait

ادارة مطبعة الجامعة

JOURNAL OF THE SOCIAL SCIENCES

VOL. IIX

NO.1

APRIL 1979.

